أجاثا كريستي

Agatha Christie™

القتل السهل

أجاثا كريستي

القتل السهل



بسم الله الرحمن الرحيم

القتل السهل

تُعـرف أجاثـا كريستى فـى كل أنحـاء العـالم باسـم "ملكـة الغموض"، ولقد حققت مبيعات كتبها ما يربو على مليار نسخة باللغة الإنجليزية إضـافة إلى مليار نسـخة أخرى ترجمت إلى مائـة لغة أجنبية وهى تعد أكثر كاتبة نُشـرت لها كتب على مر العصـور على مسـتوى كل اللغـات، ولم يفُقها فـى المبيعات إلا كتب شكسـبير، وقد قامت بتأليف ثمانين كتابًا، ما بين روايات ومجموعات من القصـص القصـيرة فى الجريمة، كما قامت بتأليف تسـع عشـرة مسرحية، وسـت روايات تحت اسم مارى ويستماكوت.

ولقد كتبت أجاثا كريستى روايتها الأولى "السر الغامض فى ستايلز" قرب نهاية الحرب العالمية الأولى، والتى كانت تعمل خلالها فى الجيش كممرضة. وقد قامت فى هذه الرواية بابتكار شخصية هيركيول بوارو، ذلك المحقق البلجيكى ضئيل الجسم الذى صار أشهر محقق فى روايات الجرائم بعد شيرلوك هولمز، وقد نشرت الرواية أخيرًا بواسطة دار نشر Bodley Head فى عام ١٩٢٠.

وفـى عـام ١٩٢٦، وبعـد أن اعتـادت تأليـف روايـة واحـدة كل عـام، قامـت أجاثـا كريسـتى بتأليـف روايتهـا العظيمـة "مـن الـذى قتـل السـيد روجـر أكرويـد؟"، تلـك

www.liilas.com/vb3
uploaded and
scanned by:
THE GHOST 92

الرواية التى كانت أول رواية تنشرها لها دار النشر " Collins " والتى أسست علاقة ربطت بين الكاتبة والناشر دامت لخمسين عامًا ونتج عنها ما يزيد على سبعين رواية ، كما كانت رواية " من الذى قتل السيد روجر أكرويد ؟ " هى أولى رواياتها التى يتم تمثيلها مسرحيًا . تحت عنوان " Alibi " - واستمر عرضها بنجاح على مسرح " ويست إند " فى "لندن" لمدة طويلة ، وقد تم افتتاح مسرحية " مصيدة الفئران " - أشهر مسرحياتها على الإطلاق - فى عام ١٩٥٢ ، وهى المسرحية المعروفة بكونها صاحبة أطول فترة عرض فى التاريخ .

وقد منحت أجاثا كريستى لقب "فارسة صاحبة مقام رفيع" فى عام ١٩٧١ ، وتوفيت فى عام ١٩٧٦ . ومنذ ذلك الحين ظهرت عدة مؤلفات لها منها تلك الرواية التى حققت أعلى المبيعات " Sleeping Murder " وظهرت لاحقًا فى نفس عام وفاتها . بعد ذلك نُشِرَت السيرة الذاتية لها ، ثم مجموعة القصص القصيرة " *Miss Marple's Final Cases* " و " *Problem at Pollensa Bay* " و " *While the Light Lasts* " ، وفى عام ١٩٩٨ تم تحويل أول مسرحية لها وهى " *Black Coffee* " إلى رواية بواسطة مؤلف آخر هو " تشارلز أوزبورن " .

إهداء

إلى روزالين وسوزان الناقدتين

الأوليين لهذا الكتاب

المحتويات

١ رفيق السفر ١

٢ النعي ١٧

٣ ساحرة بدون عصا مكنسة ٣١

٤ لوك يحرز تقدمًا ٤٥

٥ زيارة إلى السيدة وينفليت ٦١

٦ طلاء القبعات ٨٣

٧ الاحتمالات ٩٥

٨ دكتور توماس ١٠١

٩ السيدة بيرس تتحدث ١١٣

١٠ روز هامبلباى ١٢٣

١١ الحياة العائلية للرائد هورتون ١٣٩

١٢ النزال ١٥٥

١٣ السيدة وينفليت تتحدث ١٧٣
١٤ تأملات لوك ١٨٩
١٥ سلوك غير لائق يصدر من السائق ٢٠٩
١٦ شجرة الأناناس ٢٢٥
١٧ اللورد ويتفيلد يتحدث ٢٣٩
١٨ مؤتمر فى لندن ٢٥١
١٩ فسخ الخطبة ٢٦١
٢٠ نحن مشتركان فى هذا . معًا ٢٧٣
٢١ "لماذا تتجولين عبر الحقول وأنت ترتدين قفازات؟" ٢٨٣
٢٢ السيدة هامبلباى تتحدث ٣٠٥
٢٣ بداية جديدة ٣١٥

الفصل ١

رفيق السفر

إنجلترا!

إنجلترا بعد العديد من هذه السنوات!

ترى كيف ستبدو له؟

طرح لوك فيتزوليم على نفسه هذا السؤال وهو يسير عبر المعبر إلى رصيف المحطة؛ فقد كان حاضرًا فى ذهنه طوال وقت انتظاره فى صالة الجمارك، وانتقل فجأة إلى مقدمة رأسه حينما جلس أخيرًا فى القطار.

كان يتذكر كيف كانت تبدو إنجلترا عند رحيله، الكثير من المال للرهانات (بادئ ذى بدء على أية حال!)، أصدقاء قدامى يزورهم، لقاءات مع رفاق آخرين مثله . أى إنه كان يعيش حياة خالية من الهموم زاخرة بعبارات من قبيل: "حسنًا، لن يطول أمد هذا. لماذا لا أستمتع أنا أيضًا! سرعان ما سوف أعود".

ولكن الآن لم يعد هناك مجال للعودة. لا مزيد من الليالى الحارة الخانقة، لا مزيد من الشمس الحارقة والجمال الاستوائى للمزارع الغنية، لا مزيد من الليالى التى يمضيها وحده فى قراءة وإعادة قراءة نسخ قديمة من جريدة التايمز.

ها هو ذا، رجل تم إحالته إلى المعاش ويمتلك بعض الموارد الخاصة، رجل نبيل يمتلك الكثير من وقت الفراغ عاد إلى إنجلترا، ولكن ماذا سوف يفعل هناك؟

إنجلترا! إنجلترا فى أحد أيام يونيه، سماء رمادية وريح حادة قارسة. ليس بها أية أمارات ترحيب بيوم كهذا! والناس! يا إلهى، الناس! حشود منهم، وجوههم جميعًا كانت رمادية مثل السماء. وجوه قلقة ومترقبة. المنازل أيضًا كانت تبرز من كل مكان كثمر عيش الغراب، منازل قذرة صغيرة! منازل قذرة مقززة للنفس! فطائر دجاج منتشرة بشكل فيه مبالغة حمقاء فى كل أنحاء الريف!

وبعد بذل بعض المجهود أبعد لوك فيتزوليم عينيه عن العالم خارج عربة القطار ليجعلها تستقر على الجرائد التى اشتراها لتوه. التايمز والدايلى كلاريون وبنش.

بدأ بجريدة الدايلى كلاريون. كان العدد بالكامل مخصصًا للإبسوم.

فكر لوك: "يا ليتنى جئت بالأمس؛ فأنا لم أر سباق الديربى منذ أن كنت فى التاسعة عشرة".

وهو قد راهن على حصان فى كلوب سويب، وأراد أن يرى الآن احتمالات فوزه فى سباق الكلاريون المناظر، وقد وجد أنه تم التنويه عنه بشكل مختصر فى عبارة واحدة.

"من بين غيرها من الخيول، يمكن بالكاد لجوجيوب الثانى وماركز مايل وسانتونى وجيرى بوى أن يتباروا مع منافسيهم. وهناك دخيل على السباق ـــ".

ولكن لوك لم يكترث كثيرًا بالدخيل على السباق؛ فقد انتقلت عيناه على الفور إلى الرهانات. كان جوجيوب الثانى ترتيبه المتوسط ٤٠ إلى ١.

نظر فى ساعته التى تشير عقاربها إلى الرابعة إلا الربع، وحدث نفسه قائلاً: "حسنًا. لقد انتهى الأمر الآن". وتمنى لو أنه راهن على كلاريجولد والذى كان اختياره الثانى.

بعد ذلك فتح جريدة التايمز وابتلعته الأخبار الأكثر جدية.

ولم يمض وقت طويل قبل أن يُظهر كولونيل صارم الهيئة يجلس فى الركن المقابل امتعاضه من نفس الشىء الذى قرأه لتوه لدرجة جعلته ينقل هذا السخط لرفيق سفره، وقد مضت نصف ساعة كاملة قبل أن يبوح الكولونيل بمكنون صدره الذى كان يؤرقه طوال هذه المدة: "هؤلاء الشيوعيون الأوغاد، يا سيدى".

سقط الكولونيل أخيرًا فى نوم عميق وهو فاغر فاه. وبعد مُضىّ وقت قصير أبطأ القطار خطاه وتوقف فى النهاية. نظر لوك خارج النافذة. كانوا بمحطة كبيرة ذات أرصفة كثيرة تبدو خالية من الرواد، ورمق متجر كتب على أحد الأرصفة كان معلقًا به إعلان يقول: نتيجة سباق الديربى. فتح لوك الباب وقفز خارجًا وركض تجاه متجر الكتب. وبعد لحظة كان

يحدق وعلى وجهه ابتسامة عريضة فى سطور جريدة المحطة غير الواضحة.

نتيجة سباق الديربى

جوجيوب الثانى

مازيبا

كلاريجولد

اتسعت ابتسامة لوك. لقد راهن بمائة دولار على جوجيوب الثانى العجوز الطيب، والذى ازدراه واستبعد فوزه جميع بائعى المعلومات السرية.

طوى الصحيفة وهو لا يزال يبتسم واستدار عائدًا ليواجه الخواء: ففى ظل سعادته بفوز جوجيوب الثانى انسل القطار مغادرًا المحطة دون أن يلاحظ.

سأل الحمّال المتجهم: "متى بحق السماء غادر القطار؟".

أجاب الأخير:

"أى قطار؟ لم يأت أى قطار إلى المحطة منذ قطار ٣,١٤".

"كان هناك قطار يقف فى المحطة الآن. لقد خرجت منه لتوى، الإكسبريس بوت".

أجاب الحمّال فى صرامة:

"إن قطار الإكسبريس بوت لا يتوقف بأى محطة حتى لندن".

قال له لوك مؤكدًا: "لكنه توقف، وقد خرجت منه".

كرر الحمال دون أن يحرّك ساكنًا: "هذا القطار لا يتوقف بأية محطات حتى لندن".

"لقد توقف على هذا الرصيف وخرجت أنا منه، أؤكد لك هذا".

بعد كثير من المجادلات، تخلى الحمّال عن إصراره.

فقال له فى لوم: "ما كان ينبغى عليك ذلك، إنه لا يتوقف هنا".

"ولكنه توقف".

"إن ذلك يسمى إشارة. لقد أرسلت له إشارة، وهذا ليس ما تسميه "توقف"".

قال لوك: "أنا لست خبيرًا فى تلك الفروق الدقيقة مثلك، الأهم، ماذا أفعل الآن؟".

كرر الحمال- صاحب الأفكار البطيئة- كلمات العتاب قائلاً: "ما كان ينبغى عليك مغادرة القطار".

قال لوك: "أوافقك الرأى وأنا أعترف بخطئى، ولكن الخطأ قد وقع بالفعل- ولن يفيد البكاء على اللبن المسكوب، ما أحاول أن أقوله هو: ما الذى تنصحنى بفعله الآن بصفتك موظفًا صاحب خبرة فى شركة السكك الحديدية؟".

"أنت تسألنى ما أفضل شىء يمكنك القيام به الآن؟".

قال لوك: "هذا صحيح، أعتقد أن هناك قطارات أخرى تتوقف- تتوقف بصورة رسمية- هنا؟".

قال الحمّال: "الأفضل لك أن تستقل قطار ٤,٢٥".

قال لوك: "إن كان قطار ٤,٢٥ يذهب إلى لندن، إذن فسوف أستقله".

بعد أن استقر على هذا القرار، أخذ لوك يذرع الرصيف جيئة وذهابًا. وأخبرته لافتة كبيرة بأنه كان فى نقطة اتصال فينى كلايتون الخاصة ببلدة ويتشوود أندر آش، وحاليًا جاء قطار ذو عربة واحدة يتهادى، يدفعه محرك صغير عتيق. دلف القطار إلى المحطة ببطء وهو يطلق الدخان داخل خليج متواضع. وخرج منه ستة أو سبعة أشخاص انضموا إلى لوك على رصيف المحطة بعد أن عبروا جسرًا، وفجأة دبت الحياة فى الحمال المتجهم وشرع فى دفع عربة كبيرة مليئة بالأقفاص والسلال، انضم إليه حمال آخر، وفجأة شرع فى جلجلة عبوات اللبن. لقد دبت الحياة فى فينى كلايتون.

وأخيرًا ـ وفى أبهة كبيرة ـ جاء قطار لندن. كانت عربات الدرجة الثالثة مزدحمة، أما عربات الدرجتين الأولى والثانية فكانت مكونة من ثلاث مقصورات فقط، كل منها يضم بين طياته مسافرًا أو مسافرين. تفحص لوك كل مقصورة، كانت الأولى ـ المخصصة للمدخنين ـ تضم رجلاً عسكريًا يدخن سيجارًا. لكن لوك شعر أنه نال كفايته من الكولونيلات الإنجليز ذوى الأصول الهندية. انتقل إلى المقصورة التالية والتى كانت تضم شابة رقيقة تبدو متعبة ـ والتى تعمل فى الغالب مشرفة حضانة ـ وطفلاً نشطًا فى الثالثة من عمره تقريبًا. تحرك لوك من أمام هذه العربة سريعًا. كان الباب التالى مفتوحًا؛ حيث كانت المقصورة تضم مسافرة واحدة، سيدة عجوز، ذكّرت

لوك بإحدى عماته، عمته ميلدرد والتى سمحت له فى بادرة تنم عن الشجاعة بالاحتفاظ بأفعى ذات أجراس حينما كان فى العاشرة من عمره. إن العمة ميلدرد كانت عمة حنونة وعطوفة كحال العمات جميعًا. دخل لوك العربة وجلس.

بعد مضى خمس دقائق من الحركة المحمومة بالمكان المخصص لشاحنات اللبن وعربات البضائع وأماكن الترفيه الأخرى، تحرك القطار ببطء مغادرًا المحطة. فتح لوك حقيبته وركز على الأخبار التى قد تثير اهتمام رجل قرأ صحيفة الصباح بالفعل.

تمنى ألا يضطر إلى مواصلة القراءة لفترة طويلة؛ فبوصفه رجلاً له العديد من العمات، فقد كان واثقًا من أن السيدة العجوز اللطيفة فى الركن المقابل لا تفضل قضاء وقت الرحلة إلى لندن فى صمت.

وقد كان محقًا، فنافذة كانت بحاجة إلى ضبط ومظلة سقطت مهدتا الطريق أمام السيدة العجوز كى تحدثه عن مميزات هذا القطار.

"ساعة واحدة وعشر دقائق فقط. هذا جيد جدًا كما تعلم. أفضل من قطار الصباح كذلك؛ فقطار الصباح يستغرق ساعة وأربعين دقيقة".

أردفت قائلة:

"بالطبع؛ فالجميع تقريبًا يستقلون قطار الصباح. أعنى حينما يكون سعر تذكرة الصباح أقل، يصبح من السخف استقلال قطار بعد الظهيرة، ولقد كنت أنوى السفر هذا

الصباح ولكن ونكى بو كان مفقودًا، هذا هو قطى الفارسى، وهو قط جميل حقًا، إلا أنه كان مصابًا بألم فى أذنه مؤخرًا. وبالطبع لم يكن فى إمكانى مغادرة المنزل حتى أعثر عليه".

تمتم لوك:

"بالطبع لا"، ثم ترك عينيه تسقطان على الفور على جريدته، ولكن لم يُجْدِ هذا نفعًا؛ فقد تدفق سيل الثرثرة.

"لذا لم يكن هناك بد من اللجوء إلى الخيار الثانى وهو قطار ما بعد الظهيرة، وبالطبع هذا القطار له مميزاته؛ فهو ليس مزدحمًا للغاية. وأنت لن تعانى من هذه المشكلة بالطبع إن استقللت الدرجة الأولى. وبالطبع أنا لا أستقل هذه الدرجة دائمًا. أعنى أننى أعتبر هذا ضربًا من الرفاهية؛ فلا يتبقى للمرء الكثير بعد دفع الضرائب وأجور الخادمين وغيرها من النفقات هذا مع انخفاض الإيرادات كذلك. ولكننى كنت مستاءة حقًا لأننى - وكما ترى - ذاهبة لإتمام مهمة فى غاية الأهمية وأردت أن أفكر فيما ينبغى أن أقوله بدقة. فى هدوء كما تعلم.".

منع لوك نفسه من التبسم، فأردفت قائلة: "وحينما يكون هناك أشخاص يسافرون للشمال كذلك. حسنًا لا يمكن للمرء ألا يكون ودودًا. لذا فقد ظننت أن التكاليف الإضافية قد آتت أكلها ولو لمرة. بالرغم من أننى لا أعتقد أنه يمكن للمرء أن يهدر أموالاً فى أيامنا هذه. فلا يوجد من يدخر أو يفكر بالمستقبل. وكم أنا حزينة لأن الثوانى قد تم إلغاؤها. فقد كانت تحدث هذا الفارق البسيط".

واصلت حديثها سريعًا بعد أن رمقت وجه لوك البرونزى سريعًا: "وبالطبع أنا أعرف جنودًا يسافرون فى الإجازات بالدرجة الأولى. أعنى لكونهم جنودًا فمن المتوقع منهم ـ".

ظل لوك محدقًا إلى هاتين العينين البراقتين الفضوليتين. وقد أذعن على الفور؛ إذ علم أنه سيصل إلى هذه النقطة فى النهاية.

قال: "أنا لست جنديًا".

"آه، أنا آسفة. أنا لم أقصد هذا. أنا فقط فكرت. أنك مصاب بسمرة شديدة. وربما تكون قد رجعت إلى الوطن من الشرق فى إجازة".

قال لوك: "لقد عدت إلى الوطن من الشرق ولكن ليس فى إجازة". وقد فضل أن يقمع المزيد من الأسئلة الاستكشافية بإدلائه بتصريح جرىء: "أنا شرطى".

"تعمل بالبوليس؟ إن هذا مشوق حقًا، إن لى صديقة مقربة التحق ابنها مؤخرًا بالشرطة".

قال لوك سالكًا طريقًا مختصرًا: "ماينج سترايتس".

"آه، يا إلهى. هذا مثير. يا لها من مصادفة. أعنى سفرك فى هذه العربة. فهذه المهمة التى أود القيام بها فى المدينة بخصوص. حسنًا، أنا ذاهبة إلى شرطة سكوتلاند يارد".

قال لوك: "حقًا؟".

فكر بينه وبين نفسه: "هل سينتهى ما بجعبتها سريعًا كالساعة الرملية، أم أن هذا الحال سيستمر طوال الطريق إلى لندن؟"، ولكنه لم يكن مستاء للغاية؛ لأنه كان مغرمًا حقًا

بعمته ميلدرد، وتذكر كيف أنها استطاعت ذات مرة تسديد دين قيمته خمسة جنيهات فى اللحظة النهائية الحاسمة. علاوة على ذلك، فإن ثمة شيئًا حميمًا وإنجليزيًا بهؤلاء السيدات العجائز مثل تلك السيدة العجوز وعمته ميلدرد. فلم يكن هناك ما يضاهيهن فىماينج سترايتس. وهن كن يتميزن بعمل بودينج البرقوق فى رأس السنة وكريكيت القرية والمدافئ المفتوحة التى تحرق بها الأخشاب. إنها نوعية الأشياء التى تشتاق لها كثيرًا وتقدرها حقًا حينما لا تكون بحوزتك وتكون على الجانب الآخر من العالم (وهى أيضًا نوعية الأشياء التى تمل منها حينما تحصل على الكثير منها، ولكن لوك لم يصل إلى إنجلترا إلا منذ ثلاث أو أربع ساعات مضت).

واصلت السيدة العجوز حديثها بسعادة:

"نعم، كنت أنوى الذهاب فى هذا الصباح. وبعد ذلك كما أخبرتك ساورنى القلق بشأن ونكى بو، لكنك لا تعتقد أن الوقت قد تأخر، أليس كذلك؟ أعنى ليس هناك ساعات عمل محددة فى سكوتلاند يارد".

قال لوك: "لا أعتقد أنهم يغلقون أبوابهم فى الرابعة أو أى شىء من هذا القبيل".

"لا، بالطبع لا، لا يمكن ذلك، أليس كذلك؟ أعنى ربما يود أحدهم الإبلاغ عن جريمة خطيرة فى أى وقت، أليس كذلك؟".

قال لوك: "بالطبع".

سكتت السيدة العجوز للحظة، وقد بدت قلقة.

قالت أخيرًا: "طالما اعتقدت أنه من الأفضل اللجوء إلى المصدر الرئيسى. إن جون ريد هو شخص لطيف حقًا. هذا هو شرطينا فى ويتشوود. رجل دمث ومعسول الكلام. ولكننى لا أشعر أنه الشخص المناسب للتعامل مع موضوع بهذه الجدية والخطورة؛ فهو معتاد على التعامل مع الثملين أو هؤلاء ممن تخطوا السرعة أو المعربدين. أو الأشخاص الذين لم يستخرجوا رخصة لتربية كلب. أو ربما مع اللصوص. ولكننى لا أعتقد. وأنا واثقة من هذا. أنه الشخص الملائم للتعامل مع جريمة قتل!".

رفع لوك حاجبيه:

"قتل؟".

أومأت السيدة العجوز بقوة:

"نعم، قتل. أنت مندهش، يمكننى أن أرى هذا. أنا كنت خائفة فى البداية... فى الواقع لم يكن باستطاعتى تصديق ذلك، وقد اعتقدت أننى أتخيل أشياء".

سأل لوك برقة: "هل أنت واثقة أنها ليست مجرد أوهام".

هزت رأسها فى ثقة: "لا، لا. ربما ظننت ذلك فى المرة الأولى، ولكن ليس الثانية أو الثالثة أو الرابعة؛ فبعد ذلك يصبح المرء واثقًا".

قال لوك:

"أتعنين أنه وقعت. عدة جرائم قتل؟".

أجاب الصوت الرقيق الهادئ:

"أخشى ذلك".

واصلت كلامها قائلة:

"لهذا اعتقدت أنه من الأفضل الذهاب مباشرة إلى سكوتلاند يارد وإبلاغهم بالأمر، ألا تعتقد أنه أفضل شيء يمكن القيام به؟".

نظر لوك إليها وهو مستغرق فى التفكير ثم قال:

"آه، نعم. أعتقد أنك محقة تمامًا".

فكر بينه وبين نفسه:

"إنهم سوف يعرفون كيف يتعاملون معها؛ إذ يتوارد عليهم فى الغالب نصف دستة من السيدات العجائز اللاتى يثرثرن حول جرائم القتل التى ترتكب فى قُراهن الريفية الهادئة! وربما يكون هناك قسم خاص بالسيدات العجائز اللطيفات".

وقد رأى فى خياله كذلك محققًا شابًا عطوفًا ووسيمًا يتمتم فى لباقة:

"شكرًا لك يا سيدتى؛ نحن ممتنون لك للغاية، الآن عودى إلى منزلك واتركى لنا الأمر ولا تقلقى حياله بعد الآن".

ابتسم قليلاً لنفسه حينما تخيل هذه الصورة، وفكر بينه وبين نفسه:

"أتساءل لماذا تراودهن مثل هذه الخيالات؟ ربما بسبب حياتهن الرتيبة، وهناك توق شديد غير معترف به للدراما. وقد سمعت أن بعض السيدات يتوهمن أن الجميع يضعون لهن سمًا فى طعامهن".

أفاق من هذه التأملات على صوت السيدة الرفيع والرقيق:

"أتعلم، أتذكر أننى قرأت ذات مرة. أعتقد أنها كانت قضية آبركرومبى. بالطبع لقد قام بسم عدد كبير من الناس

قبل أن يشك أحد به. ماذا كنت أقول؟ آه، نعم، قال أحدهم إنه ثمة نظرة ما. نظرة معينة يرمقها لأى شخص. وبعد ذلك بوقت قصير يصبح الشخص مريضًا. أنا لم أصدق هذا حينما قرأته، ولكنه صحيح!".

"ما الصحيح؟".

"النظرة على وجهه ...".

حدق بها لوك. كانت ترتعد قليلاً وقد فقدت وجنتاها بعض احمرارهما.

"رأيت هذا أولاً مع آمى جيبس. وقد ماتت. بعد ذلك كان كارتر، وتومى بيرس. ولكن الآن. بالأمس. كان دكتور هامبلباى. وهو رجل طيب حقًا. رجل طيب بالفعل. إن كارتر كان سكيرًا وتومى بيرس كان فتى صغيراً ممتلئ الخدين ووقحًا ويستأسد على غيره من الفتيان الصغار، يلوى أيديهم ويقرصهم. أنا لم أشعر بالحزن كثيرًا من أجلهما، ولكن دكتور هامبلباى مختلف. لابد من إنقاذه. والشيء المريع حقًا هو أننى لو ذهبت إليه وأخبرته بهذا الأمر فإنه لن يصدقنى! سوف يضحك فقط! وجون ريد لن يصدقنى كذلك. ولكن فى سكوتلاند يارد سيكون الأمر مختلفًا؛ فهم معتادون على الجرائم هناك!".

نظرت خارج النافذة.

"يا إلهى! سوف نصل خلال لحظات". بدت قلقة بعض الشيء وأخذت تفتح وتغلق حقيبتها، وشرعت فى الإمساك بمظلتها.



قالت للوك وهو يلتقط مظلتها للمرة الثانية: "أشكرك. أشكرك كثيرًا، أنت لا تعلم مدى الراحة التى أحسست بها حينما تحدثت إليك. إنك عطوف للغاية وأنا سعيدة لأنك تعتقد أننى أفعل الصواب".

قال لوك فى عطف:

"أنا واثق من أنهم سيقومون بإسدائك نصيحة جيدة فى سكوتلاند يارد".

أخذت تفتش فى حقيبتها قائلة: "أنا ممتنة لك للغاية. بطاقتى. يا إلهى، إن لدى واحدة فقط. لابد أن أحتفظ بها من أجل سكوتلاند يارد".

"بالطبع، بالطبع ـ".

"لكن اسمى هو بنكرتون".

قال لوك وهو يبتسم: "إنه اسم جميل حقًا يا سيدة بنكرتون"، ثم أضاف سريعًا حينما بدت مرتبكة: "واسمى هو لوك فيتزوليم".

أضاف حينما دلف القطار داخل المحطة.

"أتودين أن أجلب لك سيارة أجرة؟".

"لا، لا، شكرًا لك". بدت السيدة بنكرتون مصدومة من الفكرة. "سوف أستقل القطار. إنه سوف يأخذنى إلى ميدان ترافالجر، ويمكننى السير حتى وايتهول".

قال: "حسنًا، حظًا سعيدًا!".

صافحته السيدة بنكرتون بحرارة.

تمتمت ثانية: "أنت عطوف للغاية. أتعلم، فى البداية ظننت أنك لا تصدقنى".

تورد وجه لوك.

قال: "حسنًا. العديد من جرائم القتل! من الصعب أن يرتكب أحدهم الكثير من جرائم القتل ويفلت بفعلته، أليس كذلك؟".

هزت السيدة بنكرتون رأسها.

قالت بجدية:

"لا، لا يا عزيزى، هنا حيث تقع فى الخطأ. من السهل للغاية أن تقتل. طالما لا أحد يشك بك، وكما ترى فإن المجرم هو آخر شخص يمكنك توقعه!".

ابتلع الزحام السيدة بنكرتون. وقد ذهب لوك بحثًا عن حقائبه وهو يفكر:

"يا لها من معتوهة؟ لا، لا أعتقد هذا، إنه فقط خيال خصب، أتمنى أن يثبطوا من عزمها برقة، يا لها من سيدة عجوز طيبة!".

الفصل ٢

النعى

١

كان جيمى لوريمر أحد أصدقاء لوك القدامى، وكما جرت العادة، فقد استقر لوك لدى جيمى بمجرد وصوله إلى لندن. فكان جيمى هو من طرق بابه ليلة وصوله بحثًا عن التسلية. وكانت قهوة جيمى هى التى احتساها برأس متألم فى صباح اليوم التالى، وكان صوت جيمى هو الذى تردد مرتين دون إجابة أثناء قراءته فقرة لا تحمل كثيرًا من الأهمية فى جريدة الصباح.

قال لوك بعدما عاد من شروده جافلًا: "آسف يا جيمى".

"ما الذى استولى على تفكيرك بهذا الشكل. الموقف السياسى؟".

ابتسم لوك.

"لا. إنه أمر غريب حقًا. إن السيدة العجوز التى سافرت معها بالأمس تعرضت لحادث سيارة".

قال جيمى: "هذا يثبت فشل منارات بيليشيا بيكون، ولكن ما أدراك أنها هى؟".

"بالطبع قد لا تكون هى. ولكنه نفس الاسم . بنكرتون . لقد دهستها سيارة أثناء عبورها ساحة وايتهول. والسيارة لم تتوقف".

قال جيمى: "يا له من وغد!".

"نعم، السيدة العجوز اللطيفة، أنا آسف من أجلها للغاية. كانت تذكرنى بعمتى ميلدرد".

"أيًا كان الذى يقود هذه السيارة، فإنه سوف ينال جزاءه؛ لأنه فى مثل هذه الحالات يتساوى القتل المتعمد بغير المتعمد، ولا أخفيك أننى أخشى أن أقود سيارة فى وقتنا الحالى".

"ما نوع السيارة التى تملكها الآن؟".

"فورد فى ٨. لابد أن أخبرك أنها ـ".

أصبح الحوار ميكانيكيًا للغاية.

قاطعه جيمى فجأة كى يسأل:

"ما الذى تدندنه؟".

كان لوك يدندن أغنية بينه وبين نفسه:

"فيدل دى دى، فيدل دى دى، ذا فلاى هاز ماريد ذا بامبل بى".

اعتذر له قائلاً:

"إنها أغنية كنت قد تعلمتها أثناء طفولتى بالحضانة. لا أعلم ما الذى ذكرنى بها".

٢

كان قد مضى أكثر من أسبوع، حينما كان لوك يتصفح عرضيًا الصفحة الأولى لجريدة التايمز وشهق مفزوعًا عند وقوع عينيه على خبر ما.

"آه، يا إلهى!".

نظر إليه جيمى لوريمر.

"ما الأمر؟".

لم يجب لوك. كان يحدق إلى اسم فى أحد أعمدة الجريدة.

كرر جيمى سؤاله.

رفع لوك رأسه ونظر إلى صديقه. كان التعبير المرسوم على وجهه مخيفًا لدرجة أن جيمى أجفل.

"ما الأمر يا لوك؟ تبدو كأنك رأيت شبحًا".

طوال دقيقة أواثنتين لم يجب الطرف الآخر، ولكنه أسقط الجريدة وسار إلى النافذة ثم عاد مجددًا. ظل جيمى يراقبه بدهشة متزايدة.

سقط لوك فوق أحد المقاعد واتكأ للأمام.

"جيمى، يا عزيزى، هل تذكر تلك السيدة العجوز التى سافرت معها يوم وصولى إلى إنجلترا وكنت حدثتك عنها؟".

"تلك التى قلت إنها ذكرتك بعمتك ميلدرد؟ وبعد ذلك أخبرتنى أنها تعرضت لحادث سيارة لقيت مصرعها على إثره؟".

"إنها هى. أنصت يا جيمى. لقد ظلت السيدة العجوز تهذى طويلاً بشأن ذهابها إلى سكوتلاند يارد لإبلاغهم عن مجموعة من حوادث القتل؛ فهناك قاتل طليق فى قريتهم . فذاك هو ملخص ما أخبرتنى به، وهو ينفذ عمليات قتل سريعة متوالية".

قال جيمى: "إنك لم تخبرنى بأنها معتوهة".

"لم أعتقد أنها معتوهة".

"بالله عليك يا عزيزى، جرائم قتل بالجملة ـ".

قال لوك فى نفاد صبر:

"لا أعتقد أنها كانت مجنونة، بل ظننت فقط أنها تطلق العنان لخيالها مثلما تفعل السيدات العجائز فى بعض الأحيان".

"حسنًا، نعم، ربما يكون هذا صحيحًا، ولكنها على الأرجح معتوهة كذلك، أنا واثق من هذا!".

"لا يهم ماذا تعتقد يا جيمى. حاول أن تنصت إلى ما أخبرتك به الآن".

"حسنًا، حسنًا، ما الأمر".

"لقد كانت تفصيلية وأخبرتنى باسم ضحية أو اثنتين ثم شرحت لى أن ما يؤرقها حقًا هو أنها تعلم الضحية التالية".

قال له جيمى مشجعًا إياه على مواصلة كلامه: "نعم، وماذا بعد؟".

"فى بعض الأحيان يعلق اسم فى رأسك لأحد الأسباب السخيفة؛ وهذا الاسم علق فى رأسى لأننى قمت بالربط بينه

وبين أغنية أطفال اعتادوا ترديدها لى حينما كنت طفلاً، فيدل دى دى، فيدل دى دى، ذا فلاى هاز ماريد ذا بامبل بى".

"يا لك من حاذق، ولكن ما المغزى؟".

"المغزى أيها الأحمق أن اسم الرجل كان هامبلباى. دكتور هامبلباى، ولقد أخبرتنى السيدة العجوز أن دكتور هامبلباى هو الضحية التالية، وهى كانت حزينة لأنه "رجل طيب للغاية". وقد علق الاسم فى رأسى بسبب الأغنية التى أخبرتك عنها".

قال جيمى: "حسنًا؟".

"حسنًا، انظر إلى هذا!".

أعطاه لوك الجريدة بينما إصبعه مرتكز على بداية عمود الوفيات.

هامبلباى. فى الثالث عشر من يونيو. وعلى نحو مفاجئ. توفى دكتور جون إدوارد هامبلباى الزوج المحب لجيسى روز هامبلباى فى منزله ساندجيت فى ويتشوود أندر آش. الجنازة يوم الجمعة. ممنوع إحضار الزهور نزولاً على رغبة الأسرة.

"هل ترى يا جيمى؟ هذا هو الاسم وهذا هو المكان وهو طبيب. بم تفسر هذا؟".

استغرقت الإجابة من جيمى لحظة أو اثنتين. كان صوته جادًا حينما قال أخيرًا فى عدم ثقة:

"أعتقد أنها مجرد مصادفة غريبة لعينة".

"حقًا يا جيمى؟ أهى كذلك؟ أهذا هو كل ما فى الأمر؟".

شرع لوك فى السير للأمام والخلف مجددًا.

سأل جيمى: "كيف تفسر الأمر إذن؟".

استدار لوك فجأة.

"أفترض أن كل كلمة قالتها هذه العجوز الشمطاء كانت صحيحة! أفترض أن هذه القصة الخيالية كانت هى الحقيقة!".

"بالله عليك يا صديقى! سيكون ذلك أمرًا غريبًا حقًا! إن أمورًا مثل هذه لا تحدث".

"ماذا تعرف عن قضية آبركرومبى؟ ألم ينج بجرائمه؟".

قال جيمى: "أكثر مما يعرف أى أحد؛ فأحد أصدقائى له ابن عم كان يعمل محققًا محليًا، وقد سمعت بعض المعلومات عن هذا الحادث منه؛ فهم اعتقلوا آبركرومبى من أجل إطعامه الطبيب البيطرى المحلى زرنيخًا، وبعد ذلك قاموا باستخراج جثة زوجته ووجدوها مليئة بنفس المادة. وهذا ليس كل ما فى الأمر، فما خفى كان أعظم؛ فقد أخبرنى صديقى أن هناك شكًا غير معلن أن آبركرومبى قد أفلت على الأقل بخمس عشرة جريمة قتل فى وقته. خمس عشرة!".

"تمامًا. إذن فهذه الأمور تحدث!".

"نعم، ولكنها لا تحدث كثيرًا".

"كيف لك أن تعرف؟ إنها قد تحدث أكثر مما قد تعرف".

"هذا هو الشرطى الذى يتحدث! ألا يمكنك أن تنسى أنك كنت شرطيًا وأنك الآن تقاعدت؟".

قال لوك: "كنت شرطيًا، وسوف أظل شرطيًا، على ما أعتقد، الآن اسمعنى يا جيمى، إذا ما افترضنا أنه قبل أن

يجن جنون آبركرومبى للدرجة التى تجعل الشرطة تكشف جرائمه استطاعت سيدة عجوز ثرثارة أن تخمن ما سوف يفعله وعقدت العزم على أن تبلغ السلطات بهذا الأمر، فهل تعتقد أنهم قد ينصتون لها؟".

ابتسم جيمى:

"بالطبع لا!".

"تمامًا، كانوا سيقولون إنها معتوهة، تمامًا كما فعلت أنت! أو كانوا سيقولون: "إنها تتمتع بخيال خصب، وليس بوسعنا أن نفعل لها شيئًا"، كما قلت أنا! وحينها يا جيمى كان كلانا سيكون قد حايد الصواب!".

فكر جيمى فيما سمعه للحظة أو اثنتين، ثم قال:

"ما هو الوضع تمامًا. كما يتراءى لك؟".

قال لوك ببطء:

"القضية هى كما يلى. لقد سمعت قصة غير محتملة الحدوث، ولكنها ليست مستحيلة الحدوث، وثمة دليل. ألا وهو موت دكتور هامبلباى. يدعم هذه القصة. وهناك حقيقة دامغة أخرى؛ حيث كانت السيدة بنكرتون ذاهبة إلى سكوتلاند يارد بحكايتها غير المحتملة تلك، ولكنها لم تصل إلى هناك، فقد لقيت مصرعها حينما دهستها سيارة لم تتوقف".

اعترض جيمى.

"أنت لا تعلم إن كانت قد ذهبت للشرطة أم لا؛ فربما تكون قد لقيت مصرعها بعد خروجها من قسم الشرطة وليس قبل دخولها إياه".

"هذا محتمل، ولكننى لا أعتقد هذا".

"إن هذا مجرد افتراض. لقد خلصت أنت إلى هذا، فأنت تؤمن بهذا. هذه الميلودراما".

هز لوك رأسه بحدة.

"لا، أنا لم أقل هذا، كل ما أقوله هو أنه توجد قضية تستلزم التحقيق".

"بمعنى آخر، أنت ذاهب إلى سكوتلاند يارد".

"لا، أنا لم أتوصل إلى هذا القرار بعد. ليس فعليًا. فكما قلت، قد يكون موت هامبلباى مجرد مصادفة".

"إذن. إذا سمحت لى بالسؤال. ما الذى تنوى فعله؟".

"أود الذهاب إلى هذا المكان ودراسة الأمر".

"إذن هذا هو ما تنوى القيام به؟".

"ألا توافقنى على أن ذلك هو السبيل الوحيد لسبر أغوار الأمر؟".

حدق جيمى به ثم قال:

"هل أنت جاد بخصوص هذا الأمر يا لوك؟".

"بالطبع".

"ماذا لو أن الأمر كله مجرد وهم؟".

"سيكون هذا هو أفضل شىء يمكن حدوثه".

قطب جيمى حاجبيه قائلاً: "نعم بالطبع، ولكنك لا تعتقد هذا، أليس كذلك؟".

"يا صديقى العزيز، إن لى عقلاً متفتحًا"، وظل جيمى صامتًا للحظة أو اثنتين، ثم قال:

"هل لديك أية خطة؟ أعنى، لابد أن يكون بجعبتك سبب يبرر ذهابك المفاجئ إلى هناك".

"نعم، أفترض ذلك".

"ليس هناك مجال للافتراض فى أمر مثل هذا. هل تدرك كيف تكون مدينة ريفية إنجليزية صغيرة؟ إن أى وافد جديد يبرز من على بعد ميل!".

قال لوك بعدما ابتسم فجأة: "سوف أتنكر. ماذا تقترح علىّ؟ رسام؟ أنا لا أستطيع الرسم ناهيك عن التلوين".

اقترح جيمى: "يمكنك أن تكون فنانًا عصريًا. فى ذلك الحين لن يشكل هذا فارقًا".

ولكن لوك كان جادًا بخصوص هذا الأمر.

"مؤلف؟ هل يذهب المؤلفون إلى مزارع القرى الغريبة للتأليف؟ قد يفعلون ذلك. صياد سمك، ربما. ولكن سينبغى علىّ أن أتأكد إن كان هناك نهر قريب من المكان. مريض أمره الطبيب بالذهاب إلى الريف للاستفادة من الجو الصحى؟ لن يجدى هذا نفعًا، كما أن الجميع يذهبون إلى دور المسنين فى أيامنا هذه، إن تلك الأفكار ليست جيدة. هيا يا جيمى ساعدنى من فضلك، لابد أن هناك سببًا منطقيًا يجعل رجلاً غريبًا يزور قرية إنجليزية؟".

قال جيمى:

"انتظر لحظة. أعطنى هذه الجريدة مرة أخرى".

بعد أن أخذها رمقها سريعًا وأعلن فى انتصار:

"كنت أعلم هذا! لوك يا صديقى. باختصار، سوف أرتب لك كل شىء، الأمر فى غاية السهولة!".

استدار لوك:

"ماذا؟".

واصل جيمى حديثه ببعض الفخر:

"أعتقد أننى وجدت الحل! ويتشوود أندر آش. بالطبع! هذا هو المكان!".

"هل تعرف أحدًا يعرف المحقق هناك؟".

"ليس هذه المرة. لدى ما هو أفضل من ذلك يا صديقى. إن الله كما تعلم قد حبانى بالكثير من العمات وأولاد العم. فأبى هو أحد أفراد أسرة مكونة من ثلاثة عشر أخًا وأختًا. الآن اسمع هذا: إن أحد أبناء عمومتى يقطن فى ويتشوود أندر آش".

"جيمى، أنت مدهش".

قال جيمى فى تواضع: "هذا رائع، أليس كذلك؟".

"حدثنى عنه".

"عنها. اسمها بريدجيت كونواى. طوال العامين الماضيين كانت تعمل سكرتيرة لدى اللورد ويتفيلد".

"الرجل الذى يمتلك هذه الجريدة الأسبوعية القذرة؟".

"هذا صحيح. وهو رجل ضئيل قذر كذلك! مغرور! لقد ولد فى ويتشوود أندر آش، وهو من النوعية المتكبرة الذى لا يكف عن إزعاجك بقصص عن مولده وتربيته وفخره بكونه رجلاً عصاميًا؛ فهو قد عاد إلى قريته واشترى المنزل الكبير الوحيد

فى المكان (والذى كان ملكًا لعائلة بريدجيت بالمناسبة) وهو مشغول حاليًا بتحويله إلى مبنى نموذجى ومثالى".

"وابنة عمك هى سكرتيرته؟".

قال جيمى فى حزن: "كانت. لقد أصبحت أفضل حالاً الآن! فهى خطيبته حاليًا!".

قال لوك فى دهشة: "حقًا!".

قال جيمى: "إنه صيد ثمين بالطبع؛ فلديه ثروة طائلة. لقد كانت بريدجيت واقعة فى حب شخص ما والذى جعلها تكف عن الإيمان بالرومانسية. أعتقد أن الأمر سينجح. فهى صارمة معه للغاية وهو لا يستطيع الاستغناء عنها".

"وأين يمكننى أن أقيم هناك؟".

أجاب جيمى سريعًا:

"سوف تقيم هناك. فأنت سوف تصبح ابن عم آخر. إن بريدجيت لديها الكثيرون بحيث لن يشكل واحد آخر فارقًا بالنسبة لها. سوف أرتب معها كل شىء؛ فمادمت أنا وهى صديقين مقربين، أما بالنسبة لسبب ذهابك إلى هناك، فهو السحر يا صديقى".

"السحر؟".

"الفولكلور، الخرافات المحلية. كل هذه الأشياء. إن ويتشوود أندر آش مشهورة بهذه الأمور. إنها أحد الأماكن القليلة التى لا يزال يتجمع بها السحرة فى يوم السبت لممارسة سحرهم. فالساحرات كن يحرقن هناك حتى القرن الماضى. بالإضافة إلى كل أنواع الممارسات الأخرى. أنت تؤلف كتابًا، حسنًا؟



تربط بين عادات ماينج سترايتس والفولكلور الإنجليزى. أوجه الشبه وما إلى ذلك. أنت تعرف مثل هذه الأمور. اذهب وفى يدك دفتر ملاحظات واعقد لقاءات مع السكان الأكبر سنًا بخصوص العادات والخرافات المحلية. إنهم معتادون على مثل هذه الأشياء هناك، وإن كنت تقيم فى آش مانور فذاك سيبرهن على هذا".

"ماذا عن اللورد ويتفيلد؟".

"سيكون على ما يرام. إنه غير متعلم وساذج للغاية. فهو يصدق فى الواقع الأشياء التى يقرؤها فى صحفه. على أية حال سوف تتولى بريدجيت أمره. إن بريدجيت حاذقة. أؤكد لك ذلك".

أخذ لوك نفسًا عميقًا.

"جيمى، يا صديقى القديم، يبدو أن الأمر سيكون سهلاً. أنت مدهش. إن كان بوسعك حقًا ترتيب الأمر مع ابنة عمك ـــ".

"كل شىء سيكون على ما يرام، اترك الأمر لى".

"أنا ممتن لك للغاية".

قال جيمى:

"كل ما أطلبه منك هو أن تشركنى فى الإثارة إذا نجحت فى اكتشاف القاتل!".

ثم أضاف بحدة:

"ما الأمر؟".

قال لوك ببطء:

"فقط تذكرت شيئاً قالته لى السيدة العجوز، لقد قلت لها إنه من الصعب ارتكاب العديد من جرائم القتل والإفلات بها، ولكنها أجابتنى بأننى مخطئ. وأنه من السهل للغاية أن تقتل..."، سكت ثم قال ببطء: "أتساءل إن كان هذا صحيحًا يا جيمى؟ أتساءل إن كان صحيحًا ـــ".

"ما هو؟".

"أن يكون من السهل أن تقتل.....".

الفصل ٣

ساحرة بدون عصا مكنسة

١

كانت الشمس مشرقة حينما وصل لوك إلى التل ومنه إلى قرية ويتشوود أندر آش الريفية، كان قد اشترى سيارة ستاندرد سوالو مستعملة، والتى توقف بها على أعلى التل وأطفأ المحرك.

كان هذا اليوم الصيفى دافئاً ومشمسًا. بالأسفل كانت تستقر القرية التى لم يفسدها التطور الحديث. كانت ترقد ببراءة وسكينة أسفل أشعة الشمس. وتتكون فى معظمها من شارع ممتد فى غير اتساق والذى كان يمتد للأمام أسفل حافة منحدر آش ريدج.

بدت القرية نائية وهادئة، فكر لوك: "بالتأكيد أنا معتوه. إن الأمر برمته هو مجرد خيال".

هل جاء إلى هنا بمفرده كى يعثر على قاتل. ببساطة بسبب ثرثرة سيدة عجوز ونعى قرأه فى صحيفة؟

هز رأسه.

تمتم قائلاً: "بالتأكيد مثل هذه الأمور لا تحدث، أم أنها تحدث. لوك، يا عزيزى، إن الأمر راجع لك كى تثبت إما أنك الأحمق رقم واحد فى العالم، أو أن أنفك البوليسى قد قادك إلى الرائحة الصحيحة".

أدار المحرك وقاد السيارة ببطء فى الطريق المتعرج حتى دلف إلى الشارع الرئيسى.

إن ويتشوود ـ كما سمع ـ تتكون فى الأساس من شارع رئيسى واحد، وكانت هناك متاجر ومنازل جورجية صغيرة، أنيقة وأرستقراطية، ذات درجات بيضاء ومقارع أبواب مطلية، كما كانت هناك أكواخ رائعة ملحق بها حدائق زهور. وكانت حانة ذا بيلز آند موتلى تستقر على بعد مسافة من الشارع. كانت توجد مساحة خضراء وبركة للبط يعلوهما منزل جورجى أنيق اعتقد لوك فى البداية أنه وجهته ـ منزل آش مانور. ولكن عند الاقتراب رأى لافتة كبيرة تقول إنه المتحف والمكتبة، وبالأمام قليلاً كانت توجد مفارقة تاريخية، منزل أبيض عصرى كبير، صارم وغير متناسق مع المكان المبهج من حوله. وقد علم لوك أن ذاك هو مبنى المؤسسة المحلية ونادى الرجال.

كان هذا هو الوقت الذى توقف فيه وسأل عن مكان وجهته.

أخبره أحدهم أن آش مانور على بعد نصف ميل للأمام. سوف يرى البوابات على يمينه.

استمر لوك فى طريقه، فوجد البوابات بسهولة. كانت مصنوعة من حديد مطاوع جديد ومتقن. قاد سيارته عبر

البوابات ولمح جزءًا من طوب أحمر خلال الأشجار، ثم انحرف بالطريق ليصاب بالذهول لرؤية كتلة ذات شرفات منفرجة مروعة ومتنافرة أمام ناظريه.

بينما كان يتفكر فى هذا الكابوس أضاءت الشمس المكان. أصبح فجأة مدركًا لتهديد آش ريدج المفرط. كانت هناك دفقة رياح حادة مفاجئة، تلطم أوراق الشجر، وفى هذه اللحظة خرجت فتاة من ركن المنزل ذى الشرفات المنفرجة.

تطاير شعرها الأسود حول رأسها بفعل دفقة الرياح الفجائية مما جعل لوك يتذكر صورة كان قد رآها قبل ذلك. ساحرة نيفسون، الوجه الطويل الشاحب، الشعر الأسود الذى يطير نحو النجوم. كان بوسعه رؤية هذه الفتاة فوق مكنسة تطير نحو القمر....

جاءت مباشرة نحوه.

"لابد أنك لوك فيتزوليم. أنا بريدجيت كونواى".

صافح اليد الممدودة له. كان يمكنه الآن رؤيتها كما هى. وليس كما رآها فى لحظة خيال. طويلة ونحيفة ذات وجه رقيق طويل ذى عظام وجنة غائرة وحاجبين أسودين ساخرين. وعينين سوداوين وشعر أسود، كانت تشبه محلولاً كيميائيًّا رقيقًا ـ لاذعًا وجميلاً.

كان قد رسم صورة فى ذهنه أثناء رحلة عودته إلى إنجلترا. صورة فتاة إنجليزية متوردة الوجه أصابتها حمرة الشمس. تربت على عنق جواد، وتنحنى لاقتلاع الحشائش الضارة، وتجلس مادة يديها أمام مدفأة نارية. كانت رؤية دافئة وجميلة.

الآن، لم يعرف إن كانت بريدجيت كونواى قد حازت على إعجابه أم لا، ولكنه أدرك أن هذه الصورة السرية قد تمزقت وتحطمت، وأصبحت بلا معنى وغبية.

قال:

"كيف حالك؟ لابد أن أعتذر عن إقحام نفسى عليك بهذا الشكل، ولكن قال لى جيمى إنك لن تمانعى".

"لا؛ نحن لا نمانع بالمرة. إننا سعداء". ابتسمت ابتسامة فجائية عريضة جلبت حواف فمها الطويل حتى منتصف وجنتيها، "أنا وجيمى نؤازر بعضنا البعض دومًا، وإن كنت تؤلف كتابًا عن الفولكلور، فهذا هو المكان المناسب لتأليفه؛ فهنا توجد جميع أنواع الخرافات والأماكن الآخذة للألباب".

قال لوك: "مدهش".

مضيا معًا تجاه المنزل، واختلس لوك نظرة أخرى ناحيته. رأى آثار ما كان ذات يوم منزلاً على طراز منازل الملكة آن والذى كان يكسوه زخارف رائعة. تذكر أن جيمى أخبره أن المنزل كان ذات يوم ملكًا لعائلة بريدجيت. كانت تلك. كما فكر فى حزن. هى أيام المنزل العصيبة، وقد اندهش حينما استرق النظر إلى هيئتها ويديها الجميلتين.

كان يعتقد أنها فى الثامنة والعشرين أو التاسعة والعشرين من عمرها. كانت ذكية كذلك. كانت أحد هؤلاء الذين لا تعرف عنهم شيئًا حتى يقرروا هم أن تعرف...

فى الداخل كان المنزل مريحًا وذا ذوق جيد. ذوق مصمم ديكور من الطراز الأول. قادته بريدجيت كونواى إلى غرفة

ذات أرفف كتب ومقاعد مريحة؛ وحيث كانت توجد طاولة شاى بالقرب من النافذة والتى كان يجلس قبالتها شخصان.

قالت:

"جوردن، هذا هو لوك، أحد أبناء عمومتى".

كان اللورد ويتفيلد رجلاً ضئيلاً ذا رأس شبه أصلع. كان وجهه مستديرًا ومخلصًا وذا أنف ناتئ وعينين تشبهان نبتة عنب الثعلب. كان يرتدى ملابس ريفية ليست مهندمة؛ فكانت لا تتواءم مع جسمه وتصل على الأكثر حتى معدته.

قام بتحية لوك بحرارة.

"أنا سعيد لرؤيتك. سعيد للغاية. لقد عدت لتوك من الشرق كما سمعت، أليس كذلك؟ إنه مكان مثير. لقد أخبرتنى بريدجيت بأنك تؤلف كتابًا، يقولون إن العديد من الكتب يتم تأليفها فى هذه الأيام، ولكننى أقول لا . فهناك دومًا مكان لكتاب جيد".

قالت بريدجيت: "هذه هى عمتى السيدة أنستروثر". صافح لوك السيدة متوسطة العمر ذات الفم القبيح.

كانت السيدة أنستروثر . كما علم لوك سريعًا . تعشق البستنة؛ فهى لا تتحدث قط فى أى موضوع آخر، فكان عقلها مشغولاً دومًا بالتفكير فى احتمالات نمو أحد النباتات بشكل جيد فى المكان الذى تنوى زراعته به.

بعد انتهاء عملية التعارف قالت:

"أتعلم يا جوردون، إن المكان المثالى لنبات الروكيرى لابد أن يكون خلف حديقة الزهور مباشرة، وبهذه الطريقة

"أتعرف أحدًا من سكان هذه البلدة؟".

هز لوك رأسه، ثم فجأة وبسبب شعور جازم أنه كلما بدأ السعى مبكرًا وراء ما أتى من أجله، كان ذلك أفضل، أضاف:

"على الأقل هناك رجل هنا وعدت بتفقد حاله. وهو صديق لأحد أصدقائى، رجل يدعى هامبلباى. إنه طبيب".

تململ اللورد ويتفيلد فى مقعده: "آه! دكتور هامبلباى؟ إنه أمر مؤسف حقًا".

"ما هو الأمر المؤسف؟".

قال اللورد ويتفيلد: "لقد مات منذ أسبوعين".

قال لوك: "يا إلهى! أنا آسف لأجل هذا".

قال اللورد ويتفيلد: "لا أعتقد أنك كنت ستهتم لأمره، هذا الأحمق العنيد المزعج مشوش الذهن".

قالت بريدجيت: "إنه يعنى أنه لم يكن متفقًا مع جوردون".

قال اللورد ويتفيلد: "بشأن إمداد المياه لدينا. أؤكد لك يا سيد فيتزوليم أننى رجل يسعى وراء تحقيق المنفعة العامة؛ فأنا أهتم بصالح هذه البلدة. فقد ولدت هنا. نعم ولدت فى هذه البلدة".

أدرك لوك ببعض المرارة أنهم قد تركوا موضوع دكتور هامبلباى وعادوا لموضوع اللورد ويتفيلد.

أضاف الرجل النبيل: "وأنا لا أخجل من هذا ولا أهتم بمن يعلم هذه المعلومة؛ فأنا لا أملك أيًا من مزاياك الطبيعية. فكان أبى يمتلك متجر أحذية. نعم، متجر أحذية بسيطًا. وقد

عملت فى هذا المتجر حينما كنت صغيرًا. لقد صنعت نفسى بنفسى يا سيد فيتزوليم، ولقد عقدت العزم على الخروج من هذا المستنقع. وبالفعل خرجت من المستنقع! المثابرة والعمل بكد، وقبل هذا عون الله. هذه هى الأشياء التى ساعدتنى على النجاح! الأشياء التى جعلتنى ما أصبحت عليه الآن".

وهكذا غرق لوك فى تفاصيل مجهدة عن حياة اللورد ويتفيلد والذى أردف فى نصر قائلاً:

"وأنذا وها هو العالم يفتح ذراعيه لى كى يعلم كيف وصلت إلى هذه المنزلة! أنا لست خجولاً من بدايتى. لا يا سيدى. لقد عدت إلى حيث ولدت. أتعلم ما الذى يوجد مكان متجر أبى الآن؟ مبنى راق قمت أنا ببنائه وزخرفته. مؤسسة بويز كلوب، كل شىء بها عصرى وعلى أحدث طراز. لقد قمت بتوظيف أفضل مهندس معمارى فى البلدة! لابد أن أعترف أنه قام بعمل عظيم. إنه يبدو كإصلاحية أو سجن بالنسبة لى، ولكنهم يقولون إنه لا بأس به، لذا فلابد أن يكون كذلك".

قالت بريدجيت: "ابتهج، فأنت فعلت ما يحلو لك بهذا المنزل!".

ضحك اللورد ويتفيلد فى تقدير.

"نعم، لقد أرادوا إضفاء لمستهم الخاصة هنا أيضًا! أن يفعلوا به نفس ما فعلوه بالمبنى. قلت لهم لا، أنا سوف أعيش فى هذا المكان، وأريد شيئًا يعكس كم الأموال التى أمتلكها! وحينما كان أحد المهندسين المعماريين لا يقوم بما أريده أطرده وآتى بآخر. وقد استوعب المهندس الذى أتيت به فى النهاية ما أريد ونفذه جيدًا".

قالت بريدجيت: "لقد نفذ أسوأ أفكار خيالك".

قال اللورد ويتفيلد: "كانت تود لو تركت المكان كما هو. لا جدوى من الحياة فى الماضى يا عزيزتى. إن آل جورج العجائز لا يفقهون شيئاً. أنا لم أكن أرغب فى منزل بسيط من الطوب الأحمر. كنت دومًا أتخيل أننى أعيش فى قلعة. والآن لدى واحدة!"، ثم أضاف قائلاً: "أعرف أن ذوقى ليس رفيع المستوى، لذا فقد وكلت شركة جيدة بتولى أمر الجزء الداخلى، ولابد أن أعترف أنهم أحسنوا صنعًا. بالرغم من أن بعض الأجزاء كئيبة".

قال لوك وهو يجد صعوبة فى إيجاد الكلمات: "حسنًا إنه لشىء رائع حقًا أن تعرف ماذا تريد".

قال اللورد ويتفيلد وهو يضحك: "والذى أحصل عليه عادة كذلك".

ذكرته بريدجيت قائلة: "ولكنك لم تحقق مبتغاك تقريبًا فيما يتعلق بمخطط الماء".

قال اللورد ويتفيلد "آه، هذا! كان هامبلباى أحمق. إن هؤلاء الرجال العجائز أغبياء حقًا، إنهم لا ينصتون إلى المنطق".

تجرأ لوك على أن يقول: "كان دكتور هامبلباى رجلاً صريحًا، أليس كذلك؟ يمكننى الجزم بأنه أصبح له الكثير من الأعداء بسبب هذا".

قال اللورد ويتفيلد فى رزانة وهو يحك أنفه: "لا، لا، لا أعتقد أن هذا صحيح. أليس كذلك يا بريدجيت؟".

قالت بريدجيت: "كان الجميع يحبونه على ما أعتقد، أنا لم أره إلا حينما جاء ليتفحص كاحلى ذات مرة، ولكننى رأيته رجلاً لطيفًا".

اعترف اللورد ويتفيلد: "نعم، كان محبوبًا من الجميع. بالرغم من أننى أعرف شخصاً أو شخصين يمقتانه. يا له من غبى!".

"شخص أو شخصان من سكان هذه البلدة؟".

أومأ اللورد ويتفيلد.

قال: "هناك الكثير من العداءات والتآمرات الصغيرة فى مكان مثل هذا".

قال لوك: "نعم، أعتقد هذا". كان مترددًا وغير واثق من خطوته التالية.

سأل: "ما نوع الناس الذين يقطنون مكانًا مثل هذا؟".

كان سؤالاً ضعيفًا إلى حد ما، ولكنه حصل على إجابة سريعة.

قالت بريدجيت: "أرامل فى الغالب. بنات وأخوات وزوجات رجال الدين. نساء الأطباء كذلك، نحو ست نساء لكل رجل".

جازف لوك: "ولكن هناك بعض الرجال؟".

"آه، نعم، هناك السيد آبوت المحامى ودكتور توماس الشاب شريك دكتور هامبلباى والسيد ويك رجل الدين. ومن يوجد أيضًا يا جوردون؟ آه نعم، السيد إيلسورثى صاحب متجر التحف وهو رجل لطيف للغاية أيضًا! والرائد هورتون وكلابه البولدوج".

قال لوك: "هناك شخص آخر ذكر لى أصدقائى أنه كان يعيش هنا، قالوا لى إنها سيدة عجوز لطيفة ولكنها تتحدث كثيرًا".

ضحكت بريدجيت: "إنها صفة تنسحب على نصف سكان القرية!".

"ما هو اسمها يا ترى؟ آه، نعم، بنكرتون".

قال اللورد ويتفيلد وهو يضحك ضحكة جافة:

"حقًا، إنك تعيس الحظ حقًا لقد ماتت هى الأخرى. دهستها سيارة مؤخرًا فى لندن، وقد ماتت على الفور".

قال لوك ممازحًا: "يبدو أن لديكم الكثير من الوفيات هنا".

شمخ اللورد ويتفيلد بذاته على الفور.

"إطلاقًا، إنها أحد أكثر الأماكن الصحية فى إنجلترا ولا يمكنك احتساب الحوادث؛ فهى قد تحدث لأى أحد".

لكن بريدجيت كونواى قالت فى جدية:

"فى الواقع يا جوردون، كانت هناك الكثير من حالات الوفاة على مدار العام الماضى؛ فهناك دومًا جنازات".

"هذا محض هراء يا عزيزتى".

قال لوك:

"هل مات دكتور هامبلباى بسبب حادثة كذلك؟".

هز اللورد ويتفيلد رأسه قائلاً:

"لا، لا. لقد مات دكتور هامبلباى إثر إصابته بمرض تعفن الدم. شأنه شأن أى طبيب آخر. قام بحك إصبعه بظفر قذر

أو شىء من هذا القبيل. ولم ينتبه لهذا؛ مما سبب العفن. لقد مات خلال ثلاثة أيام".

قالت بريدجيت: "هذا هو حال الأطباء. وهم بالطبع معرضون للعدوى، على ما أعتقد، إذا لم يتوخوا الحذر. كان الأمر محزنًا، لقد انفطر فؤاد زوجته".

قال اللورد ويتفيلد فى هدوء: "لا جدوى من الاعتراض على مشيئة الله".

٢

سأل لوك نفسه لاحقًا حينما كان يرتدى معطفه لتناول العشاء: "ولكن هل كانت وفاته طبيعية؟". تعفن الدم ربما. لكنه موت فجائى بالرغم من ذلك.

وفى تلك اللحظة دوى صدى كلمات بريدجيت كونواى فى رأسه:

"كانت هناك الكثير من حالات الوفاة على مدار العام الماضى".

الفصل ٤

لوك يحرز تقدمًا

وضع لوك خطته بحرص واستعد لتنفيذها دون مزيد من الجلبة حينما نزل لتناول الإفطار فى صباح اليوم التالى.

لم تكن العمة المحبة للبستنة موجودة، ولكن اللورد ويتفيلد كان يأكل الكلاوى ويحتسى القهوة، أما بريدجيت كونواى فقد انتهت من تناول طعامها، وكانت تقف قبالة النافذة وتنظر خارجها.

بعد تبادل تحية الصباح وجلوس لوك أمام صحن ملىء عن آخره بالبيض واللحم قال:

"لابد أن أذهب إلى العمل. أصعب شىء هو أن تستحث الناس على الكلام، أنت تعلم ماذا أقصد، أنا لا أتحدث عن أشخاص مثلك ومثل ـ آه ـ بريدجيت". (تذكر فى الوقت المناسب ألا يقول الآنسة كونواى). "إنك سوف تخبرنى بأى شىء تعرفه ولكن المشكلة هى أنك لن تعرف الأشياء التى أود معرفتها ـ وتلك الأشياء هى الخرافات المحلية. إنك لن تصدق

كم الخرافات التى لاتزال توجد فى أنحاء متفرقة من العالم؛ فعلى سبيل المثال، هناك قرية فى ديفونشاير اضطر رجل الدين بها أن يهدم نصبًا حجريًا عموديًا يوجد إلى جوار دار العبادة؛ لأن الناس واظبوا على الطواف حوله كلما مات أحدهم. إنه لأمر عجيب حقًا كيفية استمرار بعض الطقوس الوثنية".

قال اللورد ويتفيلد: "أنت محق. التعليم، هذا هو ما يحتاج إليه الناس. هل أخبرتك أننى قمت ببناء مكتبة جميلة هنا؟ لقد كان المبنى الذى أنشأتها به هو قصر مالك العزبة القديمة . كان معروضًا للبيع بثمن بخس . الآن أصبح إحدى أفضل المكتبات ــ".

عمد لوك إلى إدارة كفة الحوار بحيث تصب فى اتجاه إنجازات اللورد ويتفيلد.

قال بحرارة: "رائع! يا له من إنجاز مدهش! أنت بدون شك أدركت مدى الجهل المتأصل جذوره فى الماضى والمنتشر هنا. بالطبع . من وجهة نظرى . هذا هو ما أريده تمامًا. العادات القديمة . حكايات العجائز . تلميحات عن الطقوس القديمة مثل ــ".

هنا كان لوك يسرد حرفيًا ورقة كان قد أعدها مسبقًا لهذا الموقف.

أنهى كلامه قائلاً: "وحالات الوفاة هى جل ما أرغبه؛ فطقوس وعادات الدفن عادة ما تبقى أكثر من غيرها. علاوة على ذلك . ولسبب أو لآخر . يحب أهل القرى دومًا الحديث عن المتوفين".

وافقته بريدجيت من مكانها عند النافذة: "إنهم يستمتعون بالجنائز".

واصل لوك كلامه: "أعتقد أن تلك ستكون نقطة البداية التى سأنطلق منها. فإن أمكننى الحصول على قائمة بأسماء المتوفين حديثًا من دار العبادة والذهاب إلى أقربائهم والانخراط فى حوار معهم، سوف أتوصل بدون شك إلى أول الخيط، وإلى ما أسعى إليه. من هو أفضل شخص يمكننى أخذ هذه المعلومات منه . رجل الدين؟".

قالت بريدجيت: "قد يهتم السيد ويك كثيرًا بموضوع مثل هذا؛ فهو رجل لطيف ويهوى جمع الأشياء الأثرية؛ حيث يمكنه إمدادك بالكثير على ما أعتقد".

انتاب لوك خوف فجائى تمنى خلاله ألا يكون رجل الدين جامعًا بارعًا للأشياء الأثرية بحيث يكشف نواياه الحقيقية.

قال لوك:

"جيد. أعتقد أنك لا تعرفين الذين ماتوا العام الماضى".

تمتمت بريدجيت:

"دعنى أتذكر. كارتر بالطبع. كان مالك سفن ستارز؛ ذلك الملهى القذر الذى يوجد عند النهر".

قال اللورد ويتفيلد: "همجى ثمل، أحد هؤلاء الاشتراكيين الوحشيين المؤذين، إنه خلاص جيد بالنسبة له".

واصلت بريدجيت كلامها: "والسيدة روز، الغسالة. والصغير تومى بيرس . كان صبيًا كريهاً إن صح التعبير. آه وبالطبع هذه الفتاة آمى، ما كان اسمها الثانى؟!".

تغيرت نبرة صوتها قليلاً عند نطقها بالاسم الأخير.

قال لوك "آمى؟".

"آمى جيبس. كانت تعمل خادمة هنا ثم انتقلت إلى منزل السيدة وينفليت. لقد أجرت الشرطة تحقيقًا بشأن وفاتها".

"لماذا؟".

قال اللورد ويتفيلد "إنها فتاة غبية قامت بأخذ زجاجة مكان أخرى فى الظلام".

قالت بريدجيت: "لقد أخذت زجاجة طلاء القبعات على أنها زجاجة خليط دواء للسعال".

رفع لوك حاجبيه!

"إنها مأساة حقيقية".

قالت بريدجيت:

"كان هناك اعتقاد أنها فعلت ذلك عن عمد؛ فقد تشاجرت مع شاب ما".

كانت تتحدث ببطء. وفى تردد إلى حد ما.

سادت فترة صمت، وشعر لوك غريزيًا بوجود مشاعر لم يتم الإفصاح عنها تثقل الهواء بالغرفة.

فكر بينه وبين نفسه:

"آمى جيبس؟ نعم، هذا هو أحد الأسماء التى أتت السيدة بنكرتون العجوز على ذكرها".

وهى قد ذكرت اسم فتى صغير كذلك ـ تومى كذا ـ والذى تحدثت عنه بالسوء (وهو الرأى الذى يبدو أنها تتشارك فيه مع بريدجيت!). ونعم، كان واثقًا من أنها ذكرت اسم كارتر كذلك.

قال ممازحًا وهو ينهض:

"إن التحدث بهذا الشكل يجعلنى أشعر بأننى جئت للنبش فى القبور فقط، إن عادات الزواج مثيرة أيضًا. ولكنها أصعب فى الحديث بشأنها".

قالت بريدجيت بعدما ارتعشت شفتاها قليلاً: "أعتقد أن هذا صحيح".

واصل لوك حديثه بحماسة: "وهناك موضوعات أخرى مثيرة مثل تمنى المرض للآخرين أو سحر الإصابة بالعين؛ فمثل هذه الأشياء عادة ما توجد بالأماكن المتمسكة بالعادات والتقاليد القديمة، هل سمعتما أية ثرثرة عن أمور من هذا القبيل هنا؟".

هز اللورد ويتفيلد رأسه ببطء، وقالت بريدجيت كونواى:

"إننا لا نسمع عن أمور من هذا القبيل ـ".

عرف لوك ما سوف تقوله قبل أن تنهى عبارتها.

"لا شك أن علىّ التوغل داخل أجواء الطبقات الاجتماعية الأقل للحصول على ما أبغى. سوف أذهب إلى مقر رجل الدين أولاً وأرى ما يمكننى الحصول عليه هناك، وبعد ذلك ربما أزور سفن ستارز، أليس ذلك هو اسمها؟ وماذا عن الصبى الصغير ذى العادات السيئة؟ ألم يترك أى أقرباء منتحبين؟".

"بلى، السيدة بيرس صاحبة متجر سجائر وصحف فى هاى ستريت".

قال لوك: "لابد من الرضوخ لقدر الله، ولا جدل فى هذا. حسنًا، سأذهب الآن".

تحركت بريدجيت من عند النافذة بخفة وسرعة.

قالت: "أعتقد أننى سآتى معك إن لم يكن لديك مانع بالطبع".

"بالطبع لا".

قال هذه العبارة الأخيرة بأقصى درجة ممكنة من الود، ولكنه تساءل إن كانت قد لاحظت أنه للحظة شعر ببعض الفزع.

كان ليصبح من الأسهل بالنسبة له أن يتولى أمر رجل دين يهوى القطع الأثرية دون وقوف فتاة ذكية يقظة إلى جواره.

فكر بينه وبين نفسه: "آه، حسنًا. علىَّ أن أؤدى دورى بإقناع شديد".

قالت بريدجيت:

"هلا انتظرت قليلاً يا لوك ريثما أغير حذائى؟".

إن ترديدها لاسمه بكل هذا السهولة بث فيه شعورًا غريباً بالدفء، ومع ذلك ماذا غير هذا كان يمكنها أن تناديه؟ فطالما أنها وافقت على مخطط جيمى وهى أنها ابنة عمه فليس بإمكانها أن تناديه السيد فيتزوليم. قال لنفسه بسرعة وفى ذعر: "ترى ما رأيها فى كل هذا؟ يا إلهى! ماذا تعتقد؟".

من الغريب أن هذا لم يقلقه من قبل؛ فابنة عم جيمى كانت مجرد فكرة تجريدية ملائمة . وسيلة لغاية. إنه لم يضعها فى الحسبان بالمرة، فقط تقبل القول الفصل لصديقه: "إن بريدجيت لا بأس بها".

لقد رسم لها صورة فى مخيلته. هذا إن كان قد رسم لها أية صورة من الأساس. كسكرتيرة شقراء ضئيلة الحجم ذكية بما فيه الكفاية كى تأسر قلب رجل غنى.

لكنه بدلاً من ذلك اكتشف أنها قوية وحاذقة تتمتع بذكاء خالص، وهو لم يكن لديه أدنى فكرة عن رأيها فيه؛ فقال لنفسه: *إنها ليست شخصًا يسهل خداعه.*

"أنا مستعدة الآن".

انضمت إليه فى هدوء حتى إنه لم يسمعها وهى تقترب. كانت لا ترتدى قبعة، ولم تكن هناك شبكة على شعرها، وأثناء خروجهما من المنزل هبت رياح من حول المبنى الضخم ذى الشرفات المنفرجة بعثرت شعرها الأسود الطويل فجأة حول وجهها.

قالت وهى تبتسم:

"أنت تحتاج إلىَّ لأريك الطريق".

أجابها بحرص: "أنت كريمة للغاية".

تساءل إن كان قد لاحظ على وجهها ابتسامة سخرية سريعة.

بعد أن نظر إلى الشرفات المنفرجة خلفه، قال فى ضيق:

"يا له من شئ بغيض! ألا يستطيع أحد إيقافه؟".

أجابته بريدجيت: "إن منزل الرجل الإنجليزى هو قلعته. وهذا هو الحال مع جوردون! إنه يعشقه".

كان مدركًا أن الملحوظة ليست مناسبة، ولكنه لم يستطع إمساك لسانه؛ فقال:

"إنه منزلك القديم، أليس كذلك؟ هل يستهويك رؤيته بهذا الحال الآن؟".

نظرت إليه ثم رمقته بشكل مرح.

تمتمت: قائلة: "أبغض أن أدمر تلك الصورة الدرامية التى كونتها، ولكننى فى الواقع تركت هذا المنزل حينما كنت فى الثانية والنصف من عمرى، لذا فكما ترى فإن دافع المنزل القديم لا يتوافر لدىّ. أنا حتى لا أتذكر هذا المكان".

قال لوك: "أنت محقة. اغفرى لى استخدامى لمثل هذه اللغة السينمائية".

ضحكت ثم أردفت قائلة:

"الحقيقة نادرًا ما تكون رومانسية".

دوى فجأة فى صوتها ازدراء تشوبه المرارة أصابه بالفزع. توردت وجنتاه ثم أدرك فجأة أن هذا الازدراء ليس موجهًا إليه. كان ازدراءً خاصًا بها ومرارة خاصة بها، فطن لوك أن عليه الصمت، ولكنه فكر كثيرًا فى بريدجيت كونواى.

بعد خمس دقائق وصلا إلى دار العبادة ومنها إلى مقر رجل الدين الملحق؛ حيث وجدا رجل الدين فى مقره.

كان ألفريد ويك رجلاً ضئيل الحجم أحدب الظهر ذا عينين زرقاوين لطيفتين وذهن شارد، ولكنه كان دمث الأخلاق. بدا سعيدًا، ولكن متفاجئًا من الزيارة بعض الشىء.

قالت بريدجيت: "إن السيد فيتزوليم يقيم معنا فى منزل آش مانور، وهو يريد استشارتك بشأن كتاب يؤلفه".

أدار السيد ويك عينيه اللطيفتين المندهشتين تجاه الرجل الأصغر سنًا، وبدأ لوك فى شرح الأمر له.

كان متوترًا للغاية. أولاً؛ لأن هذا الرجل لديه بدون شك مزيد من المعرفة بالفولكلور والعادات والطقوس المتعلقة بالخرافات أكثر من تلك التى حصل عليها أحد الأشخاص بشكل سريع من قراءة مجموعة من الكتب العشوائية، وثانيًا، كان متوترًا لأن بريدجيت كونواى تقف إلى جواره وتنصت.

وقد شعر لوك بالراحة حينما اكتشف أن اهتمام السيد ويك الرئيسى ينصب على الآثار الرومانية، وقد اعترف برقة بأنه لا يعرف الكثير عن فولكلور العصور الوسطى والسحر. وقد أتى على ذكر عناصر بعينها فى تاريخ ويتشوود، وعرض أن يأخذ لوك إلى سلسلة صخور معينة عند التل حيث المكان الذى يقولون إنهم كانوا يعتقلون به الساحرات، ولكنه تأسف؛ لأنه ليس بإمكانه أن يمده بأية معلومات خاصة من جانبه.

بعد أن ارتاح كثيرًا، تظاهر لوك بالإحباط، وبعد ذلك بدأ فى طرح تساؤلات عن الخرافات المتعلقة بالموت.

هز السيد ويك رأسه برقة:

"أخشى أننى سأكون آخر شخص يمكنه أن يعلم عن مثل هذه الأمور؛ فأبناء دار العبادة يحرصون على عدم ذكر أى شىء غير دينى أمامى".

"هذا صحيح بالطبع".

"ولكننى واثق أنه مازالت هناك الكثير من الخرافات الحية؛ فالمجتمعات القروية هذه متخلفة للغاية!".

تحدث لوك بجرأة:

"لقد طلبت من الآنسة كونواى قائمة بأسماء جميع الوفيات التى يمكنها تذكرهم؛ فأنا ظننت أنه يمكننى التوصل إلى شىء ما بهذه الطريقة. أعتقد أنه بوسعك إمدادى بقائمة حتى أستطيع اقتناص الاحتمالات".

"نعم، نعم، يمكننى تدبر هذا. إن جايلز ـ الخادم الخاص بنا وهو رجل صالح ولكنه أصم مع الأسف ـ يمكنه مساعدتك فى هذا الصدد. دعنى أر الآن. كان هناك ربيع غادر وشتاء صعب وبعد ذلك العديد من الحوادث. وكانت هناك دائرة من الحظ التعس".

قال لوك: "فى بعض الأحيان تنتج دائرة الحظ التعس عن وجود شخص معين".

"نعم، نعم، ولكننى لا أعتقد أنه كان هناك أية أشخاص غرباء هنا. لا أحد، لا أحد تحوم حوله الظنون بأى شكل من الأشكال، كما أننى لم أسمع بأية شائعة عن شىء كهذا، ولكننى أكرر مجددًا أنه ربما تكون هناك واحدة لم تصل إلى مسامعى. دعنى أر ـ مؤخرًا كان لدينا دكتور هامبلباى والمسكينة لافينيا بنكرتون. كان رجلاً طيبًا دكتور هامبلباى هذا ـ".

قاطعته بريدجيت:

"السيد فيتزوليم يعرف أصدقاء له".

"حقًا؟ هذا أمر محزن للغاية. إن الكثيرين يفتقدونه بشدة. كان رجلاً له العديد من الأصدقاء".

قال لوك: "ولكنه بالتأكيد كان رجلاً له العديد من الأعداء كذلك"، ثم أضاف بسرعة: "أنا فقط أردد ما سمعت أصدقائى

يقولونه".

تنهد السيد لوك.

"كان رجلاً يتحدث بما يجول فى خاطره. ويمكننى القول إنه لم يكن يتوخى الحذر فيما يقوله ـ"، ثم هز رأسه قائلاً: "وهذا يثير حنق الكثيرين، ولكنه كان ذا شعبية كبيرة بين الطبقات الأكثر فقرًا".

قال لوك فى لامبالاة:

"أتعلم أننى طالما شعرت أن أكثر الحقائق بغضًا فى هذه الحياة هو حقيقة أن كل وفاة تعنى مكسبًا ما لشخص ما. وأنا لا أتحدث فقط عن الناحية المادية".

أومأ رجل الدين فى تدبر.

"أفهم ما تعنى؛ فنحن نقرأ فى نعى ما أن الجميع يشعرون بالحزن لوفاة شخص ما، ولكننى أخشى أن ذلك نادرًا ما يكون صحيحًا، وفى حالة دكتور هامبلباى، يعرف الجميع أن وضع شريكه دكتور توماس قد تحسن كثيرًا بسبب وفاة دكتور هامبلباى".

"كيف هذا؟".

"أنا أومن بأن توماس هو طبيب كفؤ حقًا. فكان هامبلباى يؤكد ذلك دومًا، ولكنه لم يتكيف مع المكان جيدًا؛ فكان يعيش فى ظل دكتور هامبلباى والذى كان يتمتع بجاذبية كبيرة، فكان توماس يبدو كالشبح فى وجوده؛ فهو لم يستطع إبهار مرضاه قط، وأنا أظن أن هذا الأمر كان يؤرقه كثيرًا وزاد من حاله سوءًا. فقد جعله أكثر عصبية وعقد لسانه أكثر، وفى

الواقع أنا لاحظت فارقًا مذهلاً بالفعل؛ فهو أصبح أكثر ثقة بنفسه وازدادت شخصيته قوة؛ فقد تجددت ثقته بنفسه؛ فهو وهامبلباى لم يكونا على وفاق، فكان توماس يؤيد استخدام طرق جديدة فى العلاج، لكن دكتور هامبلباى كان يفضل الاستمرار فى استخدام الطرق التقليدية، وقد نشبت بينهما الكثير من الخلافات. بخصوص هذا الشأن وبخصوص شأن آخر أكثر خصوصية. ولكنى أعتقد أنه لا ينبغى علىَّ الانخراط فى مثل هذه النميمة ـ".

قالت بريدجيت برقة ووضوح:

"ولكننى أعتقد أن السيد فيتزوليم يريد منك أن تنخرط فى النميمة!".

نظر إليها لوك سريعًا بارتباك.

هز السيد ويك رأسه فى شك ثم واصل التبسم فى استنكار: "أخشى أن أتعلم الاهتمام كثيرًا بشئون جيرانى. إن روز هامبلباى هى فتاة جميلة للغاية. ولا عجب أن جيفرى توماس قد هام بها حبًا. وبالطبع كان رأى هامبلباى فى الموضوع منطقيًا ومستساغًا. الفتاة صغيرة للغاية ومدفونة هنا وليس متاحًا أمامها فرصة لرؤية رجال آخرين".

قال لوك: "هل اعترض طريقهما؟".

"نعم، قال إنهما صغيران للغاية، وبالطبع يكره الشباب أن يخبرهم أحد بذلك! وبذلك كانت العلاقة بين الرجلين تتسم بكثير من البرود، ولكننى واثق من أن دكتور توماس قد حزن كثيرًا لموت شريكه غير المتوقع".

"تعفن الدم. أخبرنى اللورد ويتفيلد بذلك".

"نعم. فقط خدش صغير تعرض للعدوى. إن الأطباء يجابهون مخاطر كبيرة أثناء مزاولتهم لمهنتهم يا سيد فيتزوليم".

قال لوك: "هذا صحيح".

أجفل السيد ويك فجأة.

قال: "أخشى أننى انحرفت كثيرًا عن الموضوع الذى كنا نتحدث عنه. لقد أصبحت رجلاً عجوزًا ثرثارًا على ما يبدو. كنا نتحدث عن استمرار وجود العادات الوثنية وحالات الوفاة التى حدثت مؤخرًا. كانت هناك كذلك لافينيا بنكرتون. واحدة من السيدات اللاتى كن يقدمن مساعدات كبيرة لدار العبادة. ثم هناك تلك الفتاة المسكينة، آمى جيبس. وربما تكتشف شيئًا بخصوصها أثناء بحثك يا سيد فيتزوليم، فكان هناك شك كما تعلم أنها ربما تكون انتحرت. وهناك أمور مريبة إلى حد ما متعلقة بموتها تلك. وهناك خالة. والتى أخشى أنها ليست سيدة محترمة وليست ذات علاقة وثيقة بابنة أختها. ولكنها كثيرة الكلام".

قال لوك: "عظيم".

"ثم هناك تومى بيرس. كان مشتركًا بفريق الإنشاد ذات يوم. كان ذا صوت جميل. ملائكى للغاية. ولكن الولد نفسه لا يمت للملائكة بصلة على ما أخشى؛ فقد اضطررنا لأن نتخلص منه فى النهاية؛ لأنه جعل غيره من الصبية ينتهجون تصرفات سيئة للغاية. الصبى المسكين، ويبدو أنه لم

يحبه أحد فى أى مكان؛ فقد تم طرده من مكتب البريد حيث حصلنا له على وظيفة فتى التلغراف، كما عمل فى مكتب السيد آبوت لفترة ولكن سرعان ما تم طرده كذلك. لأنه عبث ببعض الأوراق السرية على ما أعتقد، وبعد ذلك بالطبع عمل بمنزل آش مانور، أليس كذلك يا آنسة كونواى، كعامل فى الحديقة، واضطر اللورد ويتفيلد إلى طرده لوقاحته الشديدة. لقد أسفت للغاية لأجل والدته. فهى سيدة محترمة وتعمل بكد. وكانت السيدة وينفليت عطوفة للغاية؛ حيث إنها دبرت له عملاً كعامل تنظيف للزجاج، وقد عارض اللورد ويتفيلد الأمر فى البداية ولكنه أذعن فى النهاية. فى الواقع إنه لأمر محزن أنه فعل ذلك".

"لماذا؟".

"لأن تلك هى الطريقة التى لقى بها مصرعه؛ فكان ينظف النوافذ العلوية للمكتبة (المبنى القديم كما تعلم) وأقدم على فعل غاية فى السخف؛ حيث أخذ يرقص على حافة النافذة، أو فعل شيئاً من هذا القبيل. وبالتالى فقد توازنه، أو أنه أصيب بالدوار ثم سقط. شىء مروع! وهو لم يستعد وعيه قط، ومات بعد ساعات قليلة من نقله إلى المستشفى".

سأل لوك باهتمام: "هل رآه أى أحد وهو يسقط؟".

"لا؛ فقد كان على جانب المبنى المواجه للحديقة. وليس بالجانب الأمامى للمنزل. وهم يقولون إنه ظل فى مكانه نحو نصف ساعة قبل أن يجده أحد".

"من وجده؟".

"السيدة بنكرتون. هل تذكر؟ السيدة التى أتيت على ذكرها لتوى، تلك التى ماتت فى حادث سيارة مؤخرًا. المرأة المسكينة كانت فى غاية الحزن. أمر مؤسف! كانت قد حصلت على تصريح للقيام بعمليات قطع لبعض النباتات، وعثرت على الصبى ممددًا حيث سقط".

قال لوك وهو يفكر: "لابد أنها كانت مفاجأة غير سارة تمامًا".

قال الرجل العجوز وهو يهز رأسه: "إنه لأمر مؤسف للغاية أن تنتهى حياة أحدهم مبكراً بهذا الشكل، إن أخطاء تومى ربما تعود فى الأساس لنشاطه المفرط".

قالت بريدجيت: "كان فتى مستأسدًا ومقززًا، وأنت تعلم ذلك يا سيد ويك؛ فطالما قام بتعذيب القطط، وتضليل الجراء، وقرص غيره من الفتية".

"أعلم، أعلم". هز السيد ويك رأسه بحزن، "ولكنك تعلمين يا آنسة كونواى أن القسوة لا تكون فطرية على الدوام؛ وذلك يكون راجعًا لحقيقة بطء عملية نضج الخيال. ولعل هذا هو السبب أنك إذا رأيت رجلاً ناضجًا بعقلية طفل تدركين أن القسوة والدهاء المتأصلين فى أحد المعتوهين ربما يكونان غائبين عن إدراكه؛ فافتقار النضج فى أحد الأماكن. كما أومن - هو السبب الرئيسى وراء الكثير من القسوة والوحشية الغبية فى العالم اليوم؛ فلابد أن يتخلى المرء عن تلك الأمور الطفولية ——".

هز رأسه ومد يديه.

قالت بريدجيت بصوت أصبح أجش فجأة:

"نعم، أنت محق. أنا أعلم ماذا تعنى. إن الرجل الذى ينتهج تصرفات طفولية يقع ضمن فئة الأشخاص الأكثر خطورة فى العالم ...".

نظر إليها لوك ببعض الفضول، كان مقتنعًا أنها كانت تقصد شخصًا بعينه، وبالرغم من أن اللورد ويتفيلد كان طفوليًا للغاية فى بعض المناحى إلا أنه لم يكن يعتقد أنها تتحدث عنه؛ فكان اللورد ويتفيلد سخيفًا إلى حد ما، ولكنه لم يكن مخيفًا بالتأكيد.

تساءل لوك فيتزوليم كثيرًا عن الشخص الذى تفكر فيه بريدجيت!

الفصل ٥

زيارة إلى السيدة وينفليت

تمتم السيد ويك ببضعة أسماء أخرى لنفسه.

"دعنى أر الآن. السيدة روز المسكينة، وبيل العجوز، وطفل الكنز، وهارى كارتر. وليس جميعهم من أتباعى كما تعرف؛ فالسيدة روز وكارتر كانا منشقين. وهذه التعويذة الباردة فى مارس أودت بحياة بن ستانبرى العجوز فى النهاية. وكان فى الثانية والتسعين من عمره".

قالت بريدجيت: "وماتت آمى جيبس فى أبريل".

"نعم، الفتاة المسكينة. يا له من خطأ مؤسف!".

نظر لوك أمامه ليجد أن بريدجيت تراقبه، إلا أنها أشاحت بوجهها سريعًا، فقال لنفسه وهو يشعر بالانزعاج:

"ثمة شىء هنا لا أعرفه، شىء متعلق بهذه الفتاة آمى جيبس".

وحينما تركا رجل الدين وخرجا من المكان قال:

"من وماذا كانت تلك المدعوة آمى جيبس؟".

استغرقت الإجابة من بريدجيت دقيقة أو اثنتين.

ثم قالت بنبرة لاحظ فيها لوك الارتباك:

"كانت آمى إحدى أقل الخادمات اللاتى رأيتهن كفاءة".

"ولهذا تم صرفها من الخدمة؟".

"لا. لقد خرجت ليلاً بعد ساعات العمل لتعبث مع شاب ما، وجوردون يعتنق آراء شديدة الأخلاقية؛ لذا فقد قام بتحذيرها ولكنها كانت شديدة الوقاحة!".

سأل لوك: "هل كانت فتاة جميلة؟".

"جميلة للغاية".

"إنها الفتاة التى ابتلعت طلاء القبعات بدلاً من خليط شراب السعال عن طريق الخطأ؟".

"نعم".

جازف لوك قائلاً: "يا له من تصرف غبى!".

"غبى للغاية".

"هل كانت غبية؟".

"لا، بل كانت فتاة حادة الذكاء".

استرق لوك نظرة إليها. كان مرتبكًا. كانت تدلى بإجاباتها بنبرة محايدة، دون تأكيد أو حتى الكثير من الاهتمام. لكنه شعر أن وراء كلماتها كان هناك شىء لم تصفه فى شكل كلمات.

فى هذه اللحظة توقفت بريدجيت لتتحدث إلى رجل طويل والذى خلع قبعته وقام بتحيتها بحرارة.

بعد أن تبادلا بضع كلمات مع الرجل، قدمت بريدجيت لوك له.

"هذا هو ابن عمى، السيد فيتزوليم، والذى يقيم فى منزل ماتور، وهو هنا من أجل تأليف كتاب. هذا هو السيد آبوت".

نظر لوك إلى السيد آبوت ببعض الاهتمام؛ فهذا هو المحامى الذى وظف تومى بيرس.

إن لوك لديه رأى مسبق غير منطقى إلى حد ما بخصوص المحامين بوجه عام . والقائم على الحقيقة القائلة بأن السياسيين يتم تجنيدهم من بين صفوفهم. بالإضافة إلى أن عادتهم الحريصة فى عدم إلزام أنفسهم بشىء كانت تزعج لوك. لكن السيد آبوت لم يكن يمت بصلة للشكل التقليدى للمحامى؛ فلم يكن نحيفًا أو هزيلاً أو مزموم الشفتين. فكان رجلاً ضخمًا متورد الوجه يرتدى حلة أنيقة ويتسم بالود الشديد والإسراف فى التعبير عن العاطفة. كانت هناك بعض التجاعيد حول عينيه، والعينان نفسهما كانتا أكثر ذكاء مما قد يلاحظ المرء عرضًا من نظرة أولى سريعة.

"أتؤلف كتابًا؟ رواية؟".

قالت بريدجيت: "فولكلور".

قال المحامى: "لقد أتيت إذن إلى المكان المناسب. إن هذه البلدة هى مكان مثير وشيق حقًا من العالم".

قال لوك: "هكذا سمعت، بل أجرؤ على القول بأنه فى إمكانك مساعدتى بعض الشىء؛ فلابد أنك ترى أشياء وتصرفات قديمة مثيرة للفضول . أو تعرف بعض العادات المثيرة التى لاتزال قائمة".

"حسنًا، أنا لا أعلم بشأن هذا . ربما . ربما".

قال لوك: "إنهم يؤمنون كثيرًا بالأشباح هنا؟".

"فيما يتعلق بهذا، فأنا لا أعرف. أنا حقًا لا أعرف".

"ولا تعلم حتى بمنازل تسكنها الأشباح؟".

"لا. لا أعلم شيئًا من هذا القبيل".

"إن هناك خرافة الصبى بالطبع. وفاة صبى صغير. حينما تتسم بالوحشية. تجعله دومًا يحوم ويسير. وهذا لا يحدث إن كانت فتاة هى التى توفيت. هذا مثير".

قال السيد آبوت: "إطلاقًا. لم أسمع بهذا قط".

وبما أن لوك قد اخترع هذا لتوه، فإنه لم يكن باعثًا على الدهشة على الإطلاق.

"يبدو أن هناك صبيًا هنا. تومى كذا. كان يعمل فى مكتبك فى أحد الأيام. إن لدى ما يدفعنى للاعتقاد بأنهم يؤمنون بأن روحه تجوب المكان".

تحول وجه السيد آبوت الأحمر إلى اللون القرمزى.

"تومى بيرس؟ إنه فتى عديم النفع، ومتطفل، ومؤذ".

"إن الأرواح دائمًا ما تتسم بأنها مؤذية، والمواطنون الصالحون المتقيدون بالقانون نادرًا ما يزعجون العالم بعد تركهم إياه".

"من رآه. ما هذه الحكاية؟".

قال لوك: "من الصعب تتبع مصدر هذه الحكايات؛ فلن يخرج الناس إلى الملأ ويدلون بتصريح، إنها فقط شائعة سمعتها. كى أكون صريحًا".

"نعم، نعم، أعتقد أنك محق".

غير لوك الموضوع ببراعة.

"أعتقد أن الطبيب المحلى هو الأكثر دراية بهذه الأمور؛ فالأطباء يسمعون الكثير من المرضى الفقراء الذين يعالجونهم. كل أنواع الخرافات والسحر. على الأرجح الشراب السحرى وكل هذه الأشياء الأخرى".

"لابد أن تذهب إلى توماس، إنه رجل طيب وعصرى. ولكنه لا يشبه هامبلباى العجوز المسكين فى شىء".

"كان رجعيًا بعض الشىء، أليس كذلك؟".

"كان متعنتًا وعنيدًا للغاية".

سألته بريدجيت: "لقد نشب بينهما شجار حاد بشأن مخطط المياه، أليس كذلك؟".

مرة أخرى خضب وهج أحمر وجه آبوت.

قال بحدة: "إن هامبلباى كان يقف عقبة فى طريق التقدم. كان يعارض المخطط! واتسم ما قاله بالوقاحة الشديدة كذلك. إنه لا ينتبه لما يقوله؛ فبعض ما قاله لى كان موجبًا لإقامة دعوى".

تمتمت بريدجيت: "ولكن المحامين لا يلجئون أبدًا للقانون، أليس كذلك؟ فهم أذكى من هذا".

ضحك آبوت بإفراط. لقد تبدد غضبه سريعًا كما بدأ.

"أنت ذكية للغاية يا آنسة بريدجيت! ولم يجانبك الصواب كثيرًا، إن أمثالنا ممن يعملون فى القانون يعرفون الكثير عنه، ها، ها. حسنًا، لابد أن أمضى. هاتفنى إن اعتقدت أنك بحاجة لمساعدتى بأى شكل من الأشكال، يا سيد —".

قال لوك: "فيتزوليم، شكرًا لك، سأفعل".

أثناء مضيهما قدمًا، قالت بريدجيت:

"لقد لاحظت أن أسلوبك هو الإدلاء بتصريحات وترقب رد فعل الآخرين عليها".

قال لوك: "إن أسلوبى لا يكون دومًا صادقًا إن كنت تقصدين هذا؟".

"لاحظت ذلك".

تململ بعض الشىء وتردد فيما عليه قوله بعد ذلك، ولكن قبل أن يستطيع الكلام قالت:

"إن كنت تريد معرفة المزيد عن آمى جيبس، فإنه يمكننى أخذك إلى شخص فى وسعه مساعدتك".

"من هو؟".

"السيدة وينفليت. لقد ذهبت آمى إليها بعد أن تركت مانور آش، لقد ماتت هناك".

"آه، أتفهم ذلك". كان مصدومًا بعض الشىء. "حسنًا أشكرك كثيرًا".

"إنها تقطن هنا".

كانا يعبران المحيط الأخضر للقرية، وبعدما أومأت برأسها ناحية المنزل الجورجى الكبير الذى لاحظه لوك فى اليوم السابق، قالت بريدجيت: "هذا هو وتش هول. لقد أصبح مكتبة الآن".

كان ملحقًا بالمكتبة منزل صغير بدا مثل منزل دمية بالمقارنة، كانت درجاته ناصعة البياض بشكل مدهش، وكانت مقابضه تتوهج، ونافذته بيضاء وأنيقة.

ولقد دفعت بريدجيت البوابة وتقدمت نحو الدرجات.

وبينما كانت تفعل، انفتح الباب الأمامى وخرجت سيدة عجوز.

كانت صورة مثالية - كما اعتقد لوك - للمرأة الريفية العجوز. فكان جسدها النحيل يكسوه معطف من التويد وتنورة، وكانت ترتدى قميصًا رماديًا حريريًا مزخرفًا ببروش حجرى. كانت قبعتها تستقر بطريقة مربعة فوق رأسها حسن الشكل، وكان وجهها لطيفًا وعيناها - عبر نظارتها - ذكيتين. وقد ذكرت لوك بهذه العنزات السوداء الرشيقة التى يراها المرء فى اليونان. كان بعينيها بعض الدهشة والاستغراب.

قالت بريدجيت: "صباح الخير يا سيدة وينفليت. هذا هو السيد فيتزوليم"، انحنى لوك، ثم أردفت قائلة: "إنه يؤلف كتابًا عن الموت والعادات القروية والأمور المخيفة بوجه عام".

قالت السيدة وينفليت: "يا إلهى! يا له من موضوع مثير".

ابتسمت بشكل مشجع له.

ذكرته بالسيدة بنكرتون.

قالت بريدجيت بنبرة صوت لاحظ لوك ثانية بطريقة فضولية أنها محايدة: "ظننت أنك قد تخبرينه بشىء عن آمى".

قالت وينفليت: "آه. عن آمى؟ نعم، عن آمى جيبس".

لاحظ وجود نصر جديد فى تعبيرها. بدت وكأنها تكون رأيًا عنه.

عادت إلى داخل الردهة بعد ذلك، وكأنها توصلت إلى قرار.

قالت: "ادخلا. يمكننى الخروج فى وقت لاحق"، ثم أجابت على اعتراض من لوك: "لا، لا. ليس هناك شىء مُلح على فعله. فقط بعض التسوق المنزلى غير المهم".

كانت غرفة الاستقبال شديدة النظافة وتفوح منها رائحة خفيفة لخزامى محروق. كانت هناك بعض الصحون الصينية المزدانة بصور رعاة وراعيات الغنم فوق رف المستوقد والذين كانوا يبتسمون بشكل مبهج. وكانت هناك ثلاث رسومات مائية واثنتان مشغولتان بالإبرة وثلاث صور مطرزة على الجدار، كما كان يوجد بعض الصور لما بدا بوضوح أنه صور لأبناء أخ وأخت وبعض الأثاث الجيد. بالإضافة إلى طاولة شيبندالية، وبعض الطاولات الصغيرة المصنوعة من الخشب الأطلسانى. وأريكة فيكتورية شنيعة وغير مريحة.

طلبت السيدة وينفليت من ضيوفها الجلوس، وقالت معتذرة:

"معذرة إننى لا أدخن؛ لذا ليس لدى سجائر، ولكن تفضلا بالتدخين إن كنتما ترغبان بذلك".

رفض لوك ولكن بريدجيت سرعان ما أشعلت سيجارة.

بينما كانت تجلس منتصبة فى مقعد ذى ذراعين منحوتتين أخذت السيدة وينفليت تتفحص ضيفتها للحظة أو اثنتين قبل أن تبعد ناظريها عنها، وكأنها أصبحت راضية وهى تقول:

"تريد أن تعرف بشأن هذه الفتاة المسكينة آمى؟ إن الحادث بأكمله كان مؤسفًا للغاية وأحزننى بشدة، إنه خطأ مأساوى حقًا".

سأل لوك: "ألم يكن هناك شك فى أنها انتحرت؟".

هزت السيدة وينفليت رأسها.

"لا، لا، أنا لم أصدق هذا للحظة. إن آمى لم تكن من هذا الطراز".

سأل لوك ببرود: "ومن أى طراز كانت؟ أود لو تصارحيننى برأيك عنها".

قالت السيدة وينفليت:

"حسنًا، بالطبع، إنها لم تكن خادمة ماهرة بالمرة، لكن المرء يشعر بالامتنان فى يومنا هذا إن حصل على أى خادمين من الأساس، وكانت مهملة جدًا فى عملها وتود الخروج دائمًا. حسنًا، بالطبع هى كانت صغيرة، والفتيات كلهن على هذا الحال فى يومنا هذا. لا يبدو أنهن يدركن أن وقتهن هو ملك لسيداتهن".

بدا لوك متعاطفًا وتابعت السيدة وينفليت كلامها:

"إنها لم تكن من نوع الفتيات الذى أهتم بشأنه؛ فهى من النوع الجرىء بالرغم من أننى لا ينبغى أن أتحدث عن أمور مثل هذه الآن بما أنها رحلت عن عالمنا، فأنا أشعر أنها لم تكن تحترم الأخلاقيات الدينية. بالرغم من أننى لا أظن أن ذلك سبب منطقى لإخفاء الحقيقة".

أومأ لوك. لقد أدرك أن السيدة وينفليت تختلف عن السيدة بنكرتون فى كونها تتمتع بعقل راجح وطريقة تفكير أفضل.

واصلت السيدة وينفليت كلامها: "كانت تحب نفسها كثيرًا، والسيد إيلسورثى. صاحب محل قطع أثرية ولكنه رجل نبيل فى

الواقع. يشتغل على سبيل الهواية فى رسم اللوحات المائية، وقد رسم صورة أو اثنتين لرأس الفتاة. وأعتقد. كما تعلم. أنه ربما يكون قد أوحى له بأفكار؛ فهى شرعت فى الشجار مع الشاب الذى كانت مخطوبة له . جيم هارفى. إنه يعمل ميكانيكيًا بورشة التصليح ومغرم بها للغاية".

سكتت السيدة وينفليت ثم واصلت كلامها.

"أنا لن أنسى أبدًا هذه الليلة المقيتة. كانت آمى معتلة المزاج .فكانت مصابة بسعال سيئ أو شىء من هذا القبيل (إنها تلك الجوارب الحريرية الرخيصة السخيفة التى يرتدينها والأحذية ذات النعول الورقية. لابد أن يصبن بنزلات برد) فذهبت إلى الطبيب فى فترة بعد الظهيرة من هذا اليوم".

سأل لوك بسرعة:

"دكتور هامبلباى أم دكتور توماس؟".

"دكتور توماس، وقد أعطاها زجاجة دواء السعال التى أتت بها إلى المنزل، إنه دواء غير مضر، وهو خليط مصنوع من مواد خام كما أعتقد. وقد ذهبت إلى الفراش مبكرًا ولابد أنها كانت فى الواحدة صباحًا حينما بدأت الضوضاء مع صرخة مختنقة بغيضة. نهضت وذهبت إلى باب حجرتها ولكنه كان موصدًا من الداخل. ناديت عليها ولكننى لم أحصل على إجابة. كان الطاهى معى وكنا مفزوعين للغاية. بعد ذلك ذهبنا إلى الباب الأمامى ولحسن الحظ وجدنا ريد (الشرطى لدينا) يسير فى طريقه المعتاد، فنادينا عليه، فانحرف حول الجزء الخلفى للمنزل واستطاع التسلق فوق سطح المنزل، وبما أن

نافذتها كانت مفتوحة فقد دخل بسهولة وفتح الباب، يا للفتاة المسكينة! كان الأمر بشعًا، لم يستطيعوا القيام بأى شىء من أجلها، وماتت فى المستشفى بعد بضع ساعات".

"وماذا كان هو. طلاء قبعات؟".

"نعم. قالوا إنه شىء يسمى حامض الأكساليك. كانت الزجاجة فى نفس حجم زجاجة شراب السعال. كان الشراب يوجد فوق طاولتها، أما طلاء القبعات فإلى جوار فراشها. لابد أنها التقطت الزجاجة الخطأ ووضعتها إلى جوارها فى الظلام كى تأخذ منها جرعة فى حالة إذا ازدادت حالتها سوءاً. تلك كانت هى النظرية التى توصلوا إليها فى التحقيق".

سكتت السيدة وينفليت. نظرت عيناها اللتان تشبهان عينى العنزة إليه، وأدرك هو أن هناك مغزى معينًا يكمن وراءهما. كان يساوره شعور بأن هناك جزءًا من الحكاية لم تتطرق إليه. وشعور أقوى أنها ولسبب ما أرادت منه إدراك ذلك.

سادت فترة صمت. فترة صمت طويلة وصعبة، وشعر لوك وكأنه ممثل لا يعرف الكلمات التى عليه قولها. قال فى ضعف:

"وأنت لا تعتقدين أنها انتحرت؟".

قالت السيدة وينفليت بسرعة:

"بالطبع لا؛ فإن أرادت الفتاة الانتحار كان يمكنها أن تشترى شيئاً ما لأجل ذلك، وليست تلك الزجاجة التى كانت تمتلكها منذ سنوات، وعلى أية حال وكما أخبرتك، فإنها لم تكن من هذا النوع".

قال لوك فى برود: "إذن ما رأيك؟".

قالت السيدة وينفليت:

"رأيى أنه كان حظًا تعسًا".

زمت شفتيها ونظرت إليه بجدية.

أثناء شعور لوك أن عليه أن يقول شيئاً متوقعًا، حدث انحراف فى الأحداث، فكان هناك خدش على الباب ومواء حزين.

نهضت السيدة وينفليت وذهبت لتفتح الباب، فدخل منه قط فارسى برتقالى ضخم. توقف ونظر فى عدم استحسان للضيف، وقفز على ذراع مقعد السيدة وينفليت.

حادثته السيدة وينفليت بصوت مهدهد:

"مرحبًا يا ونكى بو. أين كان عزيزى ونكى بو طوال الصباح؟".

لامس الاسم وترًا فى الذاكرة. أين سمع شيئاً عن قط فارسى يدعى ونكى بو؟ قال:

"هذا قط جميل للغاية، هل تعتنين به منذ فترة طويلة؟".

هزت السيدة وينفليت رأسها.

"لا، لا، كان ملكًا لصديقة قديمة لى، السيدة بنكرتون. لقد دهستها إحدى هذه السيارات البشعة، وبالطبع لم أستطع أن أدع ونكى بو يذهب إلى غرباء. فكانت لافينيا لتستاء للغاية؛ فهى كانت مغرمة به، كما أنه جميل جداً، أليس كذلك؟".

أبدى لوك إعجابًا شديدًا بالقط.

قالت السيدة وينفليت: "احذر من أذنيه؛ فقد كانت تؤلمانه مؤخرًا".

مرر لوك يده على القط بحذر.

نهضت بريدجيت قائلة:

"لابد أن نمضى".

صافحت السيدة وينفليت لوك.

وقالت: "ربما أراك ثانية قريبًا".

قال لوك فى بهجة: "أتمنى هذا".

ظن أنها تبدو مرتبكة ومحبطة إلى حد ما. نقلت عينيها إلى بريدجيت. كانت نظرة سريعة تحمل فى طياتها استفسارًا. شعر لوك أن هناك بعض التفاهم بين السيدتين تم استبعاده منه. وقد أشعره هذا بالاستياء، ولكنه وعد نفسه بأنه سيسبر أغوار هذا الأمر قبل مضى وقت طويل.

خرجت السيدة وينفليت معهما. وقف لوك لحظة على قمة الدرجات وأخذ ينظر بإعجاب إلى بهاء وجمال المساحة الخضراء وبركة البط.

قال: "إنه مكان لايزال نقياً".

أضاء وجه السيدة وينفليت.

قالت بجدية: "هذا صحيح. إن المكان مازال كما أذكره منذ أن كنت طفلة حيث كنا نعيش فى المكتبة كما تعلم. ولكن حينما ورثها أخى لم يهتم كثيرًا بالعيش بها. فى الواقع لم نستطع تكبد مصروفاتها وعرضناها للبيع. وقد قدم لنا مقاول عرضًا وعقد العزم. كما أذكر. على "تنمية الأرض"، تلك كانت عبارته. ولحسن الحظ، تدخل اللورد ويتفيلد واشترى المكان وأنقذه. وقد حول المنزل إلى مكتبة ومتحف. ولم يغير به شيئًا تقريبًا.

وأنا أعمل كأمينة مكتبة مرتين أو ثلاثًا أسبوعيًا . بدون أجر بالطبع. ولا يمكننى أن أخبرك عن مدى سعادتى عند تواجدى بمنزلى القديم وأنا أعرف أنه لن يتعرض للتخريب. وهو بدون شك مكان رائع. لابد أن تزور متحفنا الصغير فى أحد الأيام يا سيد فيتزوليم؛ إنه يحتوى على بعض المعروضات المحلية المشوقة".

"بالتأكيد سأحاول القيام بذلك يا سيدة وينفليت".

قالت السيدة وينفليت: "لقد أسدى اللورد ويتفيلد ويتشوود الكثير من النفع، ويحزننى أن هناك أشخاصًا ناكرين للجميل حقًا".

زمت شفتيها معًا. لم يطرح لوك فى بادرة تنم عن الحكمة أية أسئلة، وودعها ثانية.

وحينما دلفا خارج البوابة، قالت بريدجيت:

"هل تود إجراء المزيد من الأبحاث أم تريد العودة إلى المنزل من خلال طريق النهر؟ إنها تمشية رائعة".

وافق لوك على الفور على التمشية؛ فهو لم يرغب فى إجراء مزيد من التحقيقات أثناء وقوف بريدجيت كونواى إلى جواره. قال:

"العودة إلى المنزل من خلال طريق النهر بكل تأكيد".

سارا خلال الشارع الرئيسى، وكان واحد من المنازل الأخيرة قد علق فوقه لافتة مزخرفة بحروف ذهبية قديمة تشكل كلمة "بازار"، توقف لوك ونظر خلال إحدى النوافذ داخل الأعماق البادرة.

قال: "هذا صحن أثرى لطيف هناك، وسيحظى بإعجاب إحدى عماتى وأتساءل كم ثمنه؟".

"هلا دخلنا ورأينا؟".

"إن لم يكن لديك مانع؛ فأنا أحب التجول فى متاجر التحف الأثرية؛ ففى بعض الأحيان يحصل المرء على صفقة جيدة".

قالت بريدجيت فى جفاف: "لا أعتقد أنك قد تنجح فى مسعاك هذا هنا. إن إيلسورثى يعرف قيمة معروضاته بدقة، أؤكد لك هذا".

كان الباب مفتوحًا، وفى الردهة كانت هناك مقاعد وآرائك ومزينات يستقر فوقها أوان صينية وفخارية، وكانت هناك حجرتان مملوءتان بالبضائع على كل جانب.

ذهب لوك إلى الغرفة التى على اليسار وأمسك بالصحن الأثرى، وفى الوقت ذاته أتى شخص غير واضح المعالم من مؤخرة الغرفة حيث كان يجلس على مقعد من طراز كوين آن مصنوع من خشب الجوز.

"مرحبًا يا آنسة كونواى، أنا سعيد بلقائك".

"صباح الخير يا سيد إيلسورثى".

كان السيد إيلسورثى شابًا يافعًا يرتدى حلة خمرية اللون. كان ذا وجه طويل شاحب وفم أنثوى وشعر أسود طويل كشعر الفنانين ومشية متبخترة.

قدمت بريدجيت لوك له؛ مما جعله ينقل اهتمامه للوافد الجديد على الفور.

"إنه صحن إنجليزى قديم أصلى. جميل، أليس كذلك؟ أنا أحب معروضاتى للغاية وأبغض بيعها؛ فطالما حلمت بأن أعيش فى قرية وأمتلك متجراً صغيرًا بها. إن ويتشوود هى مكان رائع حقًا؛ فجوها مميز، إن كنت تعلم ما أعنى".

تمتمت بريدجيت: "تلائم الحالة المزاجية لفنان".

استدار ناحيتها إيلسورثى بيديه البيضاوين الطويلتين.

"لا، أرجوك يا آنسة كونواى، ليست هذه العبارة الشنيعة. لا تخبرينى أننى فنان وموهوب. فلا يمكننى تحمل هذا. فكما تعلمين أنا لا أتاجر فى التويد المغزول يدويًا والأوانى الفخارية؛ فأنا مجرد تاجر، تاجر لا أكثر".

قال لوك: "ولكنك فنان حقيقى، ألا ترسم الصور المائية؟".

صاح السيد إيلسورثى وهو يصفق بيديه معًا: "الآن، من أخبرك بهذا؟ إن هذا المكان مدهش حقًا. فلا يستطيع أحد الإبقاء على سر به. وهذا هو ما أحبه بشأنه؛ فالجو هنا يختلف عن جو المدينة تمامًا والذى يتسم بعدم التدخل فى شئون الغير! إن النميمة والمكر والفضائح تعد كلها أشياء جميلة إن تقبلها المرء بصدر رحب!".

اكتفى لوك بالإجابة عن سؤال السيد إيلسورثى ولم يبد اهتمامًا بالجزء المتبقى من ملاحظاته.

"أخبرتنا السيدة وينفليت أنك رسمت عدة صور للفتاة. آمى جيبس".

قال السيد إيلسورثى: "آه، نعم"، وأخذ خطوة للخلف ووازن كوبًا من الشراب كان قد تأرجح، قام بتثبيته بحرص، قال: "هل قمت بذلك؟ آه، نعم، أعتقد أن هذا صحيح".

بدا أنه فقد رباطة جأشه بعض الشىء.

قالت بريدجيت: "كانت فتاة جميلة".

استعاد السيد إيلسورثى ثقته بنفسه.

سأل: "أتعتقدين ذلك؟ كانت عادية للغاية، طالما اعتقدت هذا"، وجه كلامه إلى لوك: "إن كنت تريد الصحن. فإن لدى صحنين أثريين منقوشًا عليهما صور لطيور. إنهما جميلان حقًا".

أبدى لوك بعض الاهتمام بالصحنين ثم سأل عن سعر الصحن.

قال له إيلسورثى رقمًا.

قال لوك: "شكرًا لك، ولكننى لا أظن أننى أريد حرمانك منه".

قال إيلسورثى: "أنا دائمًا أشعر بالسعادة حينما لا أتمم صفقة. أنا غبى حقًا، أليس كذلك؟ اسمع، سوف أخفض لك السعر جنيهًا. أنت تريد البضاعة. يمكننى رؤية هذا. إن هذا يشكل فارقًا كبيرًا بالنسبة لى. وبالرغم من كل شىء، فإنك فى متجر".

قال لوك: "لا، أشكرك".

صاحبهما السيد إيلسورثى حتى الباب وهو يلوح بيديه. كانتا يدين قبيحتين للغاية، هكذا ظن لوك. فقد كانتا رماديتين أكثر منهما بيضاوين.

قال حينما ابتعدا عن المكان: "إنها بضاعة قذرة".

قالت بريدجيت: "بل هو شخص ذو عقلية قذرة وعادات قذرة".

"لماذا أتى إلى مكان مثل هذا؟".

"أومن أنه يشتغل فى السحر الأسود، ليس الأعمال التدنيسية ولكن أشياء مقاربة لهذا، وقد ساعدته سمعة هذا المكان على هذا!".

قال لوك فى دهشة: "يا إلهى! أعتقد أنه الشخص الذى أريده. لابد أن أتحدث معه بهذا الشأن. كان لابد لى أن أتحدث معه فى هذا الموضوع".

قالت بريدجيت: "أتعتقد هذا؟ إنه يعلم الكثير عن هذا الموضوع".

قال لوك فى تململ:

"سوف أزوره فى يوم آخر".

لم تجب بريدجيت. لقد أصبحا خارج البلدة الآن، ثم انحرفا ليتبعا طريقًا للمشاة حتى وصلا للنهر.

هناك مرا برجل ضئيل الحجم ذى شارب متصلب وعينين بارزتين. كان بصحبته ثلاثة كلاب بولدوج والتى كان يصيح بها بصوت أجش: "نيرو، تعالى هنا، نيللى، اتركى هذا، أسقطيه. أوجستس، من فضلك ـــ".

سكت ليرفع قبعته لبريدجيت، وحدق إلى لوك بفضول بالغ وواصل مسيرته وتعنيفه لحيواناته.

قال لوك: "الرائد هورتون وكلابه البولدوج؟".

"هذا صحيح".

"ألم نقابل جميع الشخصيات المهمة فى ويتشوود هذا الصباح؟".

"نعم".

قال لوك متذكرًا فى حزن كلمات جيمى لوريمر: "أنا أشعر بالتطفل، أعتقد أن الناس فى القرى الإنجليزية يميزون الغرباء من مسافة ميل".

قالت بريدجيت: "إن الرائد هورتون يفشل دومًا فى إخفاء شعوره بالفضول؛ فهو يحدق إلى الغرباء".

قال لوك بقسوة: "إنه من ذلك النوع من الرجال الذى يمكنك الجزم بأنه رائد شرطة فى أى مكان".

قالت بريدجيت فجأة: "هلا جلسنا على الضفة قليلاً، فمازال لدينا متسع من الوقت".

جلسا على جذع شجرة مقطوع، واصلت بريدجيت كلامها:

"نعم، الرائد هورتون ذو هيئة عسكرية وسلوكيات حازمة. وأنت لن تصدق قط أنه كان زوجًا تهيمن عليه زوجته منذ عام واحد فقط!".

"ماذا؟ هذا الرجل؟".

"نعم، كان متزوجًا من أبغض النساء اللاتى سبق ورأيتهن فى حياتى. وهى كانت غنية كذلك ولم تتردد لحظة فى التأكيد على هذه الحقيقة على الملأ".

"يا له من وحش مسكين، ذلك الذى يدعى هورتون".

"كان شديد اللطف معها . فكان يفصل دومًا بين عمله كشرطى وبين دوره كزوج. أنا شخصيًا أتعجب لماذا لم يحطم رأسها بفأس".

"إنها لم تكن محبوبة، على ما أعتقد".

"كان الجميع يبغضونها، فكانت تزدرى جوردون وتتعامل معى بتعالٍ، وقد كانت تثير سخط واستياء الجميع أينما حلت".

"ولكننى أعتقد أنه من رحمة الله أنه قدر لها الخروج من هنا؟".

"نعم، منذ حوالى عام بسبب التهاب معدة حاد، وقد حولت حياة زوجها ودكتور توماس واثنين من الممرضات إلى جحيم حقيقى، ولكنها ماتت بعد ذلك. بعدها تحسنت حالة الكلاب البولدوج على الفور".

"كلاب أذكياء!".

سادت فترة صمت. كانت بريدجيت تعبث بالأعشاب الطويلة. قطب لوك إزاء الضفة المقابلة فى شرود. مرة أخرى هيمنت عليه طبيعة مهمته المشابهة للحلم. ترى ماذا كان حقيقيًا وماذا كان مجرد خيال من بين كل ما سمعه؟ أليس هذا أمرًا شديد الصعوبة أن تمحص شخصية كل شخص جديد تقابله باعتباره قاتلاً محتملاً؟ رأى أن هذه الفكرة تنطوى على شىء مخز.

قال لنفسه: "تبًا لكل هذا. لقد ظللت أعمل رجل شرطة لفترة طويلة للغاية!".

وقد أفاق من شروده على صدمة؛ فكان صوت بريدجيت البارد الواضح يحادثه.

قالت: "يا سيد فيتزوليم، هلا أخبرتنى عن السبب الحقيقى الذى جاء بك إلى هنا؟".

الفصل ٦

طلاء القبعات

كان لوك على وشك إشعال سيجارته بعود ثقاب، ولكن المفاجأة الناجحة من ملاحظتها شلت يده للحظة، وظل بلا حراك للحظة أو اثنتين حتى احترق عود الثقاب وحرق أصابعه.

قال لوك وهو يرمى عود الثقاب ويهز رأسه فى عنف: "اللعنة! عذرًا. لقد صدمتنى بشدة" ابتسم فى كآبة.

"حقًا؟".

تنهد قائلا: "نعم. آه، حسنًا، أعتقد أن أى شخص يتمتع بذكاء حقيقى كان لابد له أن يكشف أمرى! إنك لم تصدقينا للحظة فى قصة قيامى بتأليف كتاب عن الفولكلور؟".

"ليس بعد أن رأيتك".

"كنت تصدقينها حتى ذلك الحين؟".

"نعم".

قال لوك منتقدًا: "إنها لم تكن قصة محبوكة. أعنى أن أى رجل قد يرغب فى تأليف كتاب، ولكن مسألة إتيانى إلى

هنا كابن عم لك هى التى جعلتك تشكين فىَّ، أليس كذلك؟".

هزت بريدجيت رأسها.

"لا. كان لدىّ تفسير لهذا. أعنى ظننت أن لدى تفسيرًا لهذا؛ فقد اعتقدت أنك معسور للغاية، فالعديد من أصدقاء جيمى وأصدقائى يتسمون بهذه الصفة، وقد ظننت أنه اقترح عليك مسألة ابن العم هذه كى تحفظ كرامتك".

قال لوك: "لكننى حينما وصلت أوحى مظهرى بأننى رجل ثرى مما أدحض هذا التفسير".

ابتسمت ابتسامة صغيرة.

قالت: "لا، لا، لم يكن الأمر كذلك. كل ما فى الأمر أنك كنت لا تتواءم مع ما كنت تدعيه".

"لا أمتلك ما يكفى من الذكاء لتأليف كتاب؟ لا أعبر عن مشاعرى؟ أنا أعلم هذا".

"لا، يمكنك تأليف كتاب. ولكن ليس هذه النوعية من الكتب. الخرافات القديمة والتنقيب فى الماضى. أنا لم أقتنع بهذا! فأنت لست من نوعية الأشخاص الذين يهتمون بالماضى. ولا حتى بالمستقبل. فقط الحاضر".

"آه، أتفهم ذلك". جعد وجهه. "تبًا، لقد جعلتنى أشعر بالتوتر منذ اليوم الذى أتيت فيه إلى هنا؛ فأنت تبدين ذكية للغاية".

قالت بريدجيت بجفاف: "أنا آسفة، ماذا كنت تتوقع؟".

"حسنًا، أنا لم أفكر فى هذا الأمر كثيرًا بالفعل".

لكنها واصلت كلامها بهدوء: "فتاة لعوب صغيرة تتمتع بما يكفى من الذكاء كى توقع مديرها فى شباكها؟".

أصدر لوك ضوضاء تنم عن الارتباك؛ فبادلته نظرة باردة ومرحة.

"أنا أتفهم هذا، لا بأس، أنا لست مستاءة".

اختار لوك الوقاحة.

"حسنًا، ربما كانت فكرتى عنك قريبة قليلاً مما قلته؛ ولكننى لم أفكر فيك كثيرًا".

قالت ببطء:

"أعلم أنك لم تكن لتفعل ذلك؛ فأنت لا تعبر السور حتى تصل إليه".

ولكن لوك كان يشعر بالقنوط.

"الآن ما من شك لدى أننى لم أحسن أداء دورى! هل كشف اللورد ويتفليد أمرى كذلك؟".

"لا، لا. فإذا قلت إنك أتيت إلى هنا كى تدرس عادات الخنافس المائية وتكتب عنها رسالة، فذلك سيكون لا بأس به لدى جوردون؛ فهو يصدق أى شىء".

"لا بأس؛ فأنا لم أكن مقنعًا بالمرة! لقد فضحت أمرى بطريقة ما".

قالت بريدجيت: "لقد قيدت أسلوبك، كنت أرى هذا. وأخشى أننى كنت أستمتع بهذا".

"بالطبع وجدته ممتعًا! فالنساء الذكيات عادة ما يكن قاسيات وذوات دم بارد".

تمتمت بريدجيت:

"لابد أن ينهل المرء من كل الأمور التى تمتعه بقدر استطاعته فى هذه الحياة!". سكتت للحظة ثم قالت: "لمَ أتيت إلى بلدتنا يا سيد فيتزوليم؟".

وهكذا عادا مجددًا إلى السؤال الأصلى. كان لوك يعلم أن هذا سوف يحدث، وفى اللحظات الأخيرة الماضية كان يحاول اتخاذ قرار بشأن إجابة هذا السؤال، فنظر إليها الآن وتقابلت عيناهما. كانت عيناها ذكيتين يتخللهما استفسار وقد قابلتا عينيه بتحديق ثابت وهادئ، كان بهما جاذبية لم يتوقع إيجادها فيهما.

قال لوك: "سيكون من الأفضل على ما أعتقد ألا أتلو على مسامعك مزيدًا من الأكاذيب".

"هذا صحيح".

"لكن الحقيقة مربكة... اسمعى هل توصلت لتفسير خاص بك. أعنى هل خطرت لك أية أفكار عن سبب وجودى هنا؟".

أومأت ببطء وهى مستغرقة فى التفكير.

"ما كان تفسيرك؟ هلا أخبرتنى؟ أعتقد أن ذلك قد يساعدنى بشكل ما".

قالت بريدجيت بهدوء:

"إن التفسير الذى لدىّ أن مجيئك إلى هنا له علاقة بموت هذه الفتاة آمى جيبس".

"هذا هو إذن! هذا هو ما رأيته. واستشعرته. كلما ذكر اسمها! كنت أعلم أن هناك شيئًا ما. إذن تعتقدين أننى أتيت لهذا السبب؟".

"أليس هذا صحيحًا؟".

"بشكل ما".

سكت وقطب حاجبيه، فجلست الفتاة إلى جواره صامتة كذلك بدون حراك، لم تقل شيئًا كى لا تقطع حبل أفكاره. توصل إلى قراره.

"لقد أتيت إلى هنا كى أبدأ مطاردة مثيرة والتى تأسست على افتراض خيالى وربما سخيف وميلودرامى. وآمى جيبس هى جزء من الأمر؛ فأنا أود أن أعرف كيف ماتت بالضبط".

"نعم، اعتقدت هذا".

"لكن دعك من كل هذا. لماذا اعتقدت هذا؟ ماذا فى موتها أثار اهتمامك؟".

قالت بريدجيت:

"لقد ارتبت فى الأمر منذ البداية، ولهذا اصطحبتك لرؤية السيدة وينفليت".

"لماذا؟".

"لأنها تشاركنى نفس هذا الرأى".

"آه". استعاد لوك ذكريات لقائه مع هذه السيدة سريعًا. الآن فهم التلميحات الضمنية لهذه السيدة العجوز الذكية.

"إنها تشاركك الرأى بأن الأمر ينطوى على شيء مريب؟".

أومأت بريدجيت.

"لماذا بالضبط؟".

"طلاء القبعات كبداية".

"ماذا تقصدين بطلاء القبعات؟".

"حسنًا، منذ نحو عشرين عامًا مضت كان الناس يطلون القبعات بالفعل؛ ففى أحد المواسم يكون لديك قبعة وردية وفى الموسم التالى تجلب طلاء قبعات لتصبح لديك قبعة زرقاء داكنة. ثم تجلب ربما زجاجة أخرى ويصبح لديك قبعة سوداء! ولكن الآن القبعات رخيصة. أشياء تلقى بها فى القمامة حينما تنتهى موضتها".

"حتى فتيات من طبقة آمى جيبس؟".

"إن احتمال قيامى بطلاء قبعة يفوق احتمال قيامها هى بأمر مماثل! لا أحد يقتصد الآن، وهناك أمر آخر؛ لقد كان طلاء قبعات أحمر اللون".

"إذن؟".

"آمى كانت صهباء. لون الجزر!".

"تقصدين أن اللونين لا يتماشيان؟".

أومأت بريدجيت موافقة.

"أنت لن ترتدى قبعة قرمزية إن كان لديك شعر جزرى اللون، إنه أحد الأشياء التى لن يستوعبها الرجال، لكن ـ".

قاطعها لوك باقتناع قوى.

"لا ـ الرجال لن يستوعبوا هذا، إن كل ما قلته يوضح الصورة أمامى أكثر فأكثر".

قالت بريدجيت:

"إن جيمى لديه بعض الأصدقاء غريبى الأطوار فى سكوتلاند يارد. أنت لست ـ".

قال لوك بسرعة:

"أنا لست محققًا رسميًا. كما أننى لست محققًا خاصًا معروفًا يمتلك مكتبًا فى شارع بيكى وما إلى ذلك. أنا كما أخبرك جيمى تمامًا. شرطى متقاعد من الشرق، وأنا أبحث فى هذا الأمر بسبب شىء غريب حدث فى القطار إلى لندن".

حكى لها باختصار عن حواره مع السيدة بنكرتون والأحداث التالية التى أتت به إلى ويتشوود.

أنهى كلامه قائلاً: "لذا كما ترين، الأمر عجيب! أنا أبحث عن رجل بعينه. قاتل سرى. رجل هنا فى ويتشوود، والذى ربما يكون ذائع الصيت ومحترمًا. وإن كانت السيدة بنكرتون محقة وأنت محقة والسيدة. ما اسمها. محقة. فإن هذا الرجل قتل آمى جيبس".

قالت بريدجيت: "أتفهم هذا".

"ويمكن أن يكون الفاعل قد دلف إلى غرفتها من الخارج، أليس هذا صحيحًا؟".

قالت بريدجيت ببطء: "أعتقد هذا. إن الشرطى ريد تسلق إلى نافذتها من خارج المنزل، فكانت النافذة مفتوحة. كان الأمر شاقًا بعض الشىء، ولكن أى رجل يتمتع بقدر من اللياقة يمكنه القيام بذلك بسهولة".

"وبعد أن قام بذلك ماذا فعل؟".

"وضع زجاجة طلاء القبعات مكان زجاجة شراب السعال".

"متمنيًا أن تقوم بما فعلته بالضبط. تستيقظ وتشربه، فيعتقد الجميع أنها ارتكبت خطأ أو انتحرت؟".

"نعم".

"لم يشك أحد فيما يطلقون عليه فى الكتب" جريمة قتل" أثناء التحقيق؟".

"لا".

"الرجال مجددًا، على ما أعتقد. فمسألة طلاء القبعات لم يتطرق إليها أحد؟".

"لا".

"لكنك فكرت بها".

"نعم".

"وبالنسبة للسيدة وينفليت؟ هل ناقشتما الأمر معًا؟".

ابتسمت بريدجيت فى وهن:

"لا، لا. ليس بالطريقة التى تعنيها. أعنى أننا لم نتحدث صراحة عن أى شيء. أنا لا أعلم فى الواقع ما تعتقده العجوز، كل ما أظنه أنها تشعر بالقلق. وتزداد قلقًا. إنها ذكية للغاية كما تعلم؛ فقد ارتادت جيرتون أو أرادت هذا، وكانت متفوقة حينما كانت صغيرة؛ فهى لا تملك هذا العقل المشوش الذى يمتلكه معظم سكان هذه البلدة".

قال لوك: "كانت السيدة بنكرتون تملك عقلاً مشوشًا على ما أعتقد، ولهذا السبب لم أصدق شيئاً من قصتها فى البداية".

قالت بريدجيت: "لقد كانت حاذقة للغاية. إن معظم هؤلاء السيدات العجائز الثرثارات يكن حادات كالأظافر فى بعض النواحى، قلت إنها ذكرت أسماء أخرى؟".

أومأ لوك.

"نعم. صبى صغير. هذا كان تومى بيرس. وقد تذكرت اسمه حينما سمعته، وأنا واثق من أنها أتت على ذكر كارتر أيضًا".

قالت بريدجيت وهى مستغرقة فى التفكير: "كارتر وتومى بيرس وآمى جيبس ودكتور هامبلباى. كما قلت تمامًا، إنه أمر يصعب تصديقه؛ فمن قد يرغب فى قتل كل هؤلاء الأشخاص؟ فهم يختلفون عن بعضهم تمامًا!".

قال لوك:

"هل لديك أية فكرة عمن قد يرغب فى قتل آمى جيبس؟".

هزت بريدجيت رأسها.

"ليس لدىّ فكرة".

"ماذا عن الرجل الذى يدعى كارتر؟ كيف مات بالمناسبة؟".

"سقط فى النهر وغرق. كان فى طريق عودته للمنزل، كانت ليلة ضبابية وكان ثملاً للغاية. كان هناك جسر مشاة ذو سور من جهة واحدة فقط، وقد اتفق الجميع على أن قدمه قد زلت".

"لكن يمكن أن يكون أحدهم قد دفعه كذلك؟".

"نعم".

"ويمكن أن يكون أحدهم قد دفع تومى الصغير المتوحش حينما كان ينظف النافذة؟".

"مرة أخرى، نعم".

"إذن فقد خلصنا إلى أنه من السهل التخلص من ثلاثة أشخاص دون أن يحوم حول الفاعل أدنى شك".

قالت بريدجيت: "لقد شكت السيدة بنكرتون".

"نعم، هذا صحيح، رحمها الله. إنها لم تخش أن يتهمها أحد بالميلودرامية أو تخيل أشياء".

"كثيرًا ما أخبرتنى أن العالم هو مكان يملؤه الشر".

"وكنت تكتفين فقط بالتبسم بتسامح على ما أعتقد؟".

"بطريقة متعالية!".

"أى شخص يستطيع تصديق ستة أشياء مستحيلة قبل الإفطار يفوز فى هذه اللعبة".

أومأت بريدجيت.

قال لوك:

"أعتقد أنه لا جدوى من سؤالى لك إن كانت تساورك أية شكوك؟ فلا يوجد أحد بعينه فى ويتشوود يثير فى نفسك الريبة أو يمتلك عينين شاحبتين غريبتين . أو ضحكة غريبة مجنونة".

"كل من قابلتهم فى ويتشوود يبدون لى راجحى العقل ومحترمين وأسوياء للغاية".

قال لوك: "كنت أخشى أن تقولى هذا".

قالت بريدجيت:

"هل تعتقد أن هذا الرجل مجنون تمامًا؟".

"نعم، أعتقد هذا. معتوه بالفعل ولكنه ماكر كذلك. آخر شخص يمكنك الشك فيه . على الأرجح أحد أعضاء المجتمع البارزين كمدير بنك".

"السيد جونز؟ لا يمكننى أن أتخيل قيامه بعملية قتل جماعى".

"إذن هو فى الغالب الرجل الذى نبحث عنه".

قالت بريدجيت: "قد يكون أى أحد. الجزار أو البقال أو عامل المزرعة أو عامل إصلاح الطريق أو الشخص الذى يوصل اللبن".

"ربما . نعم . ولكننى أعتقد أن الاحتمالات تقتصر على فئة أقل".

"لماذا؟".

"تحدثت السيدة بنكرتون عن النظرة التى توجد فى عينيه حينما يخطط لقتل ضحيته التالية؛ فمن الطريقة التى تحدثت بها تولد لدى الانطباع . وهو مجرد انطباع . أن الرجل الذى تحدثت عنها يناظرها على الأقل فى المستوى الاجتماعى، وبالطبع من الممكن أن أكون مخطئًا".

"أنت محق على الأرجح! إن هذه الفروق الدقيقة فى الحوار لا تحتمل التخمين، وهى من الأشياء التى لا يخطئ المرء بشأنها".

قال لوك: "أتعلمين، أنا أشعر براحة غامرة؛ لأنك تعرفين الكثير وتشاركيننى رأيى".

أنا أتفق معك على أن ذلك سيقيد أسلوبك بشكل أقل، وأنا أستطيع على الأرجح مساعدتك".

"إن مساعدتك ستكون بالغة القيمة بالنسبة لى. أنت تريدين كشف النقاب عن هذا اللغز؟".

"بالطبع".

قال لوك بعدما ساوره شعور مفاجئ بسيط بالإحراج:

"ماذا عن اللورد ويتفيلد؟ هل تعتقدين ــ؟".

قالت بريدجيت: "فى الأحوال الطبيعية نحن لا نخبر جوردون بأى شىء!".

"أتقصدين أنه لن يصدق هذا؟".

"لا، سوف يصدق! إن جوردون يصدق أى شىء! فهو سوف يشعر بالسعادة على الأرجح ويصر على أن يجوب نصف دستة من موظفيه الشباب النابهين البلدة! إنه سوف يعشق الأمر!".

قال لوك: "هذا إذن يحتم علينا عدم إخباره".

"نعم، لا يمكننا السماح له باغتنام مثل هذه المتع الصغيرة على ما أخشى".

نظر لوك إليها. بدا أنه على وشك أن يقول شيئاً ما لكنه غير رأيه. نظر بدلاً من ذلك إلى ساعته.

قالت بريدجيت: "نعم، لابد أن نعود إلى المنزل".

نهضت. ساد بينهما ارتباك مفاجئ، كما لو أن كلمات لوك التى لم ينطق بها حامت فى الهواء ووتّرته.

سارا إلى المنزل فى صمت.

الفصل ٧

الاحتمالات

جلس لوك فى فراشه، كان فى وقت الغداء قد خاض استجواباً قادته السيدة أنستروثر بشأن الزهور التى يزرعها فى حديقته فى ماينج سترايتس، أخبرته بعد ذلك عن نوع الزهور الذى سينمو بشكل جيد هناك، واستمع كذلك إلى المزيد من موضوع "نصائح إلى الشباب من حياتى" بلسان اللورد ويتفيلد. الآن أصبح وحده أخيراً.

أخذ ورقة وكتب مجموعة من الأسماء كما يلى:

دكتور توماس

السيد آبوت

الرائد هورتون

السيد إيلسورثى

السيد ويك

السيد جونز

صديق آمى

الجزار، الخباز، صانع الشمعدان، إلخ.

بعد ذلك أخذ ورقة أخرى وعنونها بكلمة "الضحايا". وتحت العنوان كتب:

آمى جيبس:	*تسممت*
تومى بيرس:	*تم دفعه خارج النافذة*
هارى كارتر:	*تم دفعه من فوق جسر المشاة (ثمل؟ متعاطى مخدرات؟).*
دكتور هاميلباى:	*تسمم فى الدم*
السيدة بنكرتون:	*دهستها سيارة*

أضاف:

السيدة روز؟
بن العجوز؟

وبعد فترة كتب:

السيدة هورتون؟

تأمل قوائمه ودخن قليلاً ثم التقط قلمه مجدداً.

دكتور توماس: دليل الإدانة ضده.

دافع قوى فى حالة دكتور هاميلباى. طريقة قتل ملائمة. تسمم بالجراثيم. زارته آمى جيبس فى فترة بعد ظهيرة يوم موتها (هل يوجد شىء بينهما؟ ابتزاز؟)

تومى بيرس؟ لا علاقة معروفة بينهما (هل علم تومى بوجود علاقة بينه وبين آمى جيبس؟).

هارى كارتر؟ لا علاقة معروفة بينهما.

هل كان دكتور توماس غائبًا عن ويتشوود فى يوم ذهاب السيدة بنكرتون إلى لندن؟

تنهد لوك وكتب عنوانًا جديدًا:

السيد أبوت: دليل الإدانة ضده.

(شعور داخلى بأن المحامى هو شخص مثير للريبة. حكم مسبق على الأرجح). شخصيته. شخص متورد الوجه، ولطيف، إلخ. ستكون بدون شك شخصية مثيرة للريبة فى إحدى الروايات. ينصبّ الشك دومًا على الرجل متورد الوجه المخادع.

الاعتراض: هذه ليست رواية ولكن حياة واقعية.

دافعه لقتل دكتور هاميلباى. عداوة واضحة بينهما؛ فهو تحدى أبوت؛ وهذا دافع كاف بالنسبة لعقل مشوش، وقد استطاعت السيدة بنكرتون بسهولة أن تلحظ هذه العداوة.

تومى بيرس؟ قام تومى بالعبث فى أوراق أبوت. هل عثر على شىء لم يكن ينبغى له العثور عليه؟

هارى كارتر؟ لا توجد علاقة معروفة بينهما.

آمى جيبس؟ لا توجد علاقة معروفة بينهما. إن طلاء القبعات هو طريقة مناسبة للقتل تلائم عقلية أبوت. عقلية عتيقة الطراز. هل كان أبوت متغيبًا عن القرية يوم مقتل السيدة بنكرتون؟

الرائد هورتون: دليل الإدانة ضده.

لا علاقة معروفة بينه وبين آمى جيبس أو تومى بيرس أو كارتر.

ماذا عن السيدة هورتون؟ يبدو أنها ماتت بسبب تسمم الزرنيخ. لو كان هذا صحيحًا، فإن حالات القتل الأخرى ربما تكون ناتجة عن هذا. الابتزاز؟ ملحوظة. فإن توماس هو الطبيب المعالج (تتجه أصابع الاتهام ناحية توماس مجددًا).

السيد إيلسورثى: دليل الإدانة ضده.

بضائع قذرة. متورط فى السحر الأسود. ربما يكون قاتلاً متعطشًا للدماء. تربطه علاقة مع آمى جيبس. أى علاقة بينه وبين تومى بيرس؟ كارتر؟ لا توجد علاقة معروفة. هامبلباى؟ ربما يكون قد اكتشف حالة إيلسورثى العقلية. السيدة بنكرتون؟ هل كان إيلسورثى متغيبًا عن ويتشوود يوم مقتل السيدة بنكرتون؟

السيد ويك: دليل الإدانة ضده.

احتمال بعيد. جنون دينى محتمل؟ شعور مختل بأنه موكل من الله للقتل؟ رجل الدين العجوز عادة ما يكون هو القاتل فى الروايات، لكن (كالسابق) هذه هى الحياة الواقعية.

ملحوظة. كارتر وتومى وآمى جميعهم شخصيات غير محبوبة. ومن الأفضل التخلص منهم من الحياة الدنيا بقضاء إلهى؟

السيد جونز.

معلومات. لا يوجد.

صديق آمى.

لديه دافع قوى لقتل آمى. ولكن احتمال أن يكون هو قاتل جميع الضحايا بعيد بوجه عام.

الآخرون؟

لا يعرفهم.

قرأ ما كتبه.

بعد ذلك هز رأسه.

تمتم برقة:

"هذا سخيف! كم كان إقليدس يضع نظرياته بطريقة لطيفة".

مزق قوائمه وحرقها.

قال لنفسه:

"إن هذه المهمة لن تكون سهلة".

الفصل ٨

دكتور توماس

اتكأ دكتور توماس للخلف فى مقعده ومرر يده الرقيقة فى شعره الأصفر الكثيف. كان شابًا ذا مظهر خادع؛ فبالرغم من أنه تعدى الثلاثين إلا أن نظرة خاطفة له قد تقود إلى الاعتقاد أنه فى أوائل العشرينات إن لم يكن فى سنوات المراهقة؛ فشعره الأصفر الجامح الكثيف وتعبير الفزع الخفيف على وجهه وبشرته الوردية والبيضاء، كلها عناصر تضافرت لتعطيه مظهر صبى المدرسة الذى لا يقاوم. وبالرغم من مظهره غير الناضج إلا أن تشخيصه لحالة لوك. ركبة مصابة بالروماتيزم . تطابق تمامًا وبدقة مع التشخيص الذى أدلى له به طبيبه المتخصص الشهير فى شارع هارلى منذ أسبوع واحد مضى.

قال لوك: "شكرًا لك، حسنًا، أنا أشعر بالراحة؛ لأنك تعتقد أن العلاج الكهربى سيتولى الأمر؛ فأنا لا أريد أن أصبح قعيدًا فى سنى هذه".

ابتسم دكتور توماس بشكل صبيانى.

"آه، أعتقد أنك لست معرضًا لأى خطر من هذا القبيل يا سيد فيتزوليم".

قال لوك: "حسنًا، لقد أزحت عبئاً من فوق كاهلى. كنت أفكر فى الذهاب إلى متخصص ما . ولكننى واثق أنه ما من حاجة لذلك الآن".

ابتسم دكتور توماس ثانية.

"اذهب إن كان فى هذا راحة لك؛ فبالبرغم من كل شىء فهو تصرف سديد أن تطلب نصيحة متخصص".

"لا، لا، أنا أثق بك تمامًا".

"بصراحة، إن حالتك لا تنطوى على أى تعقيد، فإن عملت بنصيحتى، فأنا واثق أنك لن تجابه أية متاعب بعد ذلك".

"لقد طمأنتنى للغاية أيها الطبيب؛ فأنا ظننت أننى ربما أصاب بالتهاب المفاصل ليتم تقييدى بعد ذلك بالأربطة وأصبح عاجزًا عن الحركة".

هز دكتور توماس رأسه، بينما تعلو وجهه ابتسامة تسامح خفيفة.

قال لوك بسرعة:

"إن الرجال عادة ما يسيطر عليهم الفزع بهذه الطريقة. أعتقد أنك معتاد على هذا؟ فأنا شخصيًا أظن أن الطبيب لابد أن يشعر بأنه ساحر بالنسبة لمرضاه".

"لكن عنصر الإيمان بالله له دخل كبير باعتقاد مثل هذا".

"أعلم هذا، إن عبارة "الطبيب قال ذلك" يرددها الآخرون بكل تبجيل واحترام".

رفع دكتور توماس كتفيه.

تمتم ممازحًا: "لو كان المرضى يعلمون فقط!".

ثم قال:

"أنت تؤلف كتابًا عن السحر، أليس كذلك يا سيد فيتزوليم؟".

سأل لوك بدهشة مبالغ فيها ومفتعلة إلى حد ما: "الآن كيف علمت هذا؟".

بدا دكتور توماس سعيدًا.

"يا سيدى العزيز، إن الأخبار تنتشر بسرعة كبيرة فى مكان كهذا؛ فنحن ليس لدينا الكثير للتحدث بشأنه".

"إن المكان هنا يتسم بالمبالغة كذلك؛ فأنت سوف تسمع أننى أقوم بتحضير الأرواح المحلية وأنافس ساحرة إندور".

"من الغريب أن تقول شيئاً كهذا".

"لماذا؟".

"حسنًا، إن الشائعة التى سمعتها أنك قمت بتحضير روح تومى بيرس".

"بيرس؟ بيرس؟ هل ذاك هو الصبى الذى سقط من النافذة؟".

"نعم".

"أنا لا أدرى كيف . آه بالطبع . لقد سألت عنه ذات مرة عرضيًا ذلك المحامى، ما اسمه؟ آبوت".

"نعم، إن القصة مصدرها آبوت".

"أنت لا تعنى أننى حولت محاميًا متحجر الفؤاد إلى شخص يؤمن بالأشباح؟".

"أنت تؤمن بالأشباح إذن؟".

"إن نبرة صوتك توحى بأنك لا تؤمن بها أيها الطبيب. لا، أنا لا أقول إننى أومن بالأشباح. لكننى أعرف أن ثمة ظواهر مثيرة للفضول تحدث فى حالة الموت المفاجئ أو العنيف. ولكن اهتمامى ينصب أكثر على الخرافات المتعددة المرتبطة بحالات الموت المتسمة بالعنف. أن الرجل المقتول على سبيل المثال لا يستطيع الراحة فى قبره، وثمة اعتقاد مثير أن دم الرجل المقتول يتدفق إن قام قاتله بلمسه. أتساءل عن مصدر مثل هذا الاعتقاد".

قال توماس: "هذا مثير، ولكن لا أعتقد أن الكثير من الناس يتذكرون هذا حاليًا".

"أكثر مما قد تعتقد، بالطبع أنا لا أعتقد أن العديد من جرائم القتل وقعت هنا. لذا فمن الصعب الحكم على هذه الأمور".

كان لوك يبتسم وهو يتحدث بينما تستقر عيناه فى لامبالاة على وجه الشخص الآخر. ولكن دكتور توماس بدا غير قلق وابتسم بدوره.

"لا، لا أعتقد أن جريمة قتل حدثت هنا منذ. منذ العديد من السنوات. وبالتأكيد ليس أثناء وجودى فى البلدة".

"بالتأكيد، فهذه بلدة مسالمة وتعمها السكينة؛ فهى لا تعرف عن الأعمال العنيفة والوحشية شيئاً، إلا إذا قام أحدهم بدفع تومى. ماذا كان اسمه. من النافذة".

ضحك لوك، مرة أخرى أجابه دكتور توماس بابتسامة. ابتسامة طبيعية مليئة بالسعادة الصبيانية.

قال: "إن العديد من الناس كانوا يرغبون فى قطع رقبة هذا الصبى، ولكننى لا أعتقد أن أحدهم قد يجرؤ على دفعه خارج النافذة".

"يبدو أنه كان طفلاً كريهاً. وربما رأى القاتل أن التخلص منه بمثابة الواجب الوطنى".

"من المؤسف أن المرء لا يستطيع تطبيق هذه النظرية كثيرًا".

قال لوك: "طالما ظننت أن قتل عدد من الناس من شأنه أن يكون مفيدًا للمجتمع. فالثرثرة على سبيل المثال يجب إنهاؤها بشراب مسكر مسموم. وهناك النساء اللاتى يتدفقن إليك ويمزقن أعز صديقاتهن إرباً بألسنتهن. وهناك العجائز النمامات، وهناك العنيدون ممن يعارضون التقدم، فإن تم التخلص من كل هؤلاء ببساطة، ستكون قد أسديت الحياة الاجتماعية معروفًا كبيرًا".

اتسعت ابتسامة دكتور توماس الصغيرة لتصبح ابتسامة عريضة.

"فى الواقع، أنت تشجع الجريمة على نطاق واسع؟".

قال لوك: "بل الإبادة المتسمة بحسن التمييز. ألا توافقنى الرأى بأن ذلك سيكون مفيدًا؟!".

"آه، بدون شك".

قال لوك: "ولكنك لست جادًا. الآن أنا أصبحت جادًا. فأنا لا أملك حس احترام حياة الإنسان الذى يمتلكه الرجل الإنجليزى العادى؛ فأى شخص يمثل عقبة فى سبيل التقدم لابد من التخلص منه. هذا هو رأيى!".

بعد أن مرر يده خلال شعره الأصفر القصير قال دكتور توماس:

"نعم، ولكن من باستطاعته تنصيب نفسه حكمًا على الإبقاء على حياة وإنهاء أخرى؟".

اعترف لوك قائلاً: "إن هذا هو مكمن الصعوبة بالطبع".

"إن أحد رجال الدين المتشددين سوف يعتبر أن مناديًا بالشيوعية لا يجب أن يعيش. وأحد المنادين بالشيوعية سوف يحكم على أحد رجال الدين بالموت بوصفه مروجًا للخرافات، والطبيب سوف يرغب فى موت غير الأصحاء، ومعارض الحروب سوف يدين الجندى، وهكذا".

قال لوك: "يمكن تقليد عالم كحكم. شخص يتسم بعدم الانحياز وفى نفس الوقت يكون ذا عقلية شديدة التخصص. طبيب على سبيل المثال. وإذا اتفقنا على ذلك فأنت سوف تكون نعم الحكم أيها الطبيب".

"أن أقرر من يجب أن يموت؟".

"نعم".

هز دكتور توماس رأسه.

"إن وظيفتى هى أن أجعل غير الصالح صالحًا، وأنا أعترف أنها وظيفة شديدة الصعوبة معظم الوقت".

قال لوك: "فقط على سبيل التحاور؛ لنأخذ الراحل هارى كارتر مثالاً لنا ـ".

قال دكتور توماس بحدة:

"كارتر؟ هل تعنى مالك سفن ستارز؟".

"نعم، إنه هو. أنا لم يسبق لى التعرف عليه، ولكن ابنة عمى الآنسة كونواى كانت تتحدث عنه. يبدو أنه كان وغدًا حقيقيًا".

قال الطبيب: "حسنًا، كان سكيرًا، هذا شىء معروف، كما أنه كان يسىء معاملة زوجته ويقسو على ابنته. كان مؤذيًا ومشاكسًا وعلى خلاف مع معظم سكان البلدة".

"فى الواقع لقد أصبح العالم أفضل بدونه؟".

"نعم، أوافقك الرأى".

"وإن حدث ودفعه أحدهم فى النهر عوضًا أن يتركه يقع من تلقاء نفسه، فإن هذا الشخص سيكون قد أسدى المجتمع خدمة؟".

قال دكتور توماس بجفاف:

"تلك النظرية التى تنادى بها، هل قمت بتطبيقها فىماينج سترايتس؟ أعتقد هذا هو المكان الذى قلت إنك جئت منه".

ضحك لوك.

"لا، لا، إنها لاتزال نظرية بالنسبة لى ولم تصل إلى حد التطبيق".

"لا، لا، لا يبدو لى أنك تتصرف كقاتل".

"لماذا؟ لقد كنت صريحًا بما فيه الكفاية وكشفت لك عن أفكارى".

"تمامًا. كنت صريحًا للغاية".

"أتعنى أننى إن كنت من ذلك النوع من الرجال الذى يسعى لتطبيق العدالة بنفسه ما كنت لأعلن عن أفكارى؟".

"هذا ما قصدته".

"لكن ربما أعتبر الأمر كشىء مثل التبشير. ربما يكون هذا الموضوع قد أصابنى بالهوس!".

"حتى لو كان هذا صحيحًا، فإن حس حماية الذات لديك سيكون نشطًا".

"فى الواقع، إن أردت البحث عن قاتل، فابحث عن هذا الرجل الذى لا يبدو أن باستطاعته إيذاء ذبابة".

قال دكتور توماس: "هذه المقولة مبالغ فيها بعض الشىء، لكن بها شىء من الحقيقة".

قال لوك فجأة:

"أخبرنى. فأنا أود أن أعرف. هل سبق أن عرفت رجلاً كنت واثقًا أنه قاتل؟".

قال دكتور توماس بحدة:

"يا له من سؤال غريب!".

"حقًا؟ على أية حال، عادة ما يصادف الطبيب الكثير من الشخصيات الغريبة. ومن الأفضل أن يكون باستطاعته التعرف على أعراض مرض النزوع إلى القتل فى مرحلة مبكرة قبل أن تتفاقم وتحدث كارثة".

قال توماس بانزعاج:

"إنك تملك فكرة الإنسان العادى عن الشخص النازع إلى القتل. رجل يجرى مسعورًا وفى يده سكين، رجل يزبد من فمه. لكن دعنى أؤكد لك أنه من أصعب الأمور فى العالم أن تتعرف على مثل هذا الشخص النزاع إلى القتل؛ فهو قد يبدو مثل أى

شخص آخر. رجل قد يشعر بالخوف بسهولة أو الذى ربما يخبرك أن له أعداء. لا أكثر من هذا. رجل هادئ غير مؤذ".

"هل هذا صحيح؟".

"بالطبع هو صحيح. إن المجنون النزاع إلى القتل عادة ما يقتل (حسبما يعتقد) دفاعًا عن نفسه، ولكن بالطبع العديد من القتلة هم أشخاص أسوياء مثلى ومثلك".

"لقد أثرت فى نفسى الفزع أيها الطبيب! تخيل لو أنك اكتشفت بعد ذلك أننى قمت بقتل خمس أو ست ضحايا".

ابتسم دكتور توماس.

"لا أعتقد هذا يا سيد فيتزوليم".

"حقًا؟ سوف أرد لك هذه المجاملة. لا أعتقد أنه من الممكن أن تكون قد قتلت خمس أو ست ضحايا كذلك".

قال دكتور توماس ببهجة:

"أنت لا تحسب ضحايا مهنتى".

ضحك كلا الرجلين.

نهض لوك مودعًا.

قال معتذرًا: "أخشى أننى أخذت الكثير من وقتك".

"أنا لست مشغولاً فى الواقع، إن ويتشوود هى مكان صحى فى الحقيقة. أنا سعيد لأننى تحدثت مع شخص من العالم الخارجى".

قال لوك: "كنت أتساءل -" ثم سكت.

"ماذا؟".

"أخبرتنى الآنسة كونواى حينما أرسلتنى إليك كم أنك رجل. حسنًا. شديد الرقى. أتساءل إن كنت تشعر بأنك مدفون هنا؟ فليس هناك فرص لتنمية أية مواهب هنا".

"لا، إن الممارسة العامة هى بداية جيدة. إنها تجربة لا تقدر بقيمة".

"لكنك لن تكون سعيدًا إن ظللت مدفونًا بهذه الطريقة طوال حياتك. إن شريكك السابق. دكتور هامبلباى. كان رجلاً غير طموح حسبما سمعت .لقد ظل هنا طوال سنوات طويلة، أليس كذلك؟".

"طوال حياته تقريبًا".

"كان راجح العقل ولكن عتيق الطراز كما سمعت".

قال دكتور توماس:

"كان صعب المراس فى بعض الأحيان... متشككًا للغاية فى الاختراعات الحديثة، ولكنه كان نموذجاً جيدًا لمدرسة الأطباء القديمة".

قال لوك ممازحاً:

"سمعت أنه ترك ابنة جميلة للغاية".

كان سعيدًا لرؤية وجه دكتور توماس الوردى الشاحب يتحول إلى اللون القرمزى.

قال: "نعم، هذا صحيح".

حدق إليه لوك بعطف. كان سعيدًا لحقيقة محوه دكتور توماس من قائمة المشتبه بهم.

استعاد الأخير لون بشرته الطبيعى وقال فجأة:

"إن حديثنا عن الجريمة ذكرنى بأن لدى كتابًا يمكننى أن أعيرك إياه، بما أنك مهتم بهذا الموضوع! إنه ترجمة للكاتب الألمانى كروزهامر "الدونية والجريمة"".

قال لوك: "شكرًا لك".

مرر دكتور توماس إصبعه خلال رف وأخرج الكتاب الذى يبحث عنه.

"ها هو. بعض النظريات التى توجد به مفزعة حقًا . وبالطبع هى جميعًا نظريات ولكنها مثيرة حقًا. الحياة المبكرة لـ منزهيلد على سبيل المثال، فرانكفورت الجزار كما يطلقون عليه، والفصل الذى يحكى عن آن هيلم مربية الأطفال القاتلة شديد التشويق".

قال لوك: "لقد قتلت نحو دستة من أطفال تحت رعايتها قبل أن تشك بها السلطات على ما أعتقد".

أومأ دكتور توماس.

"نعم. كانت صاحبة شخصية شديدة الطيبة وتعشق الأطفال، وتبدو مفطورة القلب من الظاهر عند وفاة كل طفل. إن علم النفس مذهل حقًا".

قال لوك: "المذهل هو كيف ينجو مثل هؤلاء الأشخاص بفعلتهم".

كان عند عتبة العيادة الآن، وقد ذهب معه دكتور توماس.

قال دكتور توماس: "إنه ليس مذهلاً فى الواقع. إن الأمر سهل كما تعرف".

"ما هو السهل؟".

"أن تفلت بفعلتك". كان يبتسم مجددًا، قلل الابتسامة الصبيانية الساحرة مصنفًا: "إن كنت حريصًا. وعلى المرء أن يكون حريصًا دومًا. هذا هو كل ما يتطلبه الأمر! فالرجل الحاذق يحرص على ألا يرتكب خطأ، وهو ليس بحاجة لأكثر من هذا".

ابتسم ودخل المنزل.

وقف لوك يحدق بالدرجات.

كان هناك شيء ينم عن التعالى فى ابتسامة الطبيب. خلال حوارهما كان يشعر لوك أنه رجل ناضج للغاية وأن دكتور توماس هو مجرد شاب ذكى.

لكن للحظة شعر أن هذا قد انعكس؛ فابتسامة الطبيب كانت تشبه ابتسامة رجل ناضج مخضبة بذكاء طفل.



الفصل ٩

السيدة بيرس تتحدث

فى المتجر الصغير بالشارع الرئيسى اشترى لوك عبوة سجائر وطبعة اليوم من "جود تشير"، تلك الجريدة الأسبوعية الجسورة التى تمد اللورد ويتفيلد بجزء لا بأس به من عائده الأساسى. بعد أن استطلع أخبار منافسات كرة القدم أعلن لوك متأوهًا أنه فشل لتوه فى كسب مائة وعشرين جنيهًا. وقد تعاطفت معه السيدة بيرس على الفور وأخبرته عن إحباطات مماثلة يتعرض لها زوجها. وبعد أن ترسخت بينهما هذه العلاقة الودية لم يجد لوك صعوبة فى إطالة الحوار.

قالت زوجة السيد بيرس: "إن السيد بيرس يحب كرة القدم كثيرًا؛ فهو يقرأ أخبارها أولًا فى الجرائد، وكما ذكرت فقد أصيب بكثير من الإحباطات، ولكننى أرى أنه ليس فى وسع الجميع الفوز، وأنت لا يمكنك تغيير حظك".

اتفق معها لوك فى آرائها هذه، وتقدم خطوة للأمام بسهولة حينما ردد المقولة العميقة التى تفيد بأن المصائب لا تأتى فرادى.

تنهدت السيدة بيرس: "نعم يا سيدى، أنا أعرف هذا حق المعرفة، وحينما تكون المرأة متزوجة ولديها ثمانية أطفال. ستة منهم أحياء يرزقون واثنان تواريا تحت الثرى. حسنًا، فإنها تعلم فى ذلك الحين معنى كلمة مصائب".

قال لوك: "أعتقد أن هذا صحيح بلا شك، تقولين مات اثنان من أطفالك؟".

قالت السيدة بيرس بشىء يشبه البهجة التى يشوبها الحزن: "أحدهما توفى منذ أقل من شهر".

"يا إلهى! هذا محزن حقًا".

"لم يكن الأمر محزنًا فقط يا سيدى، بل كان بمثابة الصدمة. هذا ما كان عليه الأمر، صدمة حقيقية! لقد جن جنونى حينما سمعت بالأمر، فأنا لم أتوقع أن يحدث شىء من هذا القبيل لتومى؛ فحينما تنجب طفلاً يسبب لك الكثير من المشكلات لا يخطر فى بالك أبدًا أنه قد يموت. أما إيما جين فكانت مخلوقة صغيرة جميلة. كان الآخرون يقولون لى: "إنك لن تتكبدى أى عناء فى تربيتها"، "إنها أفضل من أن تعيش فى هذا العالم". وقد كان هذا صحيحًا يا سيدى؛ فقد اصطفاها الله لتموت صغيرة".

واساها لوك وناضل للعودة من موضوع وفاة الملاك إيما جين إلى وفاة تومى الذى لم يكن يعرف شيئًا عن الملائكة.

قال: "لقد مات ابنك مؤخرًا. فى حادث؟".

"نعم يا سيدى فى حادث، كان ينظف زجاج هذا المنزل الذى حولوه إلى مكتبة الآن ولابد أنه فقد اتزانه وسقط. من أعلى النافذة. هذا ما حدث".

أسهبت السيدة بيرس فى سرد كل تفاصيل الحادث.

قال لوك فى لا مبالاة: "ألم يقل أحدهم أنه رآه يرقص فوق حافة النافذة؟".

قالت السيدة بيرس إن الأولاد سيظلون أولادًا. ولكن بدون شك هذا الرائد المزعج لم يدع أمرًا كهذا لحاله.

"الرائد هورتون؟".

"نعم يا سيدى؛ ذلك الرجل صاحب الكلاب البولدوج. فبعد الحادث استغل كل فرصة ليتحدث عن مدى طيش تومى. وبالطبع يبين هذا أنه إن كان قد طرأ شىء مفاجئ أفزعه فإن ذلك كان ليوقعه بسهولة. النشاط المفرط يا سيدى، تلك كانت مشكلة تومى. كان يسبب لى كثيرًا من المشكلات". أنهت كلامها قائلة: "ولكن هذا هو كل ما فى الأمر. نشاط مفرط، لا شىء سوى نشاط مفرط، ويمكن لأى طفل أن يتسم بمثل هذه الصفة. إنه لم يكن مؤذيًا على الإطلاق كما يمكنك أن تعتقد".

"لا، لا، أنا واثق من أنه لم يكن مؤذيًا، ولكن فى بعض الأحيان يا سيدة بيرس ينسى الرجال متوسطو العمر الوقورون أنهم كانوا أطفالاً".

تنهدت السيدة بيرس قائلة:

"أنت محق تمامًا يا سيدى. أنا فقط أتمنى أن يشعر بعض الرجال. ممن أستطيع أن أذكر لك أسماءهم ولكننى لن أفعل. بالأسى لأنهم قسوا على الطفل، فقط بسبب فرط نشاطه".

سأل لوك بابتسامة متسامحة: "لقد كان يمارس بعض الحيل مع مرءوسيه؟".

أجابت السيدة بيرس على الفور:

"لقد كان يلهو فقط يا سيدى، هذا هو كل ما فى الأمر؛ فكان تومى بارعًا فى التقليد. كان يجعلنا نضحك من قلبنا حينما يمشى متبخترًا وهو يتظاهر بأنه السيد إيلسورثى فى متجر التحف الخاص به. أو حينما يقلد السيد هوبس العجوز. وهو كان يقلد سيده فى الحديقة بينما يضحك البستانيان حينما أتى السيد فجأة وطرد تومى على الفور. وهذا كان متوقعًا بالطبع ولا بأس به، ولكن سيده رق لحاله بعد ذلك وساعده فى الحصول على وظيفة أخرى".

قال لوك: "ولكن الآخرين لم يكونوا رحبى الصدر بهذه الطريقة، أليس كذلك؟".

"بلى يا سيدى. وأنا لن أذكر أسماء. وأنت لن تصدق أبدًا أن تصرفات كهذه قد تصدر من السيد آبوت، رغم سلوكياته الحانية وكلماته المعسولة".

"هل وقع تومى فى مشكلة معه؟".

قالت السيدة بيرس:

"أنا واثقة أن الصبى لم يكن يقصد أى أذى ... وعلى أية حال، إن كانت الأوراق خاصة ولا يجب أن يطلع عليها أحد، فما كان يجب إلقاؤها على الطاولة. هذا هو رأيى".

قال لوك: "هذا صحيح. يجب حفظ الأوراق الخاصة فى مكتب المحامى بالخزانة".

"هذا صحيح يا سيدى. هذا كان رأيى والذى يشاركنى إياه السيد بيرس. بالإضافة إلى أن تومى لم يقرأ الكثير كذلك".

سأل لوك: "ماذا كانت هذه الأوراق. وصية؟".

كان يعتقد (وهو اعتقاد فى محله على الأرجح) أن طرح سؤال عن ماهية الوثيقة من شأنه أن يجعل السيدة بيرس تتراجع عن مواصلة الحوار، ولكن هذا السؤال المباشر وجد إجابة فورية.

"لا، لا يا سيدى، لم تكن وثيقة من هذا النوع. لم تكن شيئًا مهمًا. فقط خطاب خاص. من سيدة. وتومى لم ير حتى من كانت هذه السيدة. لقد أثار كل هذه الجلبة مقابل لا شىء. هذا هو رأيى".

قال لوك: "لابد أن السيد آبوت من نوعية الرجال الذين يستاءون بسهولة".

"حسنًا، يبدو هذا، أليس كذلك؟ بالرغم من أنه. كما سبق وذكرت. يكون لطيفًا على الدوام عند التحدث معه. فدائمًا ما يمزح أو يردد كلامًا لطيفًا، ولكنه صحيح أننى سمعت أنه يصبح صعب المراس إذا وقفت فى وجهه، وكان هو ودكتور هامبلباى على خلاف، قبل وفاة الطبيب مباشرة. ولكن ما من أحد تحدث عن السيد آبوت بالسوء بعد ذلك؛ فبمجرد أن يموت أحدهم لا يحب أحد أن يفكر أنه قال فى حقه كلمات قاسية لا سبيل لاستردادها".

هز لوك رأسه فى حزن وتمتم:

"هذا صحيح. هذا صحيح".

واصل كلامه قائلاً:

"يا لها من مصادفة غريبة! كلمات قاسية يوجهها لدكتور هامبلباى ويموت دكتور هامبلباى، معاملة قاسية يعاملها لابنك تومى ويموت الطفل! أعتقد أن تجربة مزدوجة مثل هذه من شأنها أن تجعل السيد آبوت أكثر حرصًا فيما يقول فى المستقبل".

قالت السيدة بيرس: "وهارى كارتر أيضًا فى سفن ستارز. فقد دار بينهما حوار حاد للغاية قبل أسبوع من ذهاب كارتر وقفزه فى النهر. ولكن لا يمكن إلقاء اللوم على آبوت فى هذا. فكان كارتر هو الطرف المسىء؛ حيث ذهب إلى منزل آبوت ثملاً وسبه بأقذع الشتائم بأعلى صوته. أما السيدة كارتر المسكينة والتى عانت كثيرًا فلابد أنها شعرت بالراحة لوفاة كارتر".

"كان لديه ابنة كذلك، صحيح؟".

قالت السيدة بيرس: "آه. أنا لا أحب النميمة مطلقًا".

كان ذلك غير متوقع ولكن مبشر. فتح لوك أذنيه وانتظر فاستطردت:

"لقد تحدث الناس كثيرًا عن هذا الأمر. إن لوسى كارتر هى فتاة جميلة بطريقتها الخاصة، ولولا الفارق فى المنزلة الاجتماعية ما كان أحد لاحظ شيئاً. لكن سرت شائعات والتى تأكدت. خاصة بعد ذهاب كارتر مباشرة إلى منزله وهو يصيح ويسب".

قام لوك بجمع التضمينات الموجودة بهذا الكلام المربك إلى حد ما.

قال: "يبدو السيد آبوت وكأنه من النوع الذى يحب الفتيات الحسناوات".

قالت السيدة بيرس: "هكذا هو حال الرجال. إنهم لا يعنون شيئًا بذلك. فقط كلمة أو اثنتان أثناء اللقاءات العابرة، ولكن أبناء الطبقة العليا هم أبناء الطبقة العليا، وبالتالى يلاحظ الجميع الأمر. وهذا لا يحدث سوى فى مكان هادئ مثل هذا".

قال لوك: "إنه مكان ساحر للغاية. لا يزال شديد النقاء".

"هذا هو دومًا ما يقوله الفنانون والرسامون، ولكنى أعتقد أننا متخلفون عن الركب بعض الشىء؛ فليس هناك مبان جميلة هنا على سبيل المثال، أما فى آشفيل فلديهم العديد من المبانى الجديدة، بعضها ذو أسطح خضراء وزجاج ملون على النوافذ".

هز لوك كتفيه.

قال: "الديكم مؤسسة كبيرة جديدة هنا".

قالت السيدة بيرس دون كثير من الحماسة: "إنهم يقولون إنه مبنى جميل للغاية. بالطبع مالكه قدم الكثير للمكان. إن نواياه حسنة؛ نحن جميعًا نعرف هذا".

قال لوك ممازحًا: "ولكنك لا تعتقدين أن مجهوداته ناجحة للغاية؟".

"حسنًا بالطبع يا سيدى إنه ليس من أبناء الطبقة العليا . ليس مثل السيدة وينفليت والآنسة كونواى؛ فكان والد اللورد ويتفيلد يملك متجر أحذية على بعد بضع بنايات فقط من هنا. وأمى تتذكر جوردون راج حينما كان يعمل فى المتجر. تتذكره

جيدًا. بالطبع أصبح سيدًا الآن ورجلاً ميسور الحال، ولكن الأمر يختلف، أليس كذلك؟".

قال لوك: "بلى. أنت محقة بالطبع".

قالت السيدة بيرس: "سوف تغفر لى تحدثى فى هذا الأمر يا سيدى؛ فأنا أعلم بالطبع أنك تقيم فى المانور وتؤلف كتابًا، ولكنك ابن عم الآنسة بريدجيت. أنا أعلم ذلك. وهذا مختلف. نحن سعداء للغاية لأنها ستصبح سيدة آش مانور مرة أخرى".

قال لوك: "نعم. أنا واثق من هذا".

دفع ثمن سجائره والجريدة بسرعة.

قال لنفسه:

"العامل الشخصى. لابد من إبقاء هذا بعيدًا! تبًا، أنا هنا للبحث عن مجرم. ما دخلى أنا من تتزوج هذه الساحرة ذات الشعر الأسود أو من لا تتزوج؟ إنها لم تأت إلى هنا...".

سار ببطء عبر الشارع، وبعد بذل بعض المجهود أبعد بريدجيت عن تفكيره.

قال لنفسه: "الآن. دليل الإدانة ضد آبوت. لقد قمت بالربط بينه وبين ثلاث ضحايا. كان على خلاف مع هامبلباى، وعلى خلاف مع كارتر، وعلى خلاف مع تومى بيرس. ماذا عن الفتاة آمى جيبس؟ ما كان هذا الخطاب الخاص الذى رآه هذا الفتى القمىء؟ هل علم ممن كان؟ أم أنه لم يعرف؟ ربما لم يخبر أمه أنه يعرف. ولكنه إذا افترضنا أنه كان يعرف. ماذا لو افترضنا أن آبوت شعر أنه من الضرورى أن يخرسه. هذا

محتمل! هذا هو كل ما أستطيع أن أقوله. هذا محتمل! لكن هذا ليس جيدًا بما فيه الكفاية!".

أسرع لوك فى خطاه وهو ينظر حوله فى سخط مفاجئ.

"هذه القرية الملعونة. إنها تثير أعصابى. هادئة للغاية ومسالمة للغاية. بريئة للغاية. وبالرغم من ذلك يجوبها هذا القاتل المجنون طوال الوقت. أم هل أنا المجنون؟ هل كانت لافينيا بنكرتون مجنونة؟ بالرغم من كل شىء، يمكن للأمر برمته أن يكون مجرد مصادفة. نعم، موت هامبلباى وكل...".

نظر خلفه إلى امتداد الشارع الرئيسى ليهاجمه شعور قوى بعدم الواقعية.

قال لنفسه:

"هذه الأشياء لا تحدث...".

بعد ذلك رفع عينيه نحو الخط المقطب لآش ريدج. وعلى الفور تبددت اللاواقعية. كان آش ريدج حقيقيًا. وقد شهد أشياء غريبة. السحر والقسوة والتعطش للدماء وطقوس شريرة وشيطانية...

أجفل. كان هناك شخصان يسيران بجانب التلال. تعرف عليهما بسهولة. بريدجيت وايلسورثى، كان الشاب يومئ بهاتين اليدين القبيحتين المثيرتين للفضول. كانت رأسه مائلة نحو بريدجيت. بديا كشخصين فى حلم. كان يشعر أن قدميهما لا تصدران أية أصوات أثناء قفزهما مثل القطط من مرج إلى مرج. رأى شعرها الأسود ينسدل خلف ظهرها بينما تداعبه الرياح. مرة أخرى أسره سحرها الغريب.

قال لنفسه: "أنا مسحور، هذه هى الحقيقة، أنا مسحور".

وقف ساكنًا بينما يسرى شعور غريب بالتنميل فى جسده.

قال لنفسه فى حزن:

"من يمكنه رفع السحر عنى؟ لا أحد".

الفصل ١٠

روز هامبلباى

سمع صوتًا رقيقًا خلفه جعله يستدير بحدة؛ حيث كانت هناك فتاة تقف وراءه، فتاة جميلة للغاية ذات شعر بنى يتجعد حول أذنيها، وعينين زرقاوين داكنتين بهما نظرة خوف. تورد وجهها خجلاً بعض الشىء قبل أن تتحدث.

قالت: "إنك السيد فيتزوليم، أليس كذلك؟".

"نعم، أنا ـــ".

"أنا روز هامبلباى. أخبرتنى بريدجيت بأنك تعرف ـ أنك تعرف بعض الأشخاص الذين يعرفون والدى".

تورد وجه لوك هو الآخر بعض الشىء.

قال فى ضعف: "كان ذلك منذ وقت طويل مضى. كانوا يعرفونه حينما كان شابًا، قبل أن يتزوج".

"آه، نعم".

بدت روز هامبلباى خائبة الأمل بعض الشىء، لكنها واصلت كلامها قائلة:

وبعد ذلك فى هذا اليوم. قبل أن تذهب إلى المدينة مباشرة كانت تتصرف بغرابة وهى ترتعد. أنا أعتقد يا سيد فيتزوليم أنها أحد هؤلاء الذين يمتلكون بصيرة قوية. أعتقد أنها كانت تعلم أن ثمة شيئًا سوف يحدث لها. ولابد أنها كانت تعلم أن شيئًا سوف يحدث لأبى كذلك. إنه شىء مخيف حقًا".

اقتربت منه خطوة.

قال لوك: "هناك أوقات يستطيع فيها المرء التنبؤ بالمستقبل. ولا يكون ذلك شيئًا غريبًا على الدوام".

"لا، أعتقد أن هذا طبيعى فى الواقع. مجرد ملكة لا يمتلكها الكثيرون. ومع ذلك فإن ذلك يقلقنى ـ".

قال لوك برفق: "لا يجب أن تقلقى. تذكرى أن كل هذا انتهى الآن. لا فائدة من البكاء على الماضى. لابد أن تفكرى فى المستقبل".

"أعلم هذا. لكن هناك المزيد، كما تعلم....". ترددت روز: "فهناك أمر له علاقة بابنة عمك".

"ابنة عمى؟ بريدجيت؟".

"نعم. كانت السيدة بنكرتون قلقة بشأنها. كانت دومًا تطرح علىّ أسئلة. أعتقد أنها كانت خائفة عليها أيضًا".

استدار لوك بحدة، وفحص التل بعينيه. ساوره شعور غير منطقى بالخوف، كانت بريدجيت وحدها مع ذلك الرجل صاحب اليدين الرماديتين المتعفنتين! خيال. إنه مجرد خيال! إن إيلسورثى هو مجرد هاو غير مؤذ يمتلك أحد المتاجر.

قالت روز وكأنها تقرأ أفكاره:

"هل تحب السيد إيلسورثى؟".

"بالقطع لا".

"إن جيفرى. دكتور توماس، لا يحبه كذلك".

"ماذا عنك؟".

"لا، لا، أعتقد أنه بغيض". اقتربت قليلاً: "هناك الكثير من الشائعات حوله؛ فقد قيل إنه يمارس طقوسًا غريبة فى مرج الساحرات. ينضم إليه العديد من أصدقائه الذين يأتون من لندن. وهم أشخاص ذوو شكل مخيف وغريب. وكان تومى بيرس بمثابة المعاون لهم".

قال لوك بحدة: "تومى بيرس؟".

"نعم. كان لديه مدرعة وغفارة".

"متى كان هذا؟".

"آه، منذ وقت مضى. أعتقد أن ذلك كان فى مارس".

"يبدو أن تومى بيرس يشترك فى كل ما يحدث بالقرية".

قالت روز:

"كان فضوليًا بشكل سخيف. كان يحب أن يعرف دومًا كل ما يحدث".

قال لوك فى تجهم: "وهو على الأرجح قد عرف الكثير فى النهاية".

تقبلت روز كلماته كما هى.

"كان فتى كريهًا؛ فكان يحب تعذيب الدبابير وإغاظة الكلاب".

"إنه من ذلك النوع من الصبية ممن لا يحزن أحد على وفاتهم!".

"لا، لا أعتقد هذا. كان الأمر شديد الصعوبة على والدته".

"أعتقد أنه قد تبقى لها خمسة أطفال لمواساتها، إنها امرأة ثرثارة حقًا".

"إنها تتحدث كثيرًا، أليس كذلك؟".

"بعد شراء عبوة سجائر منها، أشعر أننى أعرف تاريخ كل من بالمكان!".

قالت روز فى حزن:

"إن ذلك هو أسوأ شىء فى مكان كهذا. الجميع يعرفون كل شىء عن الجميع".

قال لوك: "لا، لا".

نظرت إليه مندهشة.

قال لوك بحكمة:

"لا أحد يعلم الحقيقة الكاملة عن أى شخص آخر".

تجهم وجه روز. ارتعدت لا إراديا.

قالت ببطء: "لا. أعتقد أن هذا صحيح".

قال لوك: "ولا حتى عن أقرب وأعز الناس إليه".

"ولا حتى ـ". سكتت: "آه، أعتقد أنك محق. ولكننى أتمنى ألا تقول أشياء مفزعة مثل هذه يا سيد فيتزوليم".

"هل يفزعك ما أقوله؟".

أومأت برأسها ببطء.

بعد ذلك استدارت فجأة.

"لابد أن أذهب الآن، إن لم يكن لديك شىء لتفعله. أعنى إن استطعت ذلك. فلتقم بزيارتنا. فأمى سوف ترغب فى رؤيتك؛ لأنك كنت تعرف أصدقاء لأبى منذ وقت طويل مضى".

سارت بالطريق ببطء. كان رأسها مائلًا بعض الشىء كما لو أن بعض الثقل من الهم أو الارتباك يسقطها لأسفل.

وقف لوك ينظر إليها. اجتاحه شعور مفاجئ بالقلق. شعر برغبة فى احتوائها وحمايتها.

مم؟ وبعد أن طرح على نفسه هذا السؤال، هز رأسه فى نفاد صبر لحظى إزاء نفسه. كان صحيحًا أن روز هامبلباى فقدت أباها مؤخرًا، ولكن والدتها لاتزال على قيد الحياة، كما أنها مخطوبة لشاب وسيم كفيل بحمايتها. إذن لماذا يشعر. هو لوك فيتزوليم. بهذا الشعور القوى لتوفير الحماية؟

لقد عاودته تلك النزعة القديمة إلى التأثر بالعاطفة ثانية. الرجل الموفر للحماية! تلك النزعة التى ازدهرت فى العصر الفيكتورى، وازدادت قوة فى العصر الإدواردى، والتى لا تزال حية حتى الآن بالرغم مما يطلق عليه صديقنا اللورد ويتفيلد الحياة العصرية السريعة والمحمومة!

قال لنفسه أثناء سيره تجاه تل آش ريدج الذى يلوح فى الأفق: "أنا معجب بهذه الفتاة. إنها تستحق شخصًا أفضل من ذلك المدعو توماس. هذا الشيطان البارد المتعالى".

عاودته ذكرى ابتسامة الطبيب الأخيرة على درجات عيادته. إنه مُعْتَدٌّ بنفسه بدون شك! راض عن نفسه للغاية!

أفاق لوك من تخيلاته على وقع الأقدام الآتية من أمامه. فنظر للأعلى ليرى السيد إيلسورثى يمشى عائدًا من التل. كانت عيناه مثبتتين على الأرض وكان يبتسم لنفسه. أفزع تعبير وجهه هذا لوك للغاية. كان إيلسورثى لا يمشى وإنما يثب. وكأنما هناك شيطان يرقص داخل عقله. كانت ابتسامته عبارة عن التواء سرى لشفتيه. كان يشوبها خبث جذل لا ينبئ بخير على الإطلاق.

توقف لوك، وقد كان إيلسورثى على مقربة منه حينما رفع رأسه أخيرًا. تقابلت عيناه الماكرتان والوثابتان مع عينى الرجل الآخر قبل أن يتعرف عليه. وبعد ذلك. أو هكذا بدا للوك . طرأ عليه تغيير كلى؛ فهذا الرجل الذى بدا منذ دقيقة مضت كراقص يبدو الآن كشاب متزمت.

"آه، سيد فيتزوليم، صباح الخير".

قال لوك: "صباح الخير. هل كنت تتأمل جمال الطبيعة؟".

طارت يدا السيد إيلسورثى الطويلتان الشاحبتان فى الهواء فى استنكار.

"لا، لا، لا يا عزيزى. أنا أمقت الطبيعة؛ فهى باعثة على الأسى وخالية من أى خيال وفظة. طالما اعتقدت أن المرء ليس بإمكانه الاستمتاع بالحياة إلى أن يضع الطبيعة فى نصابها الصحيح".

"وكيف تقترح القيام بذلك؟".

قال السيد إيلسورثى: "هناك عدة طرق للقيام بذلك! ففى مكان مثل هذا، تلك البقعة الريفية الجميلة، يمكن إيجاد

العديد من وسائل التسلية السارة فقط إن امتلك المرء حاسة التمييز. أنا أستمتع بحياتى يا سيد فيتزوليم".

قال لوك: "وهكذا أنا".

قال السيد إيلسورثى بنبرة سخرية: "*العقل السليم فى الجسم السليم. أنا واثق من أنك تؤمن بهذا!*".

قال لوك: "إن هناك أمورًا أسوأ من ذلك".

"يا عزيزى إن العقل السليم هو أحد أكثر مصادر الإزعاج المدهشة، فلابد أن يكون المرء مجنونًا . مجنونًا بشكل جميل . منحرفًا، فاسدًا بعض الشىء، وفى ذلك الحين يرى الحياة من منظور جديد تمامًا".

اقترح لوك: "حَوَل المجذوم؟".

"آه، جيد جدًا، جيد جدًا، ملاحظة ذكية! لكن ثمة شىء ما بها، كما تعلم. زاوية مثيرة للرؤية، ولكن لا يجب علىّ تأخيرك. أنت تمارس التمرينات. لابد على المرء أن يمارس التمرينات. روح المدرسة العامة!".

قال لوك: "حسنًا"، ثم أومأ له إيماءة جافة ومضى قدمًا.

قال لنفسه:

"لقد أصبحت شخصًا خيالياً لعينًا. إن الفتى هو مجرد أحمق لا أكثر".

لكن شعورًا بالتوتر سرى فى قدميه بسرعة. هل تلك الابتسامة الغريبة الماكرة التى تنم عن الانتصار على وجه إيلسورثى كانت نتاج خياله، وماذا عن انطباعه التالى بأنه محاها بإسفنجة لحظة ما رآه آتياً نحوه؟ ما معنى هذا؟

وفى قلق متزايد قال لنفسه:

"بريدجيت؟ هل هى بخير؟ لقد أتيا إلى هنا معًا وعاد هو وحده".

أسرع فى خطاه. كانت الشمس قد سطعت أثناء حديثه مع روز هامبلباى. لكنها الآن غابت ثانية. كانت السماء كئيبة ومخيفة، وكانت الرياح تهب فى صورة نفخات صغيرة مضطربة مفاجئة. كان الأمر يبدو وكأنه غادر الحياة العادية ليدخل هذا العالم المسحور، هذا العالم الذى ظل مطوقًا له منذ مجيئه إلى ويتشوود.

انحرف عن أحد المنعطفات ووصل إلى التل المستوى للعشب الأخضر الذى كان مرئيًا له من الأسفل والذى كان يدعى. كما سمع. مرج الساحرات. كانت تلك الشعائر تقام هنا، هنا كانت الساحرات تعقد جلسات العربدة فى ليالى ولبرجيس والهالووين.

وفى ذلك الحين اجتاحه شعور سريع بالارتياح؛ فقد كانت بريدجيت هنا. كانت تجلس وهى تسند ظهرها إلى صخرة بجانب التل. كانت مقوسة الجسم ورأسها بين يديها.

سار سريعًا نحوها. كانت تجلس فوق هضبة خضراء وجميلة. قال:

"بريدجيت؟".

رفعت رأسها ببطء من بين يديها. أزعجه وجهها. بدت وكأنها تعود من عالم بعيد، وكأنها تلاقى صعوبة فى التأقلم مع عالمنا الحالى.

قال لوك. بشكل غير ملائم للموقف:

"أنت. أنت بخير، أليس كذلك؟".

مضت دقيقة أو اثنتان قبل أن تجيب. كما لو أنها لم تعد بعد من ذلك العالم المستحوذ عليها. شعر لوك أن كلماته عليها أن تسافر طريقًا طويلاً قبل أن تصل إليها.

بعد ذلك قالت:

"بالطبع أنا بخير. لماذا لا أكون بخير؟".

كان صوتها حادًا وعدائيًا بعض الشىء.

ابتسم لوك قائلاً:

"يا ليتنى أعرف. لقد انتابنى القلق إزاءك فجأة".

"لماذا؟".

"أعتقد أن ذلك بسبب الجو الميلودرامى الذى أعيش به حاليًا. إنه يجعلنى أرى الأشياء خارج نصابها الصحيح؛ فإن غبت عن ناظرى طوال ساعة أو ساعتين سوف أفترض تلقائيًا أن الشىء التالى هو أننى سأعثر على جثتك الملطخة بالدماء فى مصرف ما؛ فذلك هو ما يحدث فى المسرحيات والروايات".

قالت بريدجيت: "إن بطلة الرواية لا تموت أبدًا".

"لا، لكن ـــ".

سكت لوك. فى الوقت المناسب.

"ماذا كنت ستقول؟".

"لا شىء".

شكر الله لأنه سكت فى الوقت المناسب؛ فلا يمكن أن يقول رجل لشابة جذابة: "ولكنك لست البطلة".

واصلت بريدجيت كلامها:

"إنهن يخطفن أو يسجن أو يتركن ليموتن فى غرف الغاز أو يغرقن فى القبو. إنهن دومًا فى خطر ولكنهن لا يمتن أبدًا".

قال لوك: "ولا حتى يذبلن".

واصل كلامه:

"إذن هذا هو مرج الساحرات؟".

"نعم".

نظر إليها.

قال برفق: "أنت تحتاجين فقط إلى عصا مكنسة".

"شكرًا لك. قال لى السيد إيلسورثى نفس الشىء".

قال لوك: "لقد قابلته لتوى".

"هل تحدثت إليه؟".

"نعم. أعتقد أنه حاول مضايقتى".

"وهل نجح فى ذلك؟".

"إن أساليبه صبيانية بعض الشىء". سكت ثم واصل حديثه فجأة: "إنه رجل غريب. فى لحظة تعتقدين أنه فوضوى . وفجأة يتساءل المرء إن كان هناك ما هو أكثر من ذلك فى هذا الرجل".

نظرت إليه بريدجيت.

"أشعرت بهذا أيضًا؟".

"أنت توافقيننى الرأى إذن؟".

"نعم".

انتظر لوك.

قالت بريدجيت:

"هناك شىء غريب بشأنه. كنت أتساءل كما تعلم... وقد ظللت مستيقظة طوال الليل أمس أعتصر عقلى بخصوص الأمر برمته، وبدا لى أنه إن كان هناك قاتل طليق فلابد لى أن أعرف من هو! أعنى بما أننى أقطن هنا. ظللت أفكر وأفكر ثم خطرت لى فكرة. إن كان هناك قاتل بالبلدة فلابد أن يكون مجنونًا".

بعد أن فكر فيما قاله دكتور توماس، سأل لوك:

"أنت لا تعتقدين أن القاتل يمكن أن يكون شخصًا سويًا مثلك ومثلى؟".

"ليس هذا القاتل؛ فكما يبدو لى، هذا القاتل لابد أن يكون مجنونًا. وهذا - كما ترى - قادنى مباشرة إلى إيلسورثى؛ فمن بين كل سكان هذه البلدة هو الشخص الوحيد الذى يتسم بغرابة الأطوار. إنه غريب، لا يمكنك إنكار هذا!".

قال لوك فى شك:

"إن هناك الكثيرين من شاكلته، هاوين، ومتكلفين - وهم عادة ما لا يكونون مؤذين".

"نعم، ولكننى أعتقد أنه يوجد أكثر من ذلك. إن لديه يدين قذرتين للغاية".

"هل لاحظت ذلك؟ لقد لاحظتهما أيضًا!".

"إنهما ليسا بيضاوين - إنهما خضراوان".

"إنهما يولدان لدى المرء هذا الانطباع، ولكن لا يمكن اتهام رجل بالقتل فقط بسبب لون يديه".

"هذا صحيح. ما نريده هو دليل".

قال لوك فى تذمر: "دليل! الشىء الوحيد الذى ينقصنا. إن الرجل حريص للغاية. قاتل حريص! معتوه حريص!".

قالت بريدجيت: "كنت أحاول المساعدة".

"أتعنين مع السيد إيلسورثى؟".

"نعم. ظننت أننى بوسعى تولى أمره بشكل أفضل منك. وقد نجحت فى مسعاى".

"أخبرينى".

"حسنًا، يبدو لى أن له مجموعة أصحاب خاصة به. زمرة من الأصدقاء الكريهين. إنهم يأتون إلى هنا من وقت لآخر للاحتفال".

"هل تقصدين أنهم يمارسون طقوس عربدة غير شرعية؟".

"أنا لا أعلم شيئًا عن شرعيتها ولكنها بدون شك طقوس عربدة. فى الواقع إنها تبدو سخيفة وصبيانية للغاية".

"أعتقد أنهم يعبدون الشيطان ويؤدون رقصات فاحشة".

"شىء من هذا القبيل".

قال لوك: "أنا أعلم شيئًا عن هذا الأمر. لقد شارك تومى بيرس فى إحدى حفلاتهم. كان معاونًا لهم. وكانت لديه غفارة حمراء".

"إذن كان يعلم بهذا الأمر؟".

"نعم. وربما يفسر هذا موته".

"هل تعنى أنه تحدث عن هذا الأمر؟".

"أو ربما يكون قد أقدم على محاولة ابتزاز".

قالت بريدجيت بتمعن:

"أعلم أن الأمر يبدو خياليًا. ولكنه لا يبدو خياليًا للغاية إن وضعنا إيلسورثى. ولا أحد سواه. فى الصورة".

"لا، أنا أتفق معك. فالأمر يبدو معه محتملاً بدلاً من كونه غير واقعى بشكل مضحك".

قالت بريدجيت: "ونحن لدينا صلة بين اثنين من الضحايا. تومى بيرس وآمى جيبس".

"ماذا عن صاحب الملهى وهامبلباى؟".

"حتى الآن لا توجد صلة واضحة".

"لا توجد صلة واضحة حتى الآن بين إيلسورثى وصاحب الملهى، هذا صحيح. ولكننى أتخيل أنه لديه دافع للتخلص من هامبلباى؛ فقد كان طبيبًا وربما اكتشف شذوذه".

"نعم، هذا محتمل".

بعد ذلك ضحكت بريدجيت.

"لقد أديت دورى ببراعة هذا الصباح؛ فيبدو أن مؤهلاتى النفسية كبيرة كما يبدو، وحينما أخبرته أن إحدى جدات جداتى نجت بأعجوبة من الحرق؛ لأنها كانت ساحرة حلق رصيدى لديه فى السماء. أعتقد أنه سيدعونى للمشاركة فى طقوس العربدة فى المرة التالية عند اجتماعهم لممارسة تلك الألعاب الشيطانية".

قال لوك:

"بحق السماء يا بريدجيت، كونى حريصة".

نظرت إليه فى دهشة. نهضت.

"لقد قابلت ابنة هامبلباى لتوى. كنا نتحدث عن السيدة بنكرتون، وأخبرتنى ابنة هامبلباى أن السيدة بنكرتون كان يساورها قلق بشأنك".

أثناء نهوضها تجمدت بريدجيت فى مكانها بلا حراك.

"ما هذا؟ السيدة بنكرتون. قلقة. إزائى؟".

"هذا هو ما قالته روز هامبلباى".

"روز هامبلباى قالت هذا؟".

"نعم".

"ماذا قالت أيضًا؟".

"لا شىء؟".

"هل أنت واثق من هذا؟".

"تمام الثقة".

سادت فترة صمت، ثم قالت بريدجيت: "حسنًا".

"كانت السيدة بنكرتون قلقة من أجل هامبلباى وقد مات، وهى كما سمعت كانت قلقة عليك ـ".

ضحكت بريدجيت. وقفت وهزت رأسها مما جعل شعرها الأسود الطويل يطير حول رأسها.

قالت: "لا تقلق".

الفصل ١١

الحياة العائلية للرائد هورتون

اتكأ لوك فى مقعده بالجانب الآخر من مكتب مدير البنك قائلاً:

"حسنًا، يبدو هذا مُرضيًا للغاية. أخشى أننى أخذت الكثير من وقتك".

لوح السيد جونز بيده فى استنكار، وكان يعلو وجهه الممتلئ الصغير الداكن تعبير سعيد.

"لا عليك يا سيد فيتزوليم، إن هذه بلدة هادئة كما تعلم. ونحن نسعد دومًا حينما نرى غريبًا".

قال لوك: "إنه مكان مذهل من العالم، وملىء بالخرافات".

تنهد السيد جونز قائلاً: إنه قد مضى وقت طويل قبل أن يستطيع التعليم محو الخرافات"، أشار لوك إلى أنه يعتقد أن التعليم أصبح مكلفًا للغاية الآن، وقد شعر السيد جونز بالصدمة لهذا التصريح.

قال: "إن اللورد ويتفيلد قدم الكثير لهذا المكان. لقد أدرك المساوئ التى عانى فى ظلها حينما كان طفلاً، وعقد العزم على أن يوفر لشباب اليوم ظروفًا أفضل".

قال لوك: "لكن هذه المساوئ المبكرة لم تمنعه من تكوين ثروة كبيرة".

"لا، لابد أنه كان يتمتع بقدرة خاصة، مقدرة عظيمة".

قال لوك: "أو حالفه الحظ؟".

بدا السيد جونز مصدومًا.

قال لوك: "لا يمكن لأحد إنكار دور الحظ. ولنأخذ أحد القتلة مثالاً لنا. لماذا ينجو قاتل ناجح بفعلته؟ هل لأنه يتمتع بمقدرة خاصة؟ أم أن ذلك بسبب الحظ؟".

اعترف السيد جونز أن ذلك يرجع للحظ على الأرجح.

واصل لوك كلامه:

"هذا الرجل كارتر صاحب الحانة على سبيل المثال، لقد كان يثمل ست ليال فى الأسبوع على الأرجح - ومع ذلك ففى إحدى الليالى سقط من فوق جسر المشاة ليغرق فى النهر. إنه الحظ مجددًا؟!".

قال مدير البنك: "لكن الحظ كان حليف البعض الآخر فى هذه الحالة".

"ماذا تقصد؟".

"زوجته وابنته".

"آه، نعم، بالطبع".

طرق موظف الباب ودخل حاملاً بعض الأوراق، فأعطاه لوك عينتى توقيعات وأخذ دفتر شيكات ثم نهض قائلاً:

"أنا سعيد لأننى انتهيت من هذا الأمر، لقد حالفنى الحظ فى سباق الديربى هذا العام. ماذا عنك؟".

قال السيد جونز وهو يبتسم إنه لا يهوى الرهانات. وقد أضاف أن السيدة جونز لها آراء قوية للغاية فيما يخص موضوع سباق الجياد.

"إذن أفترض أنك لم تذهب إلى سباق الديربى؟".

"فى الواقع لا".

"هل يذهب إليه أحد من سكان هذه البلدة؟".

"لقد ذهب الرائد هورتون. إنه يعشق السباقات. والسيد آبوت عادة ما يأخذ إجازة من عمله يوم السباق، ولكنه لم يسبق له أن ربح".

قال لوك: "لا أعتقد أن الكثيرين يحققون الفوز فى مثل هذه السباقات"، ثم غادر بعد أن قاما بتوديع بعضهما البعض.

أشعل سيجارة أثناء خروجه من البنك. ولأنه تطابق مع نظرية: "المشتبه الأقل احتمالاً" لم يجد لوك داعيًا لأن يبقى السيد جونز على قائمة المشتبه بهم؛ فمدير البنك لم يُبدِ أية ردود أفعال مريبة إزاء أسئلة لوك الاختبارية، وقد بدا من المستحيل بالنسبة للوك أن يتخيله كقاتل. علاوة على ذلك، فهو لم يكن متغيبًا عن البلدة يوم سباق الديربى. وبالمصادفة لم تكن زيارة لوك للبنك غير مجدية، فهو قد تعرف على معلومتين صغيرتين؛ فكل من الرائد هورتون والسيد آبوت - المحامى - كان

متغيبًا عن ويتشوود يوم سباق الديربى، ولهذا من المحتمل أن أحدهما كان متواجدًا فى لندن وقت دهس السيارة للسيدة بنكرتون.

وبالرغم من أن لوك لا يشك الآن فى دكتور توماس، إلا أنه شعر أنه سيشعر بمزيد من الرضا إن علم أن الدكتور كان فى ويتشوود منهمكًا فى مهام وظيفته فى هذا اليوم بالتحديد، وقد عزم على أن يكتشف هذا الأمر فى القريب العاجل.

كان هناك أيضًا إيلسورثى. هل كان إيلسورثى فى ويتشوود يوم سباق الديربى؟ لو كان هذا صحيحًا، يصبح احتمال أن يكون هو القاتل ضعيفًا. وعلى الرغم من ذلك فقد أدرك لوك أنه من المحتمل أن تكون وفاة السيدة بنكرتون مجرد حادث لا أكثر.

ولكنه رفض هذه النظرية؛ فوفاتها كانت ضرورية وملائمة للغاية.

استقل لوك سيارته الخاصة التى كانت تقف بجوار الحاجز الحجرى، وقادها إلى ورشة تصليح بيبويل الواقعة بأقصى نهاية الشارع الرئيسى.

كانت هناك العديد من الأمور الصغيرة الخاصة بالتشغيل التى أراد مناقشتها، أنصت إليه الميكانيكى الشاب الوسيم ذو الوجه المليء بالنمش فى ذكاء. خلع كلا الرجلين قبعتيهما وانهمكا فى حوارهما الميكانيكى.

نادى صوت من بعيد:

"جيم، تعال هنا لحظة".

أطاع وجه الميكانيكى المنمش الأمر.

جيم هارفى، هذا صحيح، إنه جيم هارفى خطيب آمى جيبس، الآن عاد واعتذر واستأنفا حديثهما الفنى. وافق لوك على ترك السيارة هناك.

وبينما كان لوك على وشك المغادرة سأل عرضيًا:

"هل حالفك الحظ فى سباق الديربى هذا العام؟".

"لا يا سيدى. لقد راهنت على كلاريجولد".

"إن عدد من راهنوا على جوجيوب الثانى ليس كبيرًا".

"فى الواقع لا يا سيدى. لا أعتقد أن أية جريدة قد أشادت به".

هز لوك رأسه قائلاً:

"إن السباق هو لعبة غير معروفة النتائج. هل سبق لك وشهدت سباق الديربى؟".

"لا يا سيدى، أتمنى لو كنت قد شاهدته. لقد طلبت إجازة فى هذا اليوم؛ فكانت لدى تذكرة سفر رخيصة إلى المدينة ومنها إلى إبسوم، ولكن سيدى لم يسمح لى بالتغيب فى هذا اليوم، فكان هناك نقص فى العمالة، وكان لدينا الكثير من العمل فى هذا اليوم".

أومأ لوك متفهمًا وهم بالرحيل.

شطب جيم هارفى من قائمته. إن هذا الفتى ذو الوجه المبهج ليس قاتلاً سريًا، ولم يكن هو الذى دهس السيدة بنكرتون.

توجه إلى المنزل آخذًا طريق النهر. وفى هذا المكان. كما حدث سابقًا. قابل الرائد هورتون وكلابه. كان الرائد هورتون كما رآه يفعل فى المرة السابقة. يصيح فى كلابه ويعنفها: "أوجستس. نيللى. نيللى. نيرو. نيرو. نيرو".

مرة ثانية حدقت عيناه البارزتان إلى لوك، ولكن فى هذه المرة كان هناك ما هو أكثر من ذلك، فقال الرائد هورتون:

"عذرًا. أنت السيد فيتزوليم، أليس كذلك؟".

"نعم".

"أنا الرائد هورتون. أنا واثق من أننى كنت سأقابلك غدًا فى المانور. فى حفل التنس؛ فقد كانت الآنسة كونواى من الرقة كى تدعونى، إنها ابنة عمك، أليس كذلك؟".

"نعم".

"هذا ما اعتقدته؛ إذ من السهل رصد وجه جديد هنا كما تعرف".

هنا حدث أمر ما قاطع حديثهما؛ فقد تقدم الكلاب البولدوج الثلاثة فجأة نحو حيوان هجين أبيض غريب.

"أوجستس، نيرو. تعاليا إلى هنا. قلت تعاليا".

وحينما أطاع الكلبان أوجستس ونيرو أخيرًا الأمر على مضض، عاد الرائد هورتون ليستأنف الحوار. كان لوك يربت على نيللى التى كانت تنظر إليه فى طيبة.

قال الرائد: "إنها كلبة لطيفة، أليس كذلك؟ أنا أحب الكلاب البولدوج. طالما قمت بتربيتها؛ فأنا أفضلها على أى نوع آخر. إن منزلى قريب من هنا، هلا أتيت وتناولت شرابًا معى؟".

وافق لوك وسار الرجلان معًا، فى حين واصل الرائد هورتون حديثه فى موضوع الكلاب وكيف أن كل الأنواع الأخرى توجد فى منزلة أدنى من منزلة النوع الذى يفضله.

سمع لوك عن الجوائز التى فازت بها نيللى، وعن التصرف الشائن لأحد الحكام حينما قام بمنح أوجستس جائزة لا تليق به، وعن انتصارات نيرو فى حلبة السباق.

فى ذلك الحين كانا قد وصلا إلى بوابة منزل الرائد، ففتح الباب الأمامى والذى لم يكن موصدًا ودخل الرجلان المنزل. قاده الرائد إلى غرفة صغيرة تصدر منها رائحة كلاب والتى كانت مصفوفًا بها أرفف كتب، ثم شغل نفسه فى عملية إعداد المشروبات، نظر لوك حوله إذ كانت هناك صور لكلاب ونسخ من جريدة "حياة الحقول والريف" وزوج من المقاعد البالية. كانت الكئوس الفضية مرتبة حول خزانات الكتب، وكانت هناك لوحة زيتية معلقة فوق رف المستوقد.

قال الرائد بعد أن رفع عينيه من فوق السحارة إثر ملاحظته لوك: "إنها زوجتى. امرأة متميزة حقًا. إن وجهها ينضح بالشخصية، ألا تعتقد ذلك؟".

قال لوك وهو ينظر إلى صورة الراحلة السيدة هورتون: "نعم، هذا صحيح".

كانت ترتدى ثوبًا من الساتان الوردى وتمسك بحفنة من زهور الزنبق من الوادى. كان شعرها البنى مفروقًا من المنتصف وشفتاها مزمومتين فى كآبة معًا. كانت عيناها الرماديتان الباردتان تحدقان فى استياء واعتلال مزاج لمن ينظر إلى الصورة.

قال الرائد وهو يعطى كأسًا للوك: "امرأة مميزة حقًا. لقد ماتت منذ أكثر من عام، وأنا لم أعد كسابق عهدى منذ ذلك الحين".

قال لوك وهو لا يعرف ماذا يقول: "حقًا؟".

قال الرائد وهو يشير بيده تجاه أحد المقعدين الجلديين: "هلا تفضلت بالجلوس".

وجلس هو على المقعد الآخر وبعد أن احتسى بعضًا من شرابه: قال:

"لا، أنا لم أعد كسابق عهدى منذ ذلك الحين".

قال لوك فى ارتباك: "لابد أنك تفتقدها".

هز الرائد هورتون رأسه فى حزن قائلاً:

"إن الرجل يحتاج إلى زوجة لتبقيه فى حالة جيدة، وإلا فإنه سيصبح مهملاً. نعم، مهملاً. يستسلم للفشل".

"لكن بالتأكيد ـ".

"يا صديقى، أنا أعلم ما أتحدث عنه. أنا لا أقول إن الزواج لا يكون صعبًا على المرء فى البداية؛ فهو يكون صعبًا بالفعل. فتجد أن المرء يقول لنفسه: تبًا، إنها لا تتركنى وشأنى! ولكنه يعتاد على الوضع. إنها مسألة ضبط نفس لا غير".

فكر لوك أن حياة الرائد هورتون الزوجية لابد أنها كانت أشبه بحملة عسكرية أكثر منها حياة عائلية هادئة.

قال الرائد مناجيًا نفسه: "إن النساء مزعجات حقًا. وقد يتراءى لك فى بعض الأحيان أنه ما من سبيل لإرضائهن، ولكنهن يبقين الرجل فى حالة جيدة".

ظل لوك محتفظًا بابتسامة يملؤها الاحترام.

سأل الرائد: "هل أنت متزوج؟".

"لا".

"آه، حسنًا. بالتأكيد سوف تتزوج فى أحد الأيام، وأؤكد لك يا صديقى أنك ستكتشف أن ما من شىء يضاهى الزواج".

قال لوك: "أنا أشعر بالسعادة دومًا حينما يثنى أحد على الحياة الزوجية، وخاصة فى أيام الطلاق السهل هذه".

قال الرائد: "يا إلهى! إن الشباب يثيرون اشمئزازى؛ فهم لا يتمتعون بأية قوة تحمل. إنهم لينو العريكة، ولا يمتلكون أى جلد!".

أراد لوك أن يسأل ما الحاجة إلى مثل هذا الجلَد فى العلاقة الزوجية، ولكنه أعرض عن هذا.

قال الرائد: "إن ليديا كانت امرأة نادرة الوجود! فكان الجميع يحترمونها ويتطلعون إليها".

"حقًا؟".

"ما كانت تطيق أى هراء. كان لها أسلوبها الخاص فى تقويم الشخص بنفسها. فما يكون من هذا الشخص إلا أن يذوى أمامها. بعض هؤلاء الفتيات غير المتمرسات اللاتى يطلقن على أنفسهن خادمات فى يومنا هذا، إنهن يعتقدن أنك قد تتغاضى عن أية غطرسة. لكن ليديا كانت توقفهن عند حدودهن! هل تعلم أننا قمنا بتشغيل خمس عشرة خادمة وطاهية فى عام واحد. خمس عشرة!".

شعر لوك أنه ليس فى ذلك إظهار لبراعة السيدة هورتون فى إدارة شئون منزلها، ولكن بما أن مضيفه يرى أن فى هذا إطراء لها، فقد اكتفى بترديد ملحوظة غامضة.

"كانت تطردهن بلا رحمة إن لم يؤدين مهام وظائفهن على أكمل وجه".

سأل لوك: "هل هكذا كان الحال دومًا فى منزلكم؟".

"حسنًا، بالطبع هجرتنا الكثيرات منهن، وكان هذا خير ما فعلن. هكذا اعتادت ليديا أن تقول!".

قال لوك: "يا لها من روح جميلة، ولكن ألم يكن أمر مثل هذا مرهقًا فى بعض الأحيان؟".

قال هورتون: "آه، أنا لم أكن أمانع فى التشمير عن ساعدى والمشاركة فى الأمور المنزلية؛ فأنا طاه جيد ويمكننى منافسة أى محترف، وأنا لم أكترث بالتنظيف لكن بالطبع لابد من أن يتولى أمره أحدهم. فلا مفر من ذلك".

وافقه لوك على ذلك، وسأله إن لم تكن السيدة هورتون ماهرة فى الأعمال المنزلية.

قال الرائد هورتون: "أنا لست الرجل الذى يجعل زوجته تقوم بخدمته، وعلى أية حال، كانت ليديا من الرقة بحيث تعجز عن القيام بالأعمال المنزلية".

"لم تكن قوية إذن؟".

هز الرائد هورتون رأسه.

"كانت تتمتع بروح مدهشة. لم تكن لتستسلم قط. ولكنها عانت كثيرًا! ولم تنل أى تعاطف من الأطباء. إن الأطباء ما هم إلا وحوش متحجرو القلوب، إنهم لا يعرفون سوى الألم الجسدى الصريح والمباشر؛ فأى شىء خارج عن المألوف يقع خارج نطاق قدراتهم. هامبلباى على سبيل المثال، الجميع يعتقدون أنه كان طبيبًا جيدًا".

"أنت لا تتفق معهم فى ذلك".

"بالطبع لا، لقد كان الرجل جاهلاً تمامًا. لا يفقه شيئًا عن الاكتشافات الحديثة. وأنا لا أعتقد أنه سبق له أن سمع عن مرض العصاب! إنه يعرف الحصبة والنكاف والعظام المكسورة جيدًا على ما أعتقد، ولكن لا شىء أكثر من هذا. إنه لم يستوعب حالة ليديا على الإطلاق. لقد شرحتها له بوضوح ولكن لم يَرُقْ له ما قلته له؛ فقد اهتاج وغضب على الفور. وقال إنه بإمكانى الإتيان بأى طبيب آخر أختاره. بعد ذلك أتينا بتوماس".

"هل راقك أكثر؟".

"بالطبع. إنه يفوق دكتور هامبلباى براعة؛ فإن كان باستطاعة أحد أن ينقذها من مرضها الأخير، فهو دكتور توماس. فى الواقع لقد كانت تتحسن بالفعل ولكنها تعرضت لانتكاسة مفاجئة".

"هل كانت تتألم؟".

"آه، نعم. التهاب المعدة. ألم حاد وغثيان وما إلى ذلك. لقد عانت كثيرًا! كانت شهيدة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، كانت ترعاها اثنتان من ممرضات المستشفى اللتان لم تتعاطفا معها على الإطلاق! "المريضة فعلت كذا"، "المريضة قامت

بكذا""، هز الرائد رأسه وشرب ما تبقى من الزجاجة قائلاً:
"أنا لا أطيق ممرضات المستشفيات؛ فهن معتدات بأنفسهن للغاية. كانت ليديا واثقة من أنهما تسعيان لسمها. لم يكن هذا صحيحًا بالطبع. فهذا مجرد وهم طبيعى يصاب به الكثير من المرضى، هكذا قال دكتور توماس، ولكن كان يكمن الكثير من الحقيقة وراء هذا الوهم؛ فهاتان المرأتان كانتا تبغضانها، هذا أسوأ ما فى النساء. يسئن دومًا معاملة غيرهن من النساء".

قال لوك وهو يشعر بأنه يصيغ سؤاله بطريقة غريبة ولكنه لم يعرف طريقة أفضل لصياغته: "أعتقد أنه كان للسيدة هورتون الكثير من الصديقات الوفيات فى ويتشوود؟".

قال الرائد هورتون بنبرة تشوبها الضغينة: "كان الناس لطفاء للغاية؛ فقد أرسل لنا ويتفيلد العنب والخوخ من صوباته. كما اعتادت عجائز البلدة على الإتيان لزيارتها. هورونيا وينفليت ولافينيا بنكرتون".

"كانت السيدة بنكرتون تأتى كثيرًا، أليس كذلك؟".

"بلى، إنها عجوز عادية. ولكنها كانت حانية للغاية! كانت تشعر بقلق بالغ إزاء ليديا. كانت تطرح أسئلة عن طعامها وأدويتها. كانت حسنة النية، ولكننى أعتقد أنها كانت تثير جلبة لاداعى لها".

أومأ لوك فى تفهم.

قال الرائد: "أنا لا أتحمل الجلبة الصادرة عن الكثير من النساء فى المنزل، وكان من الصعب ممارسة مباراة جولف ممتعة".

قال لوك: "ماذا عن الشاب الذى بمتجر التحف؟".

زمجر الرائد قائلاً:

"إنه لا يلعب الجولف، إنه أشبه بفتاة منه إلى رجل".

"هل يقيم فى ويتشوود منذ فترة طويلة؟".

"منذ حوالى عامين. إنه شاب قذر حقًا، أنا أمقت هؤلاء الشباب ذوى الشعر الطويل وصوت القطط. الغريب أن ليديا كانت معجبة به. لا يمكنك أن تثق برأى النساء فى الرجال، إنهن يولعن بالأشخاص المرحين الصاخبين. بل إنها قد أصرت على أن تأخذ منه دواءً سرى التركيب يدعى أنه يشفى الأمراض. كان عبارة عن مادة فى برطمان قرمزى تغطيه رموز البروج! من المفترض أنها أعشاب تم قطفها حينما كان القمر بدرًا، إنها حماقة ما بعدها حماقة، ولكن النساء يبتلعن هذا الطعم، وهن يبتلعنه حرفيًا كذلك. ها، ها!".

قال لوك وهو يشعر أنه يغير الموضوع فجأة، وقد فطن أن الرائد هورتون لن يدرك ذلك:

"أى نوع من الرجال هو آبوت، المحامى المحلى؟ هل هو ضليع فى القانون؟ أنا أبغى نصيحة قانونية بخصوص شىء ما وأفكر فى الذهاب إليه".

قال الرائد هورتون: "يقولون إنه محنك. أنا لا أعرف. فى الواقع، لقد تشاجرت معه. وأنا لم أره منذ أن أتى إلى هنا لكتابة وصية ليديا لها قبل أن تموت. فى رأيى، هو مجرد وغد ولكن بالطبع هذا ليس له علاقة بمهارته كمحام".

قال لوك: "لا، بالطبع لا، وبالرغم من ذلك فهو يبدو مشاكسًا، يبدو أنه تشاجر مع الكثيرين حسبما سمعت".

قال الرائد هورتون: "إن مشكلته هو أنه شخص بغيض سريع الغضب، يبدو أنه يعتقد أنه إله أو شىء من هذا القبيل وأن أى شخص لا يتفق معه كأنه طعن فى الذات الإلهية. هل سمعت عن مشاجرته مع هامبلباى؟".

"لقد تشاجرا، أليس كذلك؟".

"بلى. كانت مشاجرة عنيفة. وهذا لم يفاجئنى، فكان هامبلباى أحمق عنيدًا! ومع هذا، انظر ماذا حدث".

"كان موته فاجعة حقيقية".

"هامبلباى؟ نعم، أعتقد هذا. افتقار إلى العناية بالأمور الصغيرة. إن تسمم الدم هو شىء خطير، ضع دومًا اليود فوق الجرح - أنا أفعل هذا دائمًا! احتياط بسيط، أما هامبلباى - والذى يعمل كطبيب - فلا يقوم بأمر كهذا. وهذا يوضح الكثير".

لم يكن لوك يعرف ما كان يوضحه هذا، ولكنه ترك هذا لحاله. نظر إلى ساعته ونهض.

قال الرائد هورتون:

"لقد اقترب موعد الغداء، أليس كذلك؟ حسنًا، أنا سعيد بهذا الحديث؛ فأنا أسعد حينما أرى رجلاً رأى العالم الخارجى، لابد أن نلتقى مرة أخرى. من أين أنت؟ ماينج سترايتس؟ أنا لم يسبق لى الذهاب إلى هناك. سمعت أنك تؤلف كتابًا. عن الخرافات وأمور من هذا القبيل".

"نعم، أنا ــ".

ولكن الرائد هورتون واصل كلامه:

"بإمكانى أن أخبرك بالعديد من الأشياء المثيرة. حينما كنت فى الهند يا صديقى ــ".

تمكن لوك من الهرب بعد نحو عشر دقائق بعدما عانى من سماع الحكايات المعتادة عن الفقراء الهنود والحبال وحيل المانجو الخاصة بهذا الهندى الإنجليزى المتقاعد.

وبينما هو يخطو إلى الخارج فى الهواء الطلق ويستمع إلى صوت تعنيف الرائد لنيرو من خلفه، تعجب من معجزة الحياة الزوجية؛ فبدا الرائد هورتون حزينًا بالفعل على زوجة كانت من النوع الآكل للحوم البشر. ولا يستثنى من هذا لحمه هو.

سأل لوك نفسه فجأة: "أم أنه مخادع من الدرجة الأولى؟".

الفصل ١٢

النزال

لحسن الحظ كانت فترة ما بعد الظهر التى أقيم بها حفل التنس ممتعة؛ فكان اللورد وينفيلد معتدل المزاج للغاية ولعب دور المضيف بكثير من المتعة. وهو قد أشار كثيرًا لأصوله المتواضعة. كان عدد اللاعبين ثمانية. اللورد ويتفيلد، وبريدجيت، ولوك، وروز هامبلباى، والسيد آبوت، ودكتور توماس، والرائد هورتون، وهيتى جونز تلك الشابة ابنة مدير البنك ذات الضحكة العالية.

وفى الجزء الثانى من فترة ما بعد الظهيرة وجد لوك نفسه يلعب مع بريدجيت ضد اللورد ويتفيلد وروز هامبلباى. كانت روز لاعبة جيدة ذات رمية إرسال قوية والتى كانت تلعب فى مباريات المقاطعة. كانت تعوض عن أخطاء اللورد ويتفيلد، أما بريدجيت ولوك. اللذان لم يتسم أى منهما بالمهارة فى اللعب - فقد حققا التعادل. كانوا متعادلين ثلاثة مقابل ثلاثة، ولكن مهارة لوك علت فجأة واستطاع هو وبريدجيت التقدم لتصبح النتيجة خمسة مقابل ثلاثة.

ولكنه لاحظ فى ذلك الحين أن اللورد ويتفيلد قد بدأ يفقد أعصابه؛ فقد جادل بشأن كرة لامست الخط، وأعلن أن ضربة الإرسال خاطئة بالرغم من إنكار روز لذلك، وسلك جميع سلوكيات طفل مشاكس. لعبت بريدجيت ضربة الإرسال، ولكنها ضربت الكرة فى الشبكة وبعد ذلك مباشرة أخطأت ثانية فى ضربة الإرسال. عادت الكرة التالية إلى خط المنتصف وأثناء استعداده لردها اصطدم بزميلته. بعد ذلك أخطأت بريدجيت مرتين متتاليتين فى الإرسال وخسرا المباراة.

اعتذرت بريدجيت: "آسفة. أنا منهكة حقًا".

بدا ذلك صحيحًا؛ فكانت رميات إرسال بريدجيت جامحة وبدت غير قادرة على القيام بأى شىء بالطريقة الصحيحة. انتهت المجموعة بفوز اللورد ويتفيلد وزميلته الساحق بثمانية مقابل ستة.

تناقش اللاعبون قليلاً بشأن تشكيل فريقى المجموعة التالية. وفى النهاية لعبت روز مجددًا مع السيد آبوت كزميلها ضد دكتور توماس والآنسة جونز.

جلس اللورد ويتفيلد وأخذ فى مسح جبهته والتبسم فى رضا، وهو قد استعاد حسه المرح. بدأ يتحدث إلى الرائد هورتون فى موضوع مجموعة مقالات عن اللياقة فى بريطانيا والتى تنشرها إحدى صحائفه.

قال لوك لبريدجيت:

"أرينى حديقة المطبخ".

"ولماذا حديقة المطبخ؟".

"أنا أحب مشاهدة الكرنب".

"ألن تفى البازلاء بالغرض؟".

"وهو كذلك".

سارا مبتعدين عن ملعب التنس حتى وصلا إلى حديقة المطبخ المسورة. كانت خالية من البستانيين فى فترة ما بعد الظهيرة ليوم السبت هذا، وبدت كسولة وساكنة تحت أشعة الشمس.

قالت بريدجيت: "ها هى البازلاء".

لم ينظر لوك إلى الشىء الذى أتى به إلى المكان. قال: "لماذا جعلتهما يفوزان بالمجموعة؟".

ارتفع حاجبا بريدجيت ليكوِّنا تقطيبة.

"آسفة. لقد أصبت بالإرهاق. أنا لست بارعة فى لعبة التنس".

"ليس إلى هذه الدرجة! إن أربع رميات إرسال متتالية خاطئة لن تخدع طفلاً؟ وهذه الضربات الجامحة. كل منها أطاح بالكرة على مسافة نصف ميل!".

قالت بريدجيت فى هدوء:

"هذا لأننى لاعبة تنس فاشلة. لو كنت أمهر من هذا قليلاً لجعلت الأمر يبدو مقبولاً بشكل أفضل، ولكن حينما أنوى جعل الكرة تخرج من الملعب بمسافة صغيرة فإنها ترتطم دومًا بالخط، فيذهب جهدى هباء".

"أنت محترفة إذن؟".

"بالطبع يا عزيزى".

"والسبب؟".

"إنه واضح على ما أعتقد، إن جوردون لا يحب الخسارة".

"وماذا عنى؟ ماذا لو أننى أحب الفوز؟".

"أخشى يا عزيزى لوك أن هذا ليس على نفس القدر من الأهمية".

"هل توضحين ما ترمين إليه أكثر من ذلك".

"بالطبع، إن أردت ذلك. إن المرء لا ينبغى أن يتشاجر مع طفل، وجوردون هو طفلى؛ أما أنت فلا".

أخذ لوك نفسًا عميقًا ثم انفجر:

"ما هو قصدك بحق السماء من الزواج بهذا الرجل الضئيل السخيف؟ لماذا تفعلين هذا؟!".

"لأننى حينما أكون سكرتيرته فلن أتقاضى سوى ستة جنيهات فى الأسبوع، ولكن حينما أصبح زوجته فسأنال ما يقرب من مائة ألف، بالإضافة إلى خزانة مجوهرات مليئة بالألماس واللآلئ، وحصة جيدة فى الأملاك، والمزايا العديدة للحياة الزوجية!".

"ولكن هذا مقابل واجبات مختلفة إلى حد ما!".

قالت بريدجيت فى برود:

"هل يجب أن تنتهج مثل هذا السلوك الميلودرامى إزاء كل شىء فى الحياة؟ إن كنت ترسم فى مخيلتك صورة جميلة لجوردون كشخص خانع لزوجته فعليك محوها على الفور! إن جوردون . كما رأيت . ليس سوى صبى صغير لم ينضج بعد. إن ما يحتاج إليه هو أم وليس زوجة؛ فقد ماتت أمه مع الأسف

حينما كان فى الرابعة من عمره وما يريده هو شخص فى متناول يده يستطيع التفاخر أمامه، شخص يبعث فيه الثقة بنفسه والذى يكون على أتم استعداد لأن يستمع بلا نهاية إلى اللورد ويتفيلد عن موضوع نفسه!".

"إن لك لسانًا لاذعًا، أليس كذلك؟".

أجابت بريدجيت بحدة:

"أنا لا أقص على نفسى حكايات خيالية إن كان هذا ما تعنيه! أنا شابة تتمتع بقدر من الذكاء، ليست جذابة للغاية، وليس لديها مال. أنا أريد أن أعيش حياة كريمة. إن وظيفتى كزوجة جوردون لن تكون مختلفة من الناحية العملية عن وظيفتى كسكرتيرته؛ فبعد عام لا أعتقد أنه سيتذكر أن يقول لى تصبحين على خير. الفارق الوحيد هو الراتب".

نظرا إلى بعضهما البعض. كان كلاهما شاحبًا من فرط الغضب، قالت بريدجيت فى سخرية:

"واصل كلامك؛ فأنت رجل عتيق الطراز، أليس كذلك يا سيد فيتزوليم؟ أليس من الأفضل أن تردد على مسامعى هذه الأسطوانة القديمة . وهو أننى أبيع نفسى مقابل المال . طالما اعتقدت أنها أسطوانة جيدة!".

قال لوك: "أنت شيطانة ذات دم بارد".

"هذا أفضل من أن أكون حمقاء ذات دم ساخن!".

"حقًا؟".

"نعم. أنا أعلم هذا".

أصدر لوك صوتًا ساخرًا: "ماذا تعرفين؟".

"أعلم كيف يكون الأمر حينما تهتم لأمر رجل ما! هل سبق لك مقابلة جونى كورنيش؟ لقد ظللت مخطوبة له طوال ثلاث سنوات. كان لطيفًا للغاية، وقد اهتممت بأمره بشدة. اهتممت بأمره لدرجة مؤلمة! حسنًا، لقد رمانى وتزوج من أرملة بدينة لطيفة ذات لهجة شمالية وثلاث ذقون ودخل يصل إلى ثلاثين ألفًا فى العام! إن تجربة مثل هذه تشفى الإنسان من الرومانسية. ألا تعتقد هذا؟".

أشاح لوك بوجهه وهو يتأوه. قال:

"ربما".

"لقد أدت إلى شفائى بالفعل....".

سادت فترة صمت. كان هذا الصمت يمثل ثقلاً على صدريهما. قطعته بريدجيت أخيرًا وقالت بنبرة عدم ثقة فى صوتها:

"أتمنى لو تدرك أنه ليس من حقك أن تتحدث إلىّ بالطريقة التى تحدثت بها لتوك، إنك تقيم فى منزل جوردون وهذا ليس من أصول اللياقة!".

استعاد لوك رباطة جأشه.

سأل فى أدب: "أليست هذه أسطوانة قديمة أيضًا؟".

تورد وجه بريدجيت: "لكن الأمر صواب!".

"لا، إنه ليس صحيحًا. أنا لى كل الحق فى القيام بذلك".

"هراء!".

نظر لوك إليها. كان هناك شحوب غريب بوجهها، وكأنها تعانى ألمًا جسديًا. قال:

"إن لى الحق فى ذلك. أنا لى الحق فى العناية بك. ما الذى قلته لتوك؟ عن الاهتمام بأمره لدرجة مؤلمة!".

ابتعدت خطوة للوراء ثم قالت: "أنت ـ".

"نعم، أمر مضحك، أليس كذلك؟ إنه أحد الأشياء التى لابد أن يجعلك تضحكين من قلبك! لقد جئت إلى هنا لأداء مهمة عمل وأنت أتيت من حول هذا المنزل. كيف يمكننى قول هذا. وألقيت علىّ لعنة ما! هذا هو ما أشعر به. لقد أتيت على ذكر الحكايات الخيالية الآن. أنا محبوس داخل حكاية خيالية! لقد سحرتنى. ينتابنى شعور بأنك إذا أشرت إلىّ بإصبعك وقلت: "تحول إلى ضفدع"، فإننى سأصبح واحدًا يثب بعيدًا بعينين بارزتين".

اقترب منها خطوة.

"أنا أحبك كثيرًا يا بريدجيت كونواى، وبما أننى أحبك كثيرًا، فلا يمكن أن تتوقعى منى الاستمتاع برؤيتك وأنت تتزوجين من هذا الرجل الضئيل المغرور ذى البطن المنتفخ الذى يفقد أعصابه حينما لا يفوز فى التنس".

"ما الذى تقترح علىّ القيام به؟".

"أقترح عليك الزواج منى بدلاً منه! ولكن بدون شك مثل هذا الاقتراح سيولد الكثير من الضحكات السعيدة".

"سيكون الضحك صاخبًا بدون شك".

"تمامًا، الآن حددنا موقفنا. هلا عدنا إلى ملعب التنس؟ ربما فى هذه المرة ستجدين لى زميلاً يلعب ليفوز!".

قالت بريدجيت فى عذوبة: "أعتقد أنك تمقت الخسارة بقدر ما يمقتها جوردون!".

أمسك بها لوك فجأة من كتفيها.

"إن لك لسانًا حادًا، أليس كذلك يا بريدجيت؟".

"أعتقد أنك لا تحبنى كثيرًا يا لوك بالرغم من قدر المشاعر التى تحملها لى!".

"لا أعتقد أننى أحبك بالمرة".

قالت بريدجيت وهى ترقبه:

"كنت تنوى الزواج والاستقرار حينما تأتى إلى وطنك، أليس كذلك؟".

"نعم".

"ولكن ليس من امرأة مثلى؟".

"أنا لم يسبق لى أن فكرت فى امرأة مثلك".

"بالطبع. أنا أعرف الطراز الذى يعجبك، أعرفه تمامًا".

"أنت ذكية للغاية يا عزيزتى بريدجيت".

"فتاة لطيفة حقًا. إنجليزية تمامًا. تهوى الريف وتجيد التعامل مع الكلاب ... وأنت على الأرجح تخيلتها فى تنورة من التويد تشعل عودًا من الخشب بطرف حذائها".

"تبدو الصورة جذابة للغاية".

"بالتأكيد. هلا عدنا إلى ملعب التنس؟ يمكنك اللعب مع روز هامبلباى. إنها ماهرة وستستطيع الفوز معها بدون شك".

"بما أننى عتيق الطراز فلابد أن أترك لك الكلمة الأخيرة".

ساد الصمت مرة أخرى. بعد ذلك رفع لوك يديه ببطء عن كتفيها. وقف كلاهما فى غير ثقة كما لو أنه قد تبقى شىء لم يبوحا به.

بعد ذلك استدارت بريدجيت فجأة وقادته. كانت المجموعة التالية على وشك الانتهاء. رفضت روز اللعب مرة أخرى.

"لقد لعبتُ مجموعتين متتاليتين".

لكن بريدجيت أصرت:

"أنا أشعر بالتعب ولا أريد اللعب. أنتِ والسيد فيتزوليم العبا ضد الآنسة جونز والرائد هورتون".

ولكن روز صممت على الرفض وفى النهاية تشكل فريقان رجاليان، وبعد ذلك أتى الشاى.

كان اللورد ويتفيلد يتحاور مع الدكتور توماس ويحكى له تفصيليًا وبكثير من الاعتداد بالذات عن زيارة قام بها مؤخرًا لمختبرات بحث ويللرمان كريتز.

شرح بجدية: "أردت استيعاب آخر الاكتشافات العلمية؛ فأنا مسئول عما تنشره صحفى، فهذا العصر علمى، ولابد من تطويع العلم كى يستطيع العامة فهمه".

قال دكتور توماس وهو يهز كتفيه قليلاً: "إن بعض العلم قد يكون شيئاً خطيرًا".

قال اللورد ويتفيلد: "العلم هو ما يفيد الوطن، هذا يجب أن يكون هدفنا. عقول علمية —".

قالت بريدجيت فى رزانة: "إدراك أنابيب الاختبار".

قال اللورد ويتفيلد: "لقد انبهرت. أرانى ويللرمان المكان بنفسه بالطبع. استجديته كى يتركنى لأحد تابعيه ولكنه أصر".

قال لوك: "هذا طبيعى".

بدا اللورد ويتفيلد ممتنًا.

"وقد شرح كل شىء بوضوح. الاستنبات. المصل. القاعدة العامة لكل شىء. وقد وافق أن يكتب المقال الأول فى مجموعة المقالات بنفسه".

تمتمت *السيدة أنستروثر*:

"إنهم يستخدمون الفئران على ما أعتقد. وهذا قاس. بالرغم من أنه بالطبع ليس فى قسوة استخدام الكلاب أو حتى القطط".

قال الرائد هورتون بصوت أجش: "إن الرفاق الذين يستخدمون الكلاب لابد من إطلاق النار عليهم".

قال السيد آبوت: "أنا أعتقد يا هورتون أن حياة الكلاب عندك أغلى من حياة البشر".

قال الرائد: "هذا صحيح! إن الكلاب لا تنقلب ضدك مثلما يفعل البشر، كما أنك لا تسمع كلمة بذيئة من كلب".

قال السيد آبوت: "فقط ناب بذىء ينغرس فى ساقك، أليس كذلك يا هورتون؟".

قال الرائد هورتون: "إن الكلاب هى خير حكم على الشخصية".

"أحد كلابك المتوحشة كاد يعضنى فى ساقى الأسبوع الماضى، ما رأيك فى هذا يا هورتون؟".

"كما قلت لتوى!".

تدخلت بريدجيت بلباقة:

"ماذا عن لعب المزيد من التنس؟".

لعبوا مجموعتين أخريين، وبينما كانت روز هامبلباى تودعهم، ذهب إليها لوك.

قال: "دعينى أوصلك إلى المنزل. دعينى أحمل مضرب التنس عنك. ليس معك سيارة ، أليس كذلك؟".

"نعم، لكن المنزل ليس بعيدًا".

"أنا أود التمشية معك قليلاً".

لم يقل أكثر من ذلك، فقط اكتفى بحمل مضربها وحذائها.

سارا فى الطريق دون كلام. أتت روز على ذكر أمر أو أمرين تافهين. أجابها لوك باختصار، بيد أن الفتاة بدت أنها لم تلاحظ.

وحينما وصلا إلى بوابة منزلها أشرق وجه لوك.

قال: "أنا أفضل حالاً الآن".

"هل كنت أسوأ حالاً قبل ذلك؟".

"من اللطيف منك أن تتظاهرى بأنك لم تلاحظى هذا. لكنك استطعت تحرير الغضب من الوحش. هذا غريب، أشعر أننى خرجت من سحابة سوداء إلى الشمس".

"هذا صحيح. كانت هناك سحابة فوق الشمس حينما كنا فى المانور ولكنها ابتعدت الآن".

"إذن الأمر حقيقى بقدر ما هو مجازى. حسنًا، حسنًا، العالم هو مكان رائع بالرغم من كل شىء".

"بالطبع هو كذلك".

"آنسة هامبلباى، أيمكننى أن أكون وقحًا بعض الشىء؟".

"أنا واثقة أنه ليس باستطاعتك ذلك".

"لا تكونى واثقة من هذا. أردت أن أقول إننى أعتقد أن دكتور توماس هو رجل محظوظ حقًا".

تورد وجه روز وابتسمت.

قالت: "إذن فأنت تعرف؟".

"هل كان من المفترض أن يكون سرًا؟ أنا آسف للغاية".

قالت روز بحزن: "لا! لا يوجد سر بهذا المكان".

"إذن هذا صحيح، أنت وهو مخطوبان؟".

أومأت روز.

"نحن لم نعلن عن ذلك رسميًا، كما تعلم، كان أبى معارضًا للأمر ويبدو - حسنًا - أنه ليس من الملائم إعلان الخبر بعد وفاته مباشرة".

"هل كان والدك معارضًا؟".

"حسنًا، ليس معارضًا تمامًا. لا، أعتقد أنه لم يكن موافقًا".

قال لوك برقة:

"ظن أنك صغيرة للغاية؟".

"هذا هو ما قاله".

قال لوك فى ذكاء: "لكنك تعتقدين أن ثمة سببًا آخر؟".

هزت روز رأسها ببطء وعلى مضض.

"نعم. أخشى أن ما اتضح فى النهاية أن أبى - حسنًا لم يكن أبى يحب جيفرى".

"هل كانت هناك خصومة بينهما؟".

"بدا الأمر كذلك فى بعض الأحيان.. بالطبع كان أبى رجلاً عجوزًا ذا آراء متزمتة".

"وأعتقد أنه كان يحبك كثيرًا، ولم ترق له فكرة فقدانك؟".

وافقته روز ولكن ببعض التحفظ فى سلوكها.

قال لوك: "كان الأمر أكثر من ذلك؟ إنه لم يرغب فى أن يصبح توماس زوجًا لك؟".

"لا. كما تعلم، إن أبى وجيفرى مختلفان تمامًا. وكانا يتصادمان فى بعض الأحيان. كان جيفرى صبورًا للغاية وبارعًا فى عمله. ولكن إدراكه لعدم حب أبى له جعله أكثر تحفظًا وخجلاً فى سلوكه، لذا فإن أبى لم يتسنَّ له أن يعرفه حق المعرفة".

قال لوك: "من الصعب للغاية قهر التزمت والأحكام المسبقة".

"كان ذلك غير عقلانى بالمرة!".

"ولم يقدم والدك مبررات لتصرفاته تلك؟".

"لا، لم يستطع ذلك! هذا طبيعى؛ فلم يكن هناك ما يمكن أن يدين به جيفرى فيما عدا أنه لم يحببه".

قال لوك متخيلاً الدكتور هامبلباى:

"أنا لا أحبك يا دكتور توماس، لا أعرف سبب ذلك".

"تمامًا".

"ليس هناك سبب ملموس لذلك؟ أعنى أن جيفرى لا يشرب الكحوليات أو يراهن على الجياد؟".

"لا، لا. لا أعتقد أن جيفرى يعرف حتى من فاز بسباق الديربى".

قال لوك: "هذا غريب، فيمكننى أن أقسم لك بأننى رأيت دكتور توماس فى إبسوم يوم سباق الديربى".

للحظة شعر بالقلق عسى أن يكون قد ذكر قبل ذلك أنه وصل إلى إنجلترا فى هذا اليوم. لكن روز أجابت على الفور دون أن يساورها أدنى شك.

"أنت تظن أنك رأيت جيفرى فى سباق الديربى؟ لا. لم يكن فى وسعه ذلك؛ فقد كان فى آشولد طوال اليوم تقريبًا لتولى أمر ولادة متعسِّرة".

"إن لك ذاكرة قوية".

ضحكت روز.

"أتذكر هذا لأنه أخبرنى أنهم أطلقوا على المولود اسم جوجيوب كلقب".

أومأ لوك بشرود ذهن.

قالت روز: "على أية حال. إن جيفرى لا يذهب أبدًا إلى السباقات؛ فهى تشعره بالملل".

أضافت بنبرة مختلفة:

"ألن تدخل. أعتقد أن أمى تود أن تراك".

"إن كنت واثقة من هذا؟".

قادته روز داخل غرفة كان ضوء الشفق يتخللها بحزن. كانت امرأة تجلس فى مقعد ذى ذراعين فى وضعية جاثمة مثيرة للفضول.

"أمى، هذا هو السيد فيتزوليم".

أجفلت السيدة هامبلباى وصافحته. خرجت روز بهدوء من الغرفة.

"أنا سعيدة لرؤيتك يا سيد فيتزوليم، لقد أخبرتنى روز أن بعض أصدقائك كانوا يعرفون زوجى منذ عدة سنوات مضت".

"نعم يا سيدة هامبلباى"، لكنه كره أن يكرر الكذبة على مسامع الأرملة، ولكن لم يكن هناك مفر.

قالت السيدة هامبلباى:

"أتمنى لو كنت قابلته. كان رجلاً لطيفًا وطبيبًا عظيمًا. لقد عالج الكثير من الناس الذين استسلموا لليأس فقط بقوة شخصيته".

قال لوك برقة:

"لقد سمعت عنه الكثير منذ أن أتيت إلى هنا، أعلم كم يقدره العديد من الناس".

لم يكن باستطاعته رؤية وجه السيدة هامبلباى بوضوح. كان صوتها رتيبًا، ولكن افتقاره للمشاعر بدا أنه تأكيد لحقيقة كمون المشاعر الحقيقية بداخلها، تلك المشاعر التى كانت تكبتها بقوة.

قالت على نحو غير متوقع:

"إن العالم هو مكان فاسد للغاية يا سيد فيتزوليم. أتعلم هذا؟".

كان لوك مندهشًا بعض الشىء.

"نعم، ربما يكون هذا صحيحًا".

أصرت قائلة:

"لا، بل هل تعلم هذا؟ إن هذا مهم. إن هناك الكثير من الشر فى هذا العالم... لابد أن يكون المرء مستعدًا لمحاربته! كان جون مستعدًا لمحاربته. كان يعلم. كان إلى جانب الحق!".

قال لوك برقة:

"أنا واثق من هذا".

قالت السيدة هامبلباى: "لقد رأى الشر فى هذا المكان. كان يعلم ــ".

انفجرت فى البكاء فجأة.

تمتم لوك:

"أنا آسف ــ"، ثم سكت.

أعادت السيطرة على نفسها فجأة كما فقدتها فجأة.

قالت: "لابد أن تسامحنى". مدت يدها قائلة: "تعال لزيارتنا قبل أن تغادر. روز ستسعد بذلك كثيرًا؛ فهى معجبة بك للغاية".

"وأنا أيضًا معجب بها. أعتقد أن ابنتك هى ألطف فتاة قابلتها منذ وقت طويل يا سيدة هامبلباى".

"إنها تعاملنى برقة بالغة".

"إن دكتور توماس هو رجل محظوظ حقًا".

"نعم". أسقطت السيدة هامبلباى يده. أصبح صوتها فاترًا مجددًا.

"لا أعلم. إن الأمر شديد الصعوبة".

تركها لوك واقفة نصف مهمومة، كانت أصابعها تنغلق وتنفتح تلقائيًا.

أثناء سيره إلى المنزل، عاود عقله التفكير فى أجزاء كثيرة من الحوار.

كان دكتور توماس متغيبًا عن ويتشوود معظم اليوم الخاص بسباق الديربى، كان متغيبًا فى مكان بعيد. إن ويتشوود تبعد خمسة وثلاثين ميلاً عن لندن. على افتراض أنه كان يتولى أمر ولادة متعسرة. هل هناك ما يثبت ذلك أكثر من مجرد كلمته؟ يمكن استبيان ذلك على حد اعتقاده. انتقل عقله للتركيز على السيدة هامبلباى.

ما الذى كانت تعنيه بإصرارها على ترديد عبارة: "هناك الكثير من الشر فى ....."؟

هل هى فقط متوترة ومثقلة بالهموم بفعل صدمة وفاة زوجها؟ أم أن هناك شيئًا آخر؟

هل تعلم شيئًا ربما؟ شيئًا كان يعلمه دكتور هامبلباى قبل وفاته؟

قال لوك لنفسه: "لابد أن أتحرى عن هذا الأمر. لابد من هذا".

وقد نجح بقوة عزيمته أن ينأى بعقله عن التفكير فى النزال الذى نشب بينه وبين بريدجيت.

الفصل ١٣

السيدة وينفليت تتحدث

فى صباح اليوم التالى توصل لوك إلى قرار؛ فقد شعر أنه تقدم إلى أقصى حد يمكنه التقدم إليه باستخدام الأسئلة غير المباشرة، فإن آجلاً أم عاجلاً سيضطر لأن يكشف عن طبيعة مهمته، وقد شعر أن الوقت قد حان للكف عن الادعاء بأنه يؤلف كتابًا، وللكشف عن الهدف الحقيقى الذى أتى به إلى ويتشوود.

وسعيًا لتنفيذ هذه الخطة قرر زيارة هورونيا وينفليت؛ فهو لم ينبهر فقط من حصافة عقل هذه المرأة متوسطة العمر وحكمتها ولكنه تخيل أنها ربما تعرف معلومات قد تساعده. إنه يؤمن بأنها أخبرته بما تعرفه، لكنه أراد تحفيزها كى تخبره بما قد تكون حدسته. فكان يعتقد اعتقادًا قويًا أن تخمينات السيدة وينفليت ربما تكون قريبة من الحقيقة بشكل كبير.

ذهب إليها مباشرة بعد خروجه من دار العبادة.

استقبلته السيدة وينفليت بشكل واقعى وعملى دون إظهار أية أمارات دهشة لزيارته، وحينما جلست إلى جواره وهى تشابك أصابعها وتنظر إليه بعينيها الذكيتين اللتين تشبهان عينى عنزة جميلتين، وجد بعض الصعوبة فى الإعلان عن سبب الزيارة.

قال: "أعتقد أنك قد حدست يا سيدة وينفليت أننى لم آتِ لهذه البلدة لمجرد تأليف كتاب عن العادات المحلية؟".

أومأت السيدة وينفليت برأسها وواصلت الإنصات.

لكن لوك لم يرغب فى إخبارها بالحقيقة كاملة؛ فربما تكون السيدة وينفليت حذرة. فهى قد أمدته بالانطباع أنها تتمتع بهذه الصفة. ولكنها كانت إحدى السيدات العجائز واللاتى شعر لوك أنه لن يستطيع الوثوق فى قدرتها على مقاومة إغراء الإفضاء بقصة مثيرة لواحد أو اثنين من أصدقائها الحميمين. لهذا فقد عقد العزم على أن يسلك طريقًا وسطًا.

"أنا هنا للتحقيق فى ملابسات موت تلك الفتاة المسكينة آمى جيبس".

قالت السيدة وينفليت:

"أتعنى أن الشرطة قد أرسلتك؟".

أضاف بحس مرح: "لا، أنا لست من رجال البوليس السرى. أنا من يعرف فى الروايات بالمحقق الخاص".

"نعم. إذن بريدجيت كونواى هى التى أتت بك إلى هنا؟".

تردد لوك للحظة، ثم قرر أن يدعها تعتقد هذا، فبدون الإتيان على ذكر قصة السيدة بنكرتون كاملة، كان من الصعب

أن يوفر مبررًا لوجوده. واصلت السيدة وينفليت حديثها بنبرة إعجاب رقيقة فى صوتها.

"إن بريدجيت عملية للغاية. كفؤ للغاية! أخشى أننى لو كنت أملك زمام الأمور ما كنت لأثق فى حكمى. أعنى أنك إذا لم تكن واثقًا من أمر ما مائة بالمائة فإنه يضحى من الصعب أن تتخذ إجراءً بشأنه".

"ولكنك واثقة، ألست كذلك؟".

قالت السيدة وينفليت برزانة:

"فى الواقع لا يا سيد فيتزوليم. إنه ليس أمرًا يمكن أن يكون المرء واثقًا بشأنه! أعنى ربما يكون مجرد خيال؛ فحينما يعيش المرء بمفرده دون أن يكون معه من يستشيره أو يتحدث إليه، فإنه قد يصبح بسهولة ميلودراميًا ويتخيل أشياء ليس لها أساس من الصحة".

وافقها لوك على الفور على رأيها هذا مدركًا صحته ولكنه أضاف برقة:

"ولكنك واثقة داخل عقلك؟".

أبدت السيدة وينفليت بعض التردد حتى فى الإجابة عن هذا السؤال.

احتجت قائلة: "إننا لا نمارس لعبة المقاصد المتعارضة كما أتمنى؟".

ابتسم لوك.

"أنت تريدين أن أوضح مقصدى مباشرة؟ حسنًا. هل تعتقدين أن آمى جيبس قد قتلت؟".

أجفلت السيدة وينفليت قليلاً من فجاجة اللغة، وقالت:

"أنا لست مرتاحة على الإطلاق لملابسات موتها. لست مرتاحة على الإطلاق. الأمر برمته غير مقنع فى رأيى".

قال لوك بصبر:

"أنت لا تعتقدين أن موتها كان طبيعيًا؟".

"لا".

"أنت لا تعتقدين أنه كان حادثًا؟".

"يبدو ذلك بعيد الاحتمال. إن هناك العديد ــ".

قاطعها لوك.

أنت لا تعتقدين أنه كان انتحارًا؟".

"بالطبع لا".

قال لوك برفق: "إذن، أنت تعتقدين أنها كانت جريمة قتل؟".

ترددت السيدة وينفليت وبلعت ريقها وقالت بشجاعة:

"نعم، أعتقد هذا!".

"جيد. الآن يمكننا المضى قدمًا فى حديثنا".

شرحت السيدة وينفليت فى قلق: "ولكننى لا أملك أى دليل أبنى عليه مثل هذا الاعتقاد. إنه مجرد فكرة".

"وليكن، إن هذا حوار خاص. إننا فقط نتحدث عما نعتقده ونشك فيه. نحن نعتقد أن آمى جيبس قتلت، فمن تعتقدين أنه قتلها؟".

هزت السيدة وينفليت رأسها، كانت تبدو منزعجة للغاية.

قال لوك وهو يراقبها:

"من لديه دافع لقتلها؟".

قالت السيدة وينفليت ببطء:

"لقد تشاجرت على ما أعتقد مع صديقها الشاب الذى يعمل فى ورشة التصليح جيم هارفى. وهو شاب مستقيم وناضج. أنا أعرف أننا نقرأ كثيرًا فى الصحف عن شباب يعتدون على صديقاتهن ويفعلون بهن أشياء بغيضة مثل هذه، ولكننى لا أعتقد أن بإمكان جيم اقتراف شىء مثل هذا".

أومأ لوك.

واصلت السيدة وينفليت كلامها.

"علاوة على هذا، فلا يمكننى أن أصدق أنه قد يفعلها بهذه الطريقة. يتسلق إلى نافذتها ويستبدل بزجاجة شراب السعال زجاجة سم، أعنى أن هذا لا يبدو ــ".

أنقذها لوك حينما ترددت.

"إن هذا ليس تصرفًا يصدر عن حبيب غاضب؟ أوافقك الرأى، فى رأينا يمكننا استبعاد جيم هارفى من قائمة المشتبه بهم على الفور. لقد قتلت آمى (فنحن متفقان على أنها قتلت) على يد شخص أراد إبعادها عن الطريق، والذى خطط للجريمة بحرص حتى تبدو أنها حادث. الآن هل لديك أية فكرة أو حدس عمن يمكن أن يكون هذا الشخص؟".

قالت السيدة وينفليت:

"لا، ليس لدى أدنى فكرة فى الواقع!".

"أواثقة؟".

"نعم".

نظر إليها لوك بتمعن، وقد شعر أن إنكارها هذا كان زائفًا. واصل كلامه قائلاً:

"لا تعلمين أى دافع لقتلها؟".

"لا أعرف دافعًا من أى نوع".

كان هذا أكثر تأكيدًا.

"هل عملت تلك الفتاة فى كثير من المنازل فى ويتشوود؟".

"ظلت تعمل لدى آل هورتون طوال عام قبل أن تنتقل للعمل لدى اللورد ويتفيلد".

لخص لوك بسرعة.

"الأمر على هذا النحو إذن. أراد أحدهم إبعاد هذه الفتاة عن الطريق. من خلال الحقائق المتوافرة لدينا نفترض أولاً أن الجانى هو رجل عتيق الطراز إلى حد ما (حيث يعكس امتلاكه لطلاء القبعات هذه الحقيقة)، وثانيًا أنه رجل رياضى بما أنه لابد أن يكون قد تسلق خارج المنزل حتى نافذة الفتاة. أنت توافقيننى على هذه الآراء؟".

قالت السيدة وينفليت: "بالتأكيد".

"هل تمانعين إن خرجت وجربت بنفسى؟".

"على الإطلاق. أعتقد أنها فكرة سديدة للغاية".

قادته عبر الباب الجانبى ومنه إلى خلف المنزل فى الفناء الخلفى. نجح لوك فى الوصول إلى السطح الخارجى للمنزل دون كثير من العناء. ومن هناك تمكن بسهولة من رفع إطار نافذة غرفة الفتاة وببذل بعض الجهد دخل الغرفة، وبعد مرور بضع دقائق انضم مجددًا للسيدة وينفليت بالممر بالأسفل وهو يمسح يديه بمنديل.

قال: "فى الواقع الأمر أسهل مما يبدو، وكل ما تحتاجين إليه هو بعض القوة العضلية. لم تكن هناك أية آثار على الإطار أو بالخارج؟".

هزت السيدة وينفليت رأسها.

"لا أعتقد هذا، بالطبع تسلق الشرطى هذا المكان".

"إذن فلو كانت هناك أية آثار فستكون خاصة به. يا لها من طريقة تساعد بها الشرطة المجرم! حسنًا، هذا ما حدث!".

قادته السيدة وينفليت ثانية إلى داخل المنزل.

سأل: "هل كانت آمى جيبس تغط فى النوم بعمق؟".

قالت السيدة وينفليت بحدة:

"كان من الصعب للغاية إيقاظها فى الصباح. فى بعض الأحيان كنت أظل أطرق وأطرق وأنادى عليها كثيرًا قبل أن تجيب، ولكن على أية حال يا سيد فيتزوليم، هناك هذا المثل الذى يقول إنه ليس هناك من هو أصم بقدر ذلك الشخص الذى لا يريد أن يسمع!".

قال لوك: "هذا صحيح، الآن يا سيدة وينفليت نأتى إلى سؤال الدافع. ولنبدأ بأوضح الدوافع، هل تعتقدين أنه كان هناك أى شىء بين هذا المدعو إيلسورثى والفتاة؟". أضاف بسرعة: "وأنا لا أطلب سوى رأيك فى الأمر، مجرد رأى".

"إن كان مجرد رأى، فأعتقد أن إجابتى ستكون نعم".

أومأ لوك.

"فى رأيك، هل من الممكن أن تكون الفتاة آمى قد تورطت فى موضوع ابتزاز؟".

"فى رأيى، أعتقد أن هذا محتمل".

"هل تنامى إلى معرفتك أنها كانت بحوزتها مبلغ كبير من المال عند موتها؟".

فكرت السيدة وينفليت.

"لا أعتقد هذا، لو كان بحوزتها أى مبلغ من المال فإننى أعتقد أننى لابد أن أكون قد عرفت بهذا".

"وهى لم تبذخ فى الإنفاق قبل موتها؟".

"لا أعتقد هذا".

"هذا يدحض نظرية الابتزاز إذن؛ فضحية الابتزاز عادة ما يدفع مرة قبل أن يقرر انتهاج تصرف طائش، وهناك نظرية أخرى، ربما كانت الفتاة تعرف شيئاً".

"أى شيء؟".

"ربما كانت تملك معلومة تشكل خطرًا على أحد السكان هنا فى ويتشوود. دعينا نتخيل حالة افتراضية بحتة. لقد عملت فى العديد من المنازل هنا، لنفترض أنها عرفت شيئًا من شأنه تدمير شخص مثلاً مثل آبوت مهنيًا".

"السيد آبوت؟".

قال لوك بسرعة:

"أو ربما يكون هناك تصرف ينم عن الإهمال أو قلة الحرفية أقدم عليه دكتور توماس".

قالت السيدة وينفليت: "ولكن بالتأكيد ـــ"، ثم سكتت.

واصل لوك كلامه:

"آمى جيبس كانت تعمل خادمة فى منزل آل هورتون حينما توفيت السيدة هورتون".

ساد الصمت لحظة قبل أن تقول السيدة وينفليت:

"هلا أخبرتنى يا سيد فيتزوليم لمَ تقحم آل هورتون فى هذا الأمر؟ لقد ماتت السيدة هورتون منذ أكثر من عام الآن".

"نعم، وكانت الفتاة آمى تعمل هناك فى ذلك الحين".

"نعم، ولكن ما دخل آل هورتون بالأمر؟".

"لا أعلم. كنت فقط أتساءل. إن السيدة هورتون ماتت إثر الإصابة بالتهاب المعدة، أليس كذلك؟".

"بلى".

"هل كان موتها غير متوقع؟".

قالت السيدة وينفليت ببطء:

"كان موتها غير متوقع بالنسبة لى، كما تعلم، فقد تحسنت كثيرًا وبدت فى طريقها إلى الشفاء، وفجأة أصيبت بانتكاسة وماتت".

"هل كان دكتور توماس مندهشاً؟".

"لا أعلم. أعتقد هذا".

"والممرضات، ماذا كان رأيهن؟".

قالت السيدة وينفليت: "من واقع خبرتى، فإن ممرضات المستشفيات لا يندهشن أبدًا حينما تتخذ أى حالة منحى إلى الأسوأ؛ إنه الشفاء هو الذى يذهلهن".

أصر لوك: "لكن موتها أدهشك؟".

"نعم، لقد كنت بصحبتها فى اليوم السابق لوفاتها وبدت أفضل حالاً، فكانت تتحدث وكانت مرحة للغاية".

"ماذا كان رأيها عن مرضها؟".

"كانت تشكو من أن الممرضات يرغبن فى سمها. وهى قامت بالفعل بطرد إحدى الممرضات، ولكنها قالت إن الاثنتين المتبقيتين كانتا فى نفس السوء!".

"أعتقد أنك لم تهتمى كثيرًا لادعاءاتها تلك؟".

"حسنًا، لا. لقد ظننت أنها جزء من مرضها. وهى كانت امرأة كثيرة الشكوك. وربما لا يجب علىّ أن أقول هذا. لكنها كانت تحب أن تجعل نفسها تبدو مهمة. لم يفهم أى طبيب حالتها. والتى لم تكن بسيطة؛ فهى إما كانت مصابة بمرض غامض، أو كان أحدهم يحاول "إبعادها عن الطريق"".

حاول لوك أن يتحدث بنبرة صوت طبيعية.

"وهى لم تشك فى أنه ربما يكون زوجها هو من يفعل هذا بها؟".

"لا، لا، هذه الفكرة لم تخطر لها على بال قط!".

سكتت السيدة وينفليت لحظة، ثم سألت فى هدوء:

"هل هذا هو ما تعتقده؟".

قال لوك ببطء:

"لقد فعل الأزواج هذا من قبل ونجوا بفعلتهم. والسيدة هورتون كانت امرأة يرغب أى رجل بكل المقاييس فى التخلص منها! وأنا أعرف أنه حصل على الكثير من المال حينما ماتت".

"نعم، هذا صحيح".

"ما هو رأيك يا سيدة وينفليت؟".

"هل تريد رأيى؟".

"نعم، رأيك لا غير".

قالت السيدة وينفليت بهدوء وترو:

"فى رأيى، كان الرائد هورتون مخلصاً لزوجته ويحبها ولم يكن ليحلم قط بفعل شىء كهذا!".

نظر إليها لوك وتلقى منها تلك النظرة الوديعة فى المقابل. هذه النظرة التى لم تضطرب أو ترتعش.

قال: "حسنًا. أعتقد أنك محقة؛ فأنت على الأرجح كنت ستعرفين إن كان الأمر غير ذلك".

ابتسمت السيدة وينفليت.

"نحن النساء قويات الملاحظة للغاية، ألا تعتقد هذا؟".

"بالطبع. هل كانت السيدة بنكرتون لتتفق معك فى هذا الرأى؟".

"لا أعتقد أننى سبق لى أن سمعت لافينيا تعبر عن رأيها بخصوص هذا الأمر".

"ما كان رأيها فى آمى جيبس؟".

قطبت السيدة وينفليت وكأنها تفكر.

"من الصعب قول هذا. كان لدى لافينيا فكرة مثيرة للفضول للغاية".

"أى فكرة؟".

"كانت تعتقد أن ثمة شيئًا غريبًا يجرى هنا فى ويتشوود".

"كانت تعتقد على سبيل المثال أن أحدهم دفع تومى بيرس خارج النافذة؟".

حدقت إليه السيدة وينفليت فى دهشة.

"كيف علمت هذا يا سيد فيتزوليم؟".

"أخبرتنى بهذا. ليس بهذه الكلمات ولكنها أمدتنى بفكرة عامة".

اتكأت السيدة وينفليت للأمام وقد تورد وجهها من فرط الدهشة.

"متى كان هذا يا سيد فيتزوليم؟".

قال لوك بهدوء: "فى يوم مقتلها. لقد سافرنا معًا إلى لندن".

"ماذا قالت لك بالضبط؟".

"أخبرتنى أنه كانت هناك الكثير من حالات الوفاة فى ويتشوود، وقد أتت على ذكر آمى جيبس وتومى بيرس، وهذا الرجل المدعو كارتر، ولقد أخبرتنى كذلك أن دكتور هامبلباى سيكون التالى".

أومأت السيدة وينفليت ببطء.

"ألم تخبرك عمن وراء هذه الجرائم؟".

قال لوك بتجهم: "رجل ذو نظرة معينة فى عينيه. نظرة لا يمكن أن يخطئها أحد، وفقًا لكلامها. وقد رأت هذه النظرة فى عينيه حينما كان يتحدث إلى هامبلباى، ولهذا قالت إن هامبلباى سيكون هو الضحية التالية".

همست السيدة وينفليت: "وقد كان. يا إلهى!".

اتكأت للخلف. كان بعينيها نظرة ذهول.

قال لوك: "من هو هذا الرجل، بربك يا سيدة وينفليت؟ أنت تعرفين من هو. لابد أنك تعرفين!".

"لا أعرف، إنها لم تخبرنى".

قال لوك بحماسة: "ولكن يمكنك أن تخمنى. أنت تملكين فكرة عمن كانت تقصده".

هزت السيدة وينفليت رأسها فى تردد.

"إذن أخبرينى".

ولكن السيدة هزت رأسها بقوة.

"فى الواقع لا. أنت تطلب منى القيام بشىء غير لائق تمامًا! أنت تطلب منى أن أخمن من هو الشخص الذى ربما - وأقول ربما - كان فى خلد صديقة هى الآن ميتة، أنا لا أستطيع توجيه الاتهام إلى أحد بهذه الطريقة!".

"إنه لن يكون اتهامًا - بل مجرد رأى".

ولكن السيدة وينفليت كانت حازمة بشكل غير متوقع.

قالت: "ليس لدى شىء لأقوله. لا شىء بالمرة. إن لافينيا لم تقل لى شيئًا فى الواقع. ربما أعتقد أنها كانت تراودها فكرة - ولكن ربما أكون مخطئة تمامًا. وفى ذلك الحين يمكن أن أضللك وقد يترتب على ذلك عواقب وخيمة. سيكون هذا تصرفًا شريرًا وغير عادل من جانبى أن أذكر اسمًا. وربما أكون مخطئة تمامًا! فى الواقع أنا على الأرجح مخطئة!".

زمت السيدة وينفليت شفتيها بحزم ونظرت إلى لوك بقوة عزم تشوبها الرزانة.

كان لوك يعرف كيف يتقبل الهزيمة حينما يقابلها.

أدرك أن استقامة السيدة وينفليت وشيئًا آخر أكثر غموضًا لم يستطع التعرف عليه كانا يعترضان طريقه.

تقبل الهزيمة بروح رياضية ونهض ليقول وداعًا. كان ينوى أن يعاود الحديث عن هذا الأمر مجددًا، ولكنه لم يدع سلوكه يوضح هذا.

قال: "لابد أن تفعلى ما تعتقدين أنه صحيح. شكرًا للمساعدة التى قدمتها لى".

بدت السيدة وينفليت أقل ثقة بنفسها بعض الشىء أثناء اصطحابها له إلى الباب.

قالت: "أتمنى ألا تعتقد.. "، ثم غيرت صياغة العبارة لتقول: "إن كان هناك شىء يمكننى القيام به لمساعدتك، من فضلك أحطنى علمًا بذلك".

"سوف أفعل. إنك لن تخبرى أحدًا عن حوارنا هذا، أليس كذلك؟".

"بالطبع لا، لن أنطق بكلمة لأحد".

تمنى لوك أن تكون صادقة.

قالت السيدة وينفليت: "أبلغ حبى إلى بريدجيت. إنها فتاة جميلة، أليس كذلك؟ وذكية أيضاً. أتمنى، أتمنى أن تنعم بالسعادة".

وبينما كان لوك يهم بطرح سؤال أضافت:

"أعنى، أمر زواجها من اللورد ويتفيلد. إن فارق السن بينهما كبير".

"نعم، هذا صحيح".

تنهدت السيدة وينفليت.

ثم قالت على نحو غير متوقع: "هل تعلم أننى كنت مخطوبة له فى وقت من الأوقات".

حدق إليها لوك فى عدم تصديق، كانت تومئ برأسها وتبتسم فى حزن.

"منذ وقت طويل؛ كان شابًا واعدًا، وقد ساعدته على تثقيف وتعليم نفسه، وكنت فخورة للغاية بروحه وعزمه على النجاح".

تنهدت مرة أخرى.

"كانت خطوبتنا بمثابة فضيحة لعائلتى بالطبع؛ فالفروق الطبقية فى ذلك الوقت كانت قوية للغاية"، ثم أضافت بعد دقيقة أو اثنتين: "كنت دومًا أتتبع عمله باهتمام بالغ، وأعتقد أن عائلتى كانت مخطئة".

بعد ذلك قالت له وداعًا بإيماءة وهى تبتسم، وعادت إلى داخل المنزل.

حاول لوك جمع أفكاره. كان يعتقد أن السيدة وينفليت هى سيدة "عجوز"، ولكنه أدرك الآن أنها مازالت تحت الستين. لابد أن يكون السيد ويتفيلد قد تجاوز الخمسين. ربما تكون هى أكبر منه بعام أو اثنين.

وهو سوف يتزوج من بريدجيت. بريدجيت التى لاتزال فى الثامنة والعشرين والتى كانت شابة ومفعمة بالحياة.

قال لوك: "يا إلهى! من فضلك لا تعاود التفكير فى هذا الأمر، لا تنس مهمتك، ركز فى مهمتك".

الفصل ١٤

تأملات لوك

كانت السيدة تشرش عمة آمى جيبس قطعًا امرأة بغيضة؛ فأنفها الحاد وعيناها المخادعتان ولسانها السليط هى أشياء بثت جميعًا فى لوك شعورًا بالغثيان.

لذا فقد تعامل معها بطريقة جافة وجدها ناجحة على نحو غير متوقع.

قال لها: "ما سوف تقومين به هو الإجابة عن أسئلتى بأقصى استطاعتك. وإن قمت بإخفاء شىء أو تلاعبت بالحقيقة، فإن العواقب قد تكون وخيمة بالنسبة لك".

"حاضر يا سيدى، أفهم هذا. أنا على استعداد لأن أخبرك بأى شىء؛ فأنا لم يسبق لى أن راوغت البوليس".

قال لوك: "وأنت لا تريدين هذا. حسنًا، إن فعلت ما أخبرتك به فلن تتعرضى لأذى. أود أن أعرف كل شىء عن ابنة أخيك الراحلة. من كانوا أصدقاءها؟ كم من المال كانت تملك؟ أى شىء قالته وكان غريبًا بعض الشىء. سنبدأ بأصدقائها. من هم؟".

نظرت إليه السيدة تشرش بمكر من ركن عينها البغيضة.

"هل تقصد من الرجال يا سيدى؟".

"هل كانت لها أية صديقات؟".

"حسنًا، قليلات للغاية. بالطبع كانت هناك الفتيات اللاتى تعمل معهن، ولكن آمى لم تعتد توطيد علاقتها بهن. فأنت تعلم ــ".

"كانت تفضل الجنس الخشن. استمرى. أخبرينى عن هذا".

"فى الواقع كان صديقها هو جيم هارفى الذى يعمل فى ورشة الإصلاح يا سيدى، وهو شاب لطيف ومستقيم، وقد قلت لها الكثير من المرات: "لن تجد أفضل منه"".

قاطعها لوك:

"وماذا عن الآخرين؟".

نظرت إليه مرة أخرى بمكر.

"أعتقد أنك تقصد بهذا الرجل صاحب المحل المثير للفضول؟ أنا لم أحببه، أقول لك هذا مباشرة يا سيدى! طالما كنت سيدة محترمة وأمقت الحماقات! ولكن لا جدوى من الحديث مع فتيات هذه الأيام. إنهن يسلكن طريقهن الخاص. وهن عادة ما يندمن بعد ذلك".

سأل لوك بفظاظة: "وهل ندمت آمى بعد ذلك؟".

"لا يا سيدى. لا أعتقد هذا".

"لقد ذهبت لاستشارة دكتور توماس فى يوم وفاتها. ألم يكن هذا هو السبب؟".

"لا يا سيدى، أنا واثقة من أنه لم يكن هو. أقسم لك على هذا. كانت آمى مريضة ومعتلة المزاج، ولكنها كانت فقط مصابة بسعال سيئ ونزلة برد. لم يكن الأمر ما تعتقده. أنا واثقة من هذا يا سيدى".

"سوف أصدق ما تقولينه. إلى أى مدى تطورت العلاقة بينها وبين إيلسورثى؟".

نظرت إليه السيدة تشرش شزرًا.

"لا أعرف يا سيدى؛ فآمى لم تكن لتبوح لى".

قال لوك بفظاظة:

"ولكنهما تماديا فى علاقتهما؟".

قالت السيدة تشرش برقة:

"هذا الرجل ذو سمعة سيئة للغاية هنا يا سيدى، وله الكثير من الأعمال الشائنة، وله أصدقاء يأتون من المدينة وهم ذوو تصرفات غريبة. هناك فى مرج الساحرات فى منتصف الليل".

"وهل كانت آمى تذهب معهم".

"ذهبت مرة واحدة على ما أعتقد يا سيدى. ظلت هناك طوال الليل ولكن سيدها علم بالأمر (كانت تعمل بالمانور فى ذلك الحين) وتحدث إليها بحدة، فردت عليه بوقاحة بدورها مما جعله يطردها وهو أمر كان متوقعًا بالطبع".

"هل تحدثت إليك بشأن ما كان يجرى فى الأماكن التى ذهبت إليها؟".

هزت السيدة تشرش رأسها.

"لا يا سيدى؛ لقد كانت لها حياتها الخاصة التى لا تشرك بها أحدًا".

"كانت تعمل لدى الرائد هورتون وزوجته لفترة، أليس كذلك؟".

"بلى يا سيدى، طوال عام تقريبًا".

"لماذا تركتهما؟".

"لأنها عثرت على وظيفة أفضل؛ فكان هناك مكان شاغر فى المانور، وبالطبع الأجور أفضل هناك".

أومأ لوك متفهمًا.

سأل: "كانت تعمل لدى آل هورتون عند وفاة السيدة هورتون؟".

"نعم يا سيدى".

"كانت تتذمر كثيرًا فى هذه الفترة . لوجود اثنين من الممرضات فى المنزل، وكل هذا العمل الإضافى الذى تطلبه منها الممرضات وعمل الصوانى وما إلى ذلك".

"إنها لم تعمل لدى السيد آبوت المحامى مطلقًا؟".

"بلى يا سيدى. إن السيد آبوت لديه رجل وزوجته يقومان بخدمته، ولقد ذهبت آمى مرة إلى مكتبه ولكننى لا أعرف السبب".

خزن لوك هذه المعلومة فى ذهنه لاحتمال أهميتها. وبما أن السيدة تشرش لم تكن تعرف المزيد عن هذا الأمر، فلم يواصل لوك التحقيق بشأنه.

"هل كان لها أى أصدقاء آخرين من الرجال فى البلدة".

"لا أحد مهم".

"بربك يا سيدة تشرش. أنا أريد الحقيقة، تذكرى هذا".

"لم يكن رجلاً نبيلاً يا سيدى، بل أبعد ما يكون عن هذا. كانت تحط من قدر نفسها، هذا هو ما أخبرتها به".

"هلا تحدثت بشكل أكثر وضوحًا يا سيدة تشرش؟".

"هل سمعت عن ملهى سفن ستارز يا سيدى؟ ليس مكانًا محترمًا، وصاحبه هارى كارتر، هذا الرجل الحقير الذى كان ثملاً معظم الوقت".

"كانت آمى صديقته؟".

"ذهبت فى تمشية بصحبته مرة أو مرتين، ولا أعتقد أن علاقتهما تعدت هذا. لا أعتقد هذا يا سيدى".

أومأ لوك بتمعن وغير الموضوع.

"هل تعرفين فتى صغيرًا يدعى تومى بيرس؟".

"ماذا؟ ابن السيدة بيرس؟ بالطبع كنت أعرفه، لقد كان صبيًا مؤذيًا".

"هل كان يرى آمى كثيرًا".

"لا يا سيدى، كانت آمى تدق رأسه على الفور إن حاول القيام بأى من ألاعيبه معها".

"هل كانت سعيدة فى عملها لدى السيدة وينفليت".

"كانت تجد العمل هناك مملاً بعض الشىء يا سيدى، ولم يكن الأجر مرتفعًا. ولكن بالطبع بعد طردها من منزل آش مانور لم يكن من السهل العثور على عمل آخر جيد".

"كان بإمكانها الرحيل على ما أعتقد؟".

"أتعنى إلى لندن؟".

"أو أى جزء آخر من البلاد؟".

هزت السيدة تشرش رأسها وقالت ببطء:

"لم ترغب آمى فى ترك ويتشوود . ليس فى ظل ما كان يحدث".

"ماذا تعنين بعبارة ما كان يحدث؟".

"أعنى فى ظل علاقتها بجيم والرجل فى متجر التحف".

أومأ لوك بتمعن. واصلت السيدة تشرش كلامها:

"إن السيدة وينفليت هى سيدة لطيفة حقًا، ولكنها كانت شديدة الحرص فيما يخص تنظيف النحاس والفضة ونفض الغبار من فوق كل شىء وقلب المراتب، ولم يكن باستطاعة آمى التعامل مع التفاصيل الصغيرة باهتمام أكثر مما ينبغى، إن لم تستطع إمتاع نفسها بطرق أخرى".

قال لوك بجفاف: "يمكننى تخيل هذا".

أدار لوك الأمور فى رأسه، ولم يجد أسئلة أخرى لطرحها. كان واثقًا أنه استخلص من السيدة تشرش كل ما تعرفه، ولكنه قرر شن هجمة تجريبية أخيرة.

"أعتقد أنك تعرفين السبب وراء طرحى كل هذه الأسئلة. إن ملابسات موت آمى كانت غامضة بعض الشىء. نحن غير مقتنعين أنه كان حادثًا. وإن لم يكن موتها حادثًا، فأنت تعلمين ما كان إذن".

قالت السيدة تشرش بمتعة جامحة:

"جريمة قتل!".

"هذا صحيح. الآن إذا افترضنا أن ابنة أخيك قد قتلت، فمن فى اعتقادك ربما يكون قد قتلها؟".

مسحت يديها فى مئزرها.

سألت بجدية: "هل هناك احتمال أن تكون هناك مكافأة لمن يرشد البوليس؟".

قال لوك: "هذا محتمل".

مررت السيدة تشرش لسانًا نهمًا على شفتيها الرفيعتين.

"أنا لا أعرف شيئًا قاطعًا. ولكن الرجل فى محل التحف هو رجل غريب حقًا. هل تذكر قضية كاستور يا سيدى . وكيف أنهم عثروا على أجزاء من الفتاة المسكينة فى كل مكان من منزل كاستور القديم المكون من طابق واحد والذى يقع إلى جوار البحر، وكيف أنهم وجدوا خمس أو ست فتيات أخريات قام بخدمتهن مقتولات بنفس الطريقة. ربما كان هذا السيد إيلسورثى أحد هؤلاء المتوهمين؟".

"هذا هو رأيك، أليس كذلك؟".

"حسنًا، ربما يكون كذلك، أليس هذا صحيحًا؟".

اعترف لوك بأن هذا ربما يكون صحيحًا، ثم أضاف:

"هل كان السيد إيلسورثى متغيبًا عن البلدة يوم سباق الديربى. هذا أمر غاية فى الأهمية".

حدقت إليه السيدة تشرش.

"سباق الديربى؟".

"نعم - كان هذا منذ أسبوعين، يوم الأربعاء".

هزت رأسها.

"أنا حقًا لا أعرف. إنه عادة ما يكون متغيبًا فى يوم الأربعاء . فهو يذهب إلى البلدة كثيرًا؛ فهو يغلق مبكرًا فى يوم الأربعاء كما تعلم".

قال لوك: "يغلق مبكرًا".

ترك لوك السيدة تشرش بعد أن تجاهل تلميحاتها بأن وقتها ثمين وأن من حقها بالتالى تقاضى تعويض مالى. وجد نفسه كارهًا للغاية للسيدة تشرش، وبالرغم من ذلك فإن الحوار الذى أجراه معها . رغم أنه لم يكن تنويريًا للغاية . فقد أمده ببعض النقاط الصغيرة الموحية.

أدار المعلومات فى رأسه بحرص.

أجل، مازال الأمر منحصراً بين أربعة أشخاص: توماس، وآبوت، وهورتون، وإيلسورثى. وقد بدا أن سلوك السيدة وينفليت يؤكد هذا.

غضبها واعتراضها على ذكر اسم. بالطبع هذا يعنى . لابد أنه يعنى . أن الشخص موقع الاشتباه ذو مكانة مرموقة فى ويتشوود، شخص قد يؤدى مجرد التلميح باسمه إلى عواقب غير محمودة، وما يؤكد ذلك أيضًا عزم السيدة بنكرتون على نقل شكوكها إلى سكوتلاند يارد؛ فالبوليس المحلى ما كان ليصدق نظريتها.

فهى لم تكن تهمة موجهة إلى الجزار أو الخباز أو صانع الشمعدانات. ولم تكن تهمة موجهة لميكانيكى بسيط؛ فتوجيه تهمة القتل للشخص موقع الشك هو أمر خيالى، علاوة على ذلك فإنه خطير.

كان هناك أربعة مرشحين محتملين. عليه توخى الحذر عند التحقيق بشأن كل واحد فيهم وإعمال عقله.

عليه أولاً دراسة تردد السيدة وينفليت. إنها امرأة حية الضمير ومتشككة. إنها تؤمن بأنها تعرف الشخص الذى كانت تشك به السيدة بنكرتون، ولكنها قالت إنها تظن ذلك لا أكثر. هناك احتمال أن تكون مخطئة.

من كان الشخص الذى تنصب شكوك السيدة بنكرتون عليه؟

إن السيدة وينفليت تخشى أن يؤذى أى تخمين تقوم به شخصًا بريئًا؛ لذا فإن الرجل الذى تشك به لابد أن يكون ذا مكانة مرموقة، ويحوز على احترام وحب المجتمع.

إذن هذا يستثنى تلقائيًا إيلسورثى؛ فهو من الناحية العملية شخص غريب فى ويتشوود يتمتع بسمعة سيئة. لم يصدق لوك هذا، إن كان إيلسورثى هو الشخص الذى يوجد فى ذهن السيدة وينفليت، فما كانت لتجد أى غضاضة فى ذكر اسمه. لذا، ففيما يتعلق بالسيدة وينفليت، فإن إيلسورثى يكون مستبعدًا.

والآن بالنسبة للآخرين، آمن لوك أن بإمكانه أن يستبعد كذلك الرائد هورتون. لقد دحضت السيدة وينفليت احتمال أن يكون هورتون قد سم زوجته؛ فإن كانت تشك فى ارتكابه لأية جريمة حدثت مؤخرًا ما كانت لتصبح واثقة إلى هذه الدرجة من براءته من موت زوجته.

هذا يترك لنا دكتور توماس والسيد آبوت؛ إذ كل منهما كان يتوافر به المواصفات الموضوعة، فهما رجلان صاحبا مراكز مرموقة ولم يسبق لأحد أن اتهمهما بفعل أى شىء مخز أو مشين؛ فهما بوجه عام يحظيان بشعبية ومحبوبان ومعروفان بأنهما نزيهان ومستقيمان.

انتقل لوك إلى نقطة أخرى. هل فى إمكانه هو - أن يستبعد إيلسورثى وهورتون؟ هز رأسه على الفور. إن الأمر ليس بهذه البساطة. إن السيدة بنكرتون كانت تعرف - تعرف حقًا - من كان هذا الرجل. والإثبات الأول لذلك هو موتها والإثبات الثانى هو موت دكتور هامبلباى. ولكن السيدة بنكرتون لم يسبق لها أن ذكرت اسمًا لهورونيا وينفليت. ولهذا، فبالرغم من أن السيدة وينفليت تظن أنها تعلم من كان فى ذهن السيدة بنكرتون، إلا أنها قد تكون مخطئة. فنحن كثيرًا ما نعرف ما يفكر به الآخرون - ولكن فى بعض الأحيان نكتشف أننا لم نكن نعرف - وأننا ارتكبنا فى الواقع خطأ جسيمًا!

ولهذا سوف نبقى المتهمين الأربعة فى مكانهم. إن السيدة بنكرتون ماتت وليس فى وسعها إسداؤنا مزيدًا من المساعدة. كان على لوك الآن القيام بما قام به آنفًا، فى اليوم التالى لوصوله إلى ويتشوود، دراسة الأدلة وتمحيص الاحتمالات.

بدأ بإيلسورثى. ظاهريًا، إيلسورثى هو المشتبه به الأول؛ فهو غريب الأطوار ومنحرف. ربما يكون قاتلاً نهمًا.

قال لوك لنفسه: "دعنا نمض فى هذا السبيل. ندين كل شخص بدوره. إيلسورثى على سبيل المثال. دعنا نفترض أنه

قاتل! فى الوقت الراهن سوف أتظاهر بأننى واثق من أنه القاتل. الآن سوف ندرس ضحاياه بترتيب تسلسلى. أولاً، السيدة هورتون. من الصعب إيجاد دافع يجعل إيلسورثى يقتل السيدة هورتون. ولكن كانت هناك وسيلة. حدثنى هورتون عن دواء ما أخذته منه زوجته وتعاطته. يمكن أن يكون هذا الدواء هو مجرد زرنيخ. لكن السؤال هو لماذا؟

وبالنسبة للآخرين. آمى جيبس. لماذا قتل إيلسورثى آمى جيبس؟ السبب الواضح - أصبحت مصدر إزعاج! هددت بفعل شىء رغم قطعها وعدًا فى البداية بحفظ سر ربما؟ أو أنها ساعدت فى عربدة منتصف الليل؟ هل هددت بأن تتحدث؟ إن اللورد ويتفيلد يتمتع بنفوذ كبير فى ويتشوود، واللورد ويتفيلد - وفقًا لبريدجيت - هو رجل شديد التمسك بالأخلاق؛ فربما كان لينقلب ضد إيلسورثى إن علم أن الأخير ينوى القيام بشىء فاحش. وهكذا تم التخلص من آمى. والطريقة المستخدمة فى قتلها لم تكن سادية؛ فالطريقة المستخدمة فى القتل تثبت ذلك.

من التالى - كارتر؟ لماذا كارتر؟ من غير المحتمل أنه يعرف بأمر عربدة منتصف الليل (أم أن آمى أخبرته؟). هل الابنة الجميلة متورطة بالأمر؟ هل كان إيلسورثى على علاقة بها؟ (لابد أن ألقى نظرة على لوسى كارتر). ربما كان فقط يسىء معاملة إيلسورثى، وإيلسورثى الماكر استاء لهذا، فإن كان قد ارتكب جريمة أو جريمتى قتل، فقد يصبح قاسى الفؤاد ويرتكب جرائم أخرى لسبب تافه للغاية.

الآن تومى بيرس. لماذا قتل إيلسورثى تومى بيرس؟ هذا سهل. إن تومى قدم المساعدة فى طقس ليلى من نوع ما. هدد تومى بالتحدث عن هذا الأمر، وربما كان تومى يتحدث عن هذا الأمر. فعل هذا ليخرس تومى.

دكتور هامبلباى. لماذا قتل إيلسورثى دكتور هامبلباى؟ هذا السؤال هو أسهل الأسئلة جميعًا! كان هامبلباى طبيبًا ولاحظ أن إيلسورثى ليس شخصًا متزنًا. وربما كان على وشك فعل شىء إزاء هذا. لذا تم الحكم على هامبلباى بالإعدام. لكن طريقة القتل تمثل مشكلة. كيف رتب إيلسورثى مسألة موت هامبلباى بمرض تسمم الدم؟ أم أن هامبلباى مات لسبب آخر؟ هل الإصبع المسمم هو مجرد مصادفة؟

أخيرًا، السيدة بنكرتون. يوم الأربعاء هو يوم الإغلاق المبكر وربما يكون إيلسورثى قد سافر إلى المدينة فى هذا اليوم. هل لديه سيارة؟ لم يسبق لى أن رأيته داخل واحدة، ولكن ليس هذا إثباتًا لأى شىء. كان يعلم أنها تشك به ولم يكن ينوى المخاطرة وانتظار عدم تصديق سكوتلاند يارد لقصتها. ربما كانوا يعرفون شيئًا عنه بالفعل؟

هذه هى القضية ضد إيلسورثى! الآن ما الدليل الذى يثبت براءته؟ حسنًا، أولاً إنه حتمًا ليس الرجل الذى تظن السيدة وينفليت أن السيدة بنكرتون كانت تقصده. ثانيًا، إنه لا يتماثل مع الانطباع الغامض الذى كونته؛ فحينما كانت تتحدث تكونت فى خيالى صورة رجل. والذى لم يكن يشبه فى شىء إيلسورثى، إن الانطباع الذى وَلَّدَتْهُ لدىَّ كان لرجل عادى للغاية. ظاهريًا

بالطبع. رجل لن يشك به أحد. وإيلسورثى هو من الرجال الذين تشك بهم على الفور. لا، إن الانطباع الذى تشكل لدى كان لرجل أشبه بدكتور توماس.

الآن توماس. ماذا عن توماس؟ لقد مسحته من قائمة المشتبه بهم بعد أن تحدثت إليه قليلاً. شاب لطيف ومتواضع. ولكن ما توصلت إليه حتى الآن عن هذا القاتل. إلا إذا كنت مخطئًا. يؤكد أنه رجل لطيف ومتواضع؛ فهو آخر شخص يمكن أن تعتقد أنه قاتل! وهى المواصفات التى تنسحب بالطبع على دكتور توماس.

الآن، دعنا نعد الكَرَّة ثانية. لماذا قتل دكتور توماس آمى جيبس؟ فى الواقع، يبدو ذلك احتمالاً بعيدًا! ولكنها ذهبت لرؤيته فى هذا اليوم، وهو الذى أعطاها شراب السعال. ماذا لو كان هذا حامض الأكساليك. كان هذا ليصبح بسيطًا للغاية وذكيًا! أتساءل من الذى تم استدعاؤه حينما وجدت مسمومة. هامبلباى أم توماس؟ لو كان توماس فربما يكون قد أتى وفى جيبه زجاجة طلاء قبعات قديمة، والتى وضعها دون أن يراه أحد على الطاولة. وأخذ بعد ذلك الزجاجتين ليعمل على تحليلهما! شىء من هذا القبيل. يمكنك القيام بذلك إن كنت ذكيًا بما فيه الكفاية!

تومى بيرس؟ مرة أخرى لا أجد دافعًا محتملاً. تلك هى الصعوبة التى أجدها مع دكتور توماس. الدافع. ليس هناك حتى دافع جنونى! ونفس الشىء بالنسبة لكارتر. لماذا قد يرغب دكتور توماس فى التخلص من كارتر؟ يمكن للمرء فقط

أن يفترض أن آمى وتومى وصاحب الملهى علموا جميعًا شيئًا ما عن دكتور توماس ما كان يجب لأحد معرفته. آه! لنفترض أن هذا الشىء متعلق بموت السيدة هورتون. دكتور توماس كان هو طبيبها المعالج. وقد ماتت إثر الإصابة بسبب انتكاسة مفاجئة. يمكنه تدبير ذلك بسهولة وتذكر أن آمى جيبس كانت بالمنزل فى ذلك الحين. ربما تكون قد سمعت أو رأت شيئاً. وهذا دافع كاف لقتلها. ونحن نعلم جيدًا أن تومى بيرس كان صبيًا فضوليًا للغاية. ربما فطن إلى شىء ما. لا أستطيع إدخال كارتر فى الصورة. أخبرته آمى جيبس شيئًا ما والذى ربما يكون قد ردده أثناء سكره، وربما يكون توماس قد قرر إسكاته. كل هذا بالطبع هو مجرد حدس. ماذا غير ذلك فى إمكانى فعله؟

الآن هامبلباى. آه! أخيرًا جئنا إلى جريمة ذات دافع قوى ومنطقى؛ فالدافع كاف والوسيلة مثالية! فإن لم يكن دكتور توماس هو من تسبب فى تسمم دم شريكه فليس فى إمكان أحد غيره القيام بذلك! يمكنه إعادة تلويث الجرح فى كل مرة يغير فيها الضمادة! أتمنى لو كانت جرائم القتل السابقة ذات دافع أقوى.

السيدة بنكرتون؟ أصعب فى ربط مقتلها به، لكن هناك حقيقة واحدة مؤكدة. لم يكن دكتور توماس متواجدًا فى ويتشوود معظم اليوم. ادعى أنه يتولى أمر ولادة صعبة. ربما يكون هذا صحيحًا، ولكن تبقى الحقيقة أنه غادر ويتشوود فى سيارة.

هل هناك شىء آخر؟ نعم، شىء واحد فقط. النظرة التى رمقنى بها حينما كنت أهم بالرحيل من عيادته فى هذا اليوم. نظرة تعال وتكبر، ابتسامة رجل قادنى بثقة عبر الحديقة وهو يعلم أنه فعل ذلك لتوه".

تنهد لوك وهز رأسه ومضى قدمًا فى تخميناته.

"آبوت؟ إنه من النوعية المناسبة كذلك. طبيعى وثرى ويحظى بالاحترام وما إلى ذلك. وهو مغرور أيضاً وواثق من نفسه، والقتلة عادة ما يكونون كذلك! فهم معتدون بأنفسهم للغاية! ويظنون دومًا أنهم سيفلتون بفعلتهم، وقد زارته آمى جيبس مرة. لماذا؟ لماذا أرادت رؤيته؟ لتحصل منه على نصيحة قانونية؟ لماذا؟ أم أنه كان أمرًا شخصيًا؟ حكت لى السيدة بيرس عن رسالة من سيدة رآها ابنها تومى. هل كانت هذه الرسالة من آمى جيبس؟ أم أنها رسالة من السيدة هورتون. رسالة ربما وقعت فى يد آمى جيبس؟ من غيرهما من الممكن أن تكتب رسالة لآبوت عن أمر شديد الخصوصية لدرجة تجعله يفقد أعصابه حينما يطلع عليه الصبى عن غير عمد؟ ما الشىء الذى يمكن أن يربطه بآمى جيبس أيضًا؟ طلاء القبعات؟ نعم، إنه رجل عتيق الطراز حقًا. فرجال مثل آبوت عادة ما يكونون رجعيين فيما يتعلق بالأشياء الخاصة بالنساء. الطراز القديم من المغازلين! تومى بيرس؟ العلاقة واضحة. مسألة الخطاب (لابد أنه كان خطابًا غاية فى الحساسية!). كارتر؟ حسنًا، نشب بينهما شجار حول ابنة كارتر؛ فآبوت لن يتقبل أن يحط أحد من شأنه. وهذا الحقير متدنى الذكاء كارتر واتته الجرأة

على تهديده! هو الذى نجا من جريمتى قتل بارعتين! قرر إذن التخلص من كارتر! ليلة مظلمة ودفعة جيدة. فى الواقع، مثل هذا النوع من القتل سهل للغاية.

هل فهمت بذلك عقلية آبوت؟ أعتقد هذا. نظرة كريهة لسيدة عجوز. فكانت تراودها الشكوك بشأنه... بعد ذلك مشاجرة مع هامبلباى؛ فهامبلباى واتته الجرأة على تحدى آبوت؛ ذلك المحامى الداهية والقاتل، هذا الأحمق العجوز لا يعرف ما ينتظره! سوف ينال جزاءه! فقد تجرأ على الصياح!

وبعد ذلك ماذا؟ تتلاقى عيناه مع عينى لافينيا بنكرتون، فترى فيهما ما يثير ريبتها. هو الذى كان يتفاخر بأنه ليس موضع شك أثار ريبة أحدهم. إن السيدة بنكرتون تعلم سره... إنها تعلم ما اقترفه.. نعم، ولكن لا يمكن أن يكون بحوزتها دليل. ولكن ماذا لو أنها خرجت بحثًا عن واحد.. ماذا لو أنها تحدثت... ماذا لو... إنه أفضل من يستطيع الحكم على الشخصيات. يمكنه أن يخمن ما ستقوم بفعله فى النهاية. فإن ذهبت بقصتها هذه إلى سكوتلاند يارد فإنهم ربما يصدقونها . ربما يبدأون فى طرح تساؤلات. لابد من القيام بشىء عنيف لردعها. هل لدى آبوت سيارة أم أنه استأجر واحدة فى لندن؟ على أية حال، لقد كان متغيبًا عن ويتشوود يوم سباق الديربى...".

توقف لوك. لقد تغلغل فى روح الجريمة حتى إنه لاقى صعوبة فى التنقل بين مشتبه وآخر. عليه أن ينتظر دقيقة قبل أن يرغم نفسه على تخيل الرائد هورتون كقاتل ناجح.

"هورتون قتل زوجته. دعنا نبدأ بذلك. كان لديه دافع جيد؛ حيث إنه جنى الكثير من وراء موتها. وكى ينفذ خطته بنجاح كان عليه أن يتظاهر بالتفانى لها. عليه الحرص على الظهور بهذا المظهر. وهل يمكننا التساؤل أنه بالغ فى التظاهر بذلك فى بعض الأحيان؟

جيد جدًا. استطاع تنفيذ جريمة قتل بنجاح. من التالى؟ آمى جيبس. نعم هذا ممكن. آمى كانت تعمل فى المنزل فى ذلك الحين. ربما رأت شيئًا ما. الرائد يقدم لزوجته مرق لحم البقر أو عصيدة؟ وربما لم تفهم معنى ما رأته حتى وقت لاحق. وحيلة طلاء القبعات هى الفكرة التى ستطرأ للرائد هورتون بسهولة؛ فهو رجل مفتول العضلات ذو معرفة محدودة بملابس وحلى النساء.

هكذا تخلص من آمى جيبس.

كارتر الثمل؟ نفس التحليل السابق. آمى أخبرته بشىء. جريمة قتل مباشرة أخرى.

الآن تومى بيرس. علينا التركيز ثانية على طبيعته الفضولية. تخمينى أن الخطاب فى مكتب آبوت لا يمكن أن يكون شكوى من السيدة هورتون بأن زوجها يحاول سمها؟ فهذا سوف يكون اقتراحًا مبالغًا فيه، ولكن هذا ممكن على أية حال. أدرك الرائد أن تومى يشكل تهديدًا! لذا فقد التحق تومى بآمى وكارتر. كل الجرائم تمت ببساطة وبشكل مباشر. قتل سهل؟ يا إلهى! نعم.



لكن الآن نصل إلى جريمة أكثر صعوبة. هامبلباى! الدافع شديد الغموض! كان هامبلباى هو الطبيب المعالج للسيدة هورتون منذ البداية. هل أصابه مرضها بالحيرة وهل هورتون ضغط على زوجته لتغيير الطبيب واللجوء إلى الأصغر فيهما، والذى يتسم بأنه أقل تشككًا؟ ولكن إن كان ذلك هو الحال، كيف أصبح هامبلباى يشكل خطرًا بعد ذلك بعد كل هذه الفترة؟ هذا محير... طريقة موته كذلك. إصبع أصيب بالتسمم. كيف يمكن أن يكون للرائد علاقة بهذا؟

ماذا عن السيدة بنكرتون؟ هذا محتمل. إن لديه سيارة. لقد رأيتها. وهو كان متغيبًا عن ويتشوود فى هذا اليوم بحجة ذهابه إلى سباق الديربى. وهذا محتمل. نعم. هل هورتون قاتل ذو دم بارد؟ هل هذا صحيح؟ هل هذا صحيح؟ أتمنى لو كنت أعرف...".

حدق لوك أمامه. تجعد حاجباه من فرط التفكير.

"إنه واحد منهم.. لا أعتقد أنه إيلسورثى. ولكن من المحتمل أن يكون هو! إنه أكثرهم وضوحًا! توماس بعيد الاحتمال. فيما عدا طريقة موت هامبلباى؛ فتسمم الدم يشير بدون شك إلى قاتل طبيب! يمكن أن يكون آبوت. ليس هناك دليل يدينه أكثر من الآخرين. ولكنى أميل إلى ترجيحه... نعم. فهو يملأ فراغات لا يملؤها الآخرون. ويمكن أن يكون هورتون! ظلت زوجته تسيء معاملته لسنوات، شعر بالدونية، نعم، يمكن أن يكون هو! ولكن السيدة وينفليت لا تعتقد أنه هو وهى ليست حمقاء. وهى تعرف البلدة جيداً وتعرف سكانها ...

من الذى تشك به؟ آبوت أم توماس؟ لابد أنه أحدهما... إن سألتها مباشرة. "أيهما الذى تعتقدين أنه الفاعل؟" ـ ربما أحصل منها على إجابة.

ولكن حتى فى ذلك الحين قد تكون مخطئة، وليست هناك وسيلة لإثبات صحة اعتقادها. مثل تلك التى توصلت إليها السيدة بنكرتون. المزيد من الأدلة. هذا هو ما أريده. إن حدثت جريمة أخرى. فقط جريمة أخرى. حينها سوف أعرف ـ".

أسكت نفسه فى فزع.

قال وهو يلهث: "يا إلهى! إن ما أريده هو جريمة قتل أخرى...".

الفصل ١٥

سلوك غير لائق يصدر من السائق

فى ملهى سفن ستارز احتسى لوك شرابه وشعر بالإحراج نوعًا ما، فكانت أعين عشرة من الريفيين تتبع أقل تحركاته، علاوة على ذلك، فقد قطع دخوله جميع حوارات الموجودين. ردد لوك بعض التعليقات على موضوعات عامة مثل المحاصيل وحالة الجو وتذاكر مباريات كرة القدم، ولكنه لم يحصل على أية إجابة على أى تعليق ردده.

لم يتبق له سوى التودد للنساء؛ فكانت هناك تلك الفتاة حسنة الطلعة ذات الشعر الأسود والوجنتين الحمراوين، التى تقف وراء طاولة المشروبات، وقد فطن لوك على الفور أنها الآنسة لوسى كارتر.

أثمرت جهوده ثمارها؛ فالآنسة كارتر قهقهت وقالت: "آتى معك! أنا واثقة بأنك لا تفكر فى شيء من هذا القبيل! هذا أكيد" . وغيرها من الردود. ولكن ردودها كانت مفتعلة وميكانيكية بشكل واضح.

بعد أن شعر لوك أنه لا جدوى من بقائه أنهى شرابه وغادر. سار عبر الطريق حتى المكان الذى يعبر به النهر جسر مشاة. كان يقف فى هذا المكان يتأمل، حينما قال صوت مرتعد من خلفه:

"هذا هو المكان الذى سقط فيه هارى العجوز يا سيدى".

استدار لوك ليرى أحد الرجال الذى كان موجودًا معه بالملهى منذ قليل والذى لم يبادله الحوار فى أى من الموضوعات الثلاثة التى طرحها: المحاصيل والطقس والتذاكر. وهو قد بدا الآن مستمتعًا بتعيين نفسه مرشدًا للموت الذى وقع هنا.

قال العامل العجوز: "لقد وقع فى الطين، وانغرس رأسه به".

قال لوك: "نعم، من الغريب أن يسقط هنا".

قال الريفى بتسامح: "لقد كان ثملاً".

"نعم، ولكن لابد أنه سار فى هذا الطريق وهو ثمل كثيرًا من قبل".

قال الرجل الآخر: "كل ليلة تقريبًا؛ حيث كان هارى ثملاً معظم الوقت".

قال لوك جاعلاً الفكرة تبدو عرضية: "ربما دفعه أحدهم".

وافقه الريفى: "ربما"، ثم أضاف قائلاً: "ولكننى لا أعرف أحدًا قد يود القيام بذلك".

"ربما كان له أعداء؛ فهو يصبح سليط اللسان حينما يكون ثملاً، أليس كذلك؟".

"بلى؛ فقد كان يستخدم أكثر الألفاظ بذاءة فى ذلك الحين! فهو لم يكن ينتبه لكلماته، ولكن ما من أحد سوف يقوم بدفع رجل ثمل".

لم يحتجَّ لوك على عبارته؛ فمن الواضح أن هؤلاء الأشخاص يعتبرون استغلال حالة السكر لدى أحدهم موقفًا ينم عن الجبن وعدم الشجاعة، فقد بدا الريفى مصدومًا للغاية من مجرد الفكرة.

قال فى غموض: "حسنًا، كان أمرًا محزنًا".

قال العجوز: "ليس محزنًا للغاية بالنسبة لزوجته؛ فأظن أنها ولوسى ليس لديهما من الأسباب ما يجعلهما تحزنان لفراقه".

"ربما كان هناك آخرون سعدوا لوفاته".

كان الرجل العجوز غامضًا بهذا الشأن.

قال: "ربما، ولكن هارى لم يتعمد إيذاء أحد مطلقًا".

بهذه العبارة الأخيرة التى أحيت ذكرى الراحل كارتر افترقا.

توجه لوك إلى منزل الأولد هول. كانت المكتبة تحتل الغرفتين الأماميتين، دخل لوك الجزء الخلفى للمنزل عبر باب مكتوب عليه كلمة "المتحف". هناك انتقل من طاولة إلى طاولة يتفحص المعروضات غير المثيرة إلى حد ما، بعض الآنية الرومانية، بعض تحف بحر الجنوب الغريبة؛ العديد من التحف الهندية التى أهداها للمكان الرائد هورتون، بالإضافة إلى تمثال ضخم ذى نظرة حاقدة لبوذا، ومعروضات لحلى مصرية تبدو غير أصلية.

تجول لوك ثانية فى الصالة. لم يكن هناك أحد بالمكان. صعد فى هدوء إلى الطابق الأعلى. كانت هناك غرفة مليئة بالمجلات والصحف، وغرفة مليئة بالكتب غير الخيالية.

صعد لوك طابقًا آخر. فى هذا الطابق كانت هناك غرف صنفها على أنها غرف للقمامة؛ فكانت مليئة بطيور محشوة أخرجت من المتحف بسبب مهاجمة العثة لها، وأكوام من المجلات المهترئة، وغرفة كانت أرففها محملة بطبعات قديمة من الروايات وكتب الأطفال.

اقترب لوك من النافذة. لابد أن هذا هو المكان الذى كان تومى بيرس يجلس به وهو يصفر على الأرجح وينظف لوحًا زجاجيًا حينما سمع أحدهم يقترب منه.

دخل شخص ما. تظاهر تومى بالحماس. يجلس ونصفه العلوى خارج النافذة ويمسحها بحماسة. وبعد ذلك اقترب هذا الشخص منه وأثناء تبادلهما الحديث دفعه دفعة فجائية قوية.

استدار لوك. نزل الدرجات ووقف دقيقة أو اثنتين فى الردهة. لم يلاحظ أحد دخوله. لم يره أحد وهو يصعد الدرجات.

قال: "من الممكن أن يكون أى أحد قد فعلها! أمر غاية فى السهولة".

سمع وقع أقدام آتية من ناحية المكتبة، وبما أنه رجل برىء ليس لديه اعتراض على أن يراه أحد فقد ظل واقفًا مكانه، وإن لم يكن لديه رغبة فى أن يراه أحد يمكنه أن يأخذ خطوة للوراء ليدخل قاعة المتحف!

خرجت السيدة وينفليت من المكتبة وهى تحمل كومة من الكتب أسفل ذراعها. كانت تخلع قفازيها. بدت سعيدة للغاية ومشغولة، وحينما رأته أشرق وجهها وقالت:

"آه، السيد فيتزوليم. هل كنت تشاهد المتحف؟ أخشى أنه ليس هناك الكثير لرؤيته فى الواقع. إن اللورد ويتفيلد وعدنى بأن يجلب لنا بعض المعروضات المثيرة".

"حقًا؟".

"نعم، أشياء حديثة، معاصرة. مثل تلك الأشياء التى توجد بالمتحف العلمى فى لندن، وقد اقترح أن يجلب نموذجًا لطائرة وقاطرة وبعض المواد الكيميائية كذلك".

"هذا من شأنه أن يحسن من وضع المكان".

"نعم، أنا لا أعتقد أن المتحف لابد أن يعرض فقط أشياء من الماضى، أليس كذلك؟".

"ربما تكونين محقة".

"وبعض المعروضات الغذائية كذلك - سعرات غذائية وفيتامينات - وغير ذلك. إن اللورد ويتفيلد متحمس للغاية لحملة اللياقة العظيمة".

"كان يتحدث عن هذا الأمر فى إحدى الليالى".

"إنه مشروعه الحالى، أليس كذلك؟ أخبرنى اللورد ويتفيلد عن زيارته لمؤسسة ويللرمان ومشاهدته للكثير من الجرثومات والاستنباتات والبكتيريا - لقد سرت القشعريرة فى جسدى وهو يحكى لى، كما أنه أخبرنى بالكثير عن الناموس ومرضى النوم وشىء عن مثقبة كبدية أخشى أننى لاقيت صعوبة فى فهمها".

قال لوك بسعادة: "أعتقد أن اللورد ويتفيلد نفسه لاقى هو الآخر صعوبة فى فهمها، وأنا واثق من أنه فهم كل شىء على النحو الخطأ! فأنت أذكى كثيرًا منه يا سيدة وينفليت".

قالت السيدة وينفليت برزانة:

"أنت فى غاية اللطف يا سيد فيتزوليم، ولكننى أخشى أن النساء لا يمتلكن ملكة التفكير العميق التى يمتلكها الرجال".

كبت لوك رغبة فى انتقاد طريقة تفكير اللورد ويتفيلد، وبدلاً من ذلك، قال:

"لقد ألقيت نظرة بالفعل على المتحف، ولكنى بعد ذلك صعدت لرؤية النوافذ العلوية".

"أنت تعنى المكان الذى سقط منه تومى –"، ارتعدت السيدة وينفليت مضيفة: "كان أمرًا مروعًا حقًا".

"نعم، من الصعب مجرد التفكير فيما حدث. لقد أمضيت نحو ساعة مع السيدة تشرش - عمة آمى - وهى ليست سيدة لطيفة!".

"إطلاقًا".

قال لوك: "كان علىَّ أن أكون صارمًا معها. أعتقد أنها تظن أننى شرطى خارق".

سكت حينما لاحظ تغيرًا فى تعبير وجه السيدة وينفليت.

"هل تعتقد أن ذلك تصرف حكيم يا سيد فيتزوليم؟".

قال لوك:

"لا أعلم فى الواقع. أعتقد أن ذلك كان ضروريًا؛ فقصة تأليف الكتاب أصبحت واهية - ولم يعد فى استطاعتى الاعتماد

عليها لاستخلاص معلومات؛ فكان علىَّ طرح أسئلة مباشرة".

هزت السيدة وينفليت رأسها - بينما لا يزال التعبير المضطرب على وجهها.

"فى مكان كهذا، كما رأيت، ينتقل كل شىء بسرعة كبيرة".

"أتعنين أن جميع أهل البلدة سيقولون "ها هو الشرطى" أثناء سيرى فى الشارع؟ لا أعتقد أن هذا مهم الآن. فى الواقع، قد أحصل على مزيد من المعلومات بهذه الطريقة".

"ليس هذا ما أخشاه". بدت السيدة وينفليت مفزوعة. "ما قصدته أن القاتل سوف يعرف. سوف يعرف أنك تتربص له".

قال لوك ببطء:

"أعتقد هذا".

قالت السيدة وينفليت:

"ولكن ألا تعتقد أن هذا شديد الخطورة؟".

"أتعنين –"، فهم لوك مقصدها فى النهاية، " أتعنين أن القاتل قد يقدم على إيذائى".

"نعم".

قال لوك: "هذا غريب. أنا لم أفكر فى هذا من قبل؟ لكننى أعتقد أنك محقة. حسنًا، ربما يكون هذا أفضل شىء يمكن أن يحدث".

قالت السيدة وينفليت بجدية:

"لا أعتقد أنك تدرك أنه رجل. رجل حاذق للغاية. وهو حريص أيضًا! وتذكر أنه يملك قدرًا كبيرًا من الخبرة. ربما أكثر مما نعرف".

قال لوك وهو مستغرق فى التفكير: "نعم. هذا صحيح على الأرجح".

قالت السيدة وينفليت:

"أنا أشعر بالقلق! حقًا أنا خائفة للغاية!".

قال لوك برقة:

"لست بحاجة للقلق. سوف أتوخى الحذر، أؤكد لك هذا. أريد أن أخبرك بأننى ضيقت دائرة الاحتمالات للغاية؛ فأصبحت لدى فكرة عن هوية القاتل...".

نظرت إليه السيدة وينفليت نظرة حادة.

اقترب منها لوك خطوة. خفض صوته ليصبح همسًا:

"سيدة وينفليت، إن سألتك أيًا من هذين الرجلين هو القاتل فى رأيك. دكتور توماس أم السيد آبوت. فبم ستجيبيننى؟".

قالت السيدة وينفليت: "يا إلهى!"، ثم طارت يدها لتستقر فوق صدرها. رجعت خطوة للوراء. ظهر فى عينيها تعبير أربك لوك؛ فقد بدا بداخلها نفاد صبر أو شىء مقارب لم يستطع تحديده.

قالت:

"لا أستطيع أن أقول أى شىء ـ".

استدارت فجأة بعدما صدر منها صوت مثير للفضول. نصف تنهيدة ونصف نشيج.

استسلم لوك.

سأل: "هل أنت ذاهبة للمنزل؟".

"لا، سوف آخذ هذه الكتب إلى السيدة هامبلباى. ومنزلها يقع فى طريق عودتك إلى المانور. يمكننا سير هذا الجزء من الطريق معًا".

قال لوك: "سيكون هذا لطيفًا للغاية".

هبطا الدرجات معًا، واستدارا يسارًا نحو المساحة الخضراء.

نظر لوك خلفه إلى ملامح المنزل الذى تركاه لتوهما.

قال: "لابد أنه كان منزلاً جميلاً فى عهد أبيك".

تنهدت السيدة وينفليت:

"نعم، كنا ننعم بالسعادة جميعًا هناك. أنا ممتنة لأنه لم يتم هدمه؛ فالعديد من المنازل القديمة سيتم هدمها".

"أعلم. أمر محزن للغاية".

"كما أن المنازل الحديثة لا يتم تشييدها على نفس الدرجة من الجودة".

"لا أعتقد أن بإمكانها اجتياز اختبار الزمن بنفس الدرجة من القوة".

قالت السيدة وينفليت: "ولكن بالطبع المنازل الحديثة أكثر مواءمة؛ فهى موفرة للجهد، ولا يوجد بها الكثير من الممرات الطويلة التى تحتاج لتنظيف".

وافقها لوك.

حينما وصلا إلى بوابة منزل هامبلباى، ترددت السيدة وينفليت وقالت:

"إنها ليلة جميلة. إن كنت لا تمانع فأنا سوف أسير معك قليلاً؛ فأنا أستمتع بالجو".

أعرب لها لوك - وهو يشعر بالدهشة - عن سعادته؛ فهى لم تكن ما يمكن وصفه بليلة جميلة بالمرة؛ فكانت تهب ريح قوية تضرب أوراق الأشجار فوق فروعها بقوة؛ فقد ظن أن ثمة عاصفة قد تهب فى أية لحظة.

لكن السيدة وينفليت - وهى تتشبث بقبعتها بإحدى يديها - سارت إلى جانبه فى سعادة وأخذت تتحدث وهى تلهث قليلاً.

كان الطريق الذى سلكاه خالياً من الرواد، بما أن أقصر طريق من منزل دكتور هامبلباى إلى آش مانور لم يكن هو الطريق الرئيسى، وإنما حارة جانبية تقود إلى إحدى البوابات الخلفية للمانور. لم تكن تلك البوابة مصنوعة من الحديد المزخرف كغيرها من البوابات، ولكن كانت مكونة من عمودين لطيفين يعلوهما شجرتا أناناس ضخمتان. لماذا الأناناس؟ لم يعرف الإجابة عن هذا السؤال! ولكنه فطن أن الأناناس يمثل التميز والذوق الرفيع بالنسبة للورد ويتفيلد.

وعند اقترابهما من البوابة سمعا أصواتًا غاضبة صادرة من الداخل. بعد لحظة رأيا اللورد ويتفيلد يواجه شابًا يرتدى ملابس السائقين.

كان اللورد ويتفيلد يصيح: "أنت مطرود. هل تسمعنى؟ أنت مطرود".

"ألا تستطيع أن تغفر لى - فقط هذه المرة".

"لا، لن أغفر لك! بعد أن أخذت سيارتى دون إذنى. سيارتى - لقد ثملت مجددًا - نعم، فعلت، ولا تحاول الإنكار! سبق وأوضحت لك أن ثمة ثلاثة أشياء لا أسمح بها فى أملاكى - السكر والسلوكيات غير الأخلاقية والوقاحة".

وبالرغم من أن الرجل لم يكن ثملاً إلا أنه نال ما يجعل لسانه يفلت ويتغير سلوكه.

"لن أفعل هذا أو ذاك أيها الوغد العجوز! أملاكك! هل تعتقد أننا جميعًا لا نعرف أن أباك كان يبيع الأحذية هنا؟ إن ذلك يجعلنا نضحك من قلوبنا، حقًا، حينما نراك تمشى مختالاً مثل الديك! من أنت؟ أود أن أعرف. أنت لست أفضل منى - هذه هى حقيقتك".

امتقع وجه اللورد ويتفيلد.

"كيف تجرؤ على التحدث إلىّ بهذه الطريقة؟ كيف تجرؤ؟".

أخذ الشاب خطوة تهديدية للأمام.

"إن لم تكن رجلاً ضئيل الحجم منتفخ البطن وجديرًا بالازدراء لكنت لكمتك فى فكك - نعم كنت لأفعل ذلك".

رجع اللورد ويتفيلد بسرعة خطوة للوراء متعثراً فى جذع شجرة وساقطاً فى وضعية الجلوس.

وصل لوك.

قال بحدة للسائق: "اخرج من هنا".

استعاد السائق رشده. بدا خائفاً.

"آسف يا سيدى، لا أعلم ما حل بى".

قال لوك: "هذا من تأثير ما اجترعته".
ساعد اللورد ويتفيلد على الوقوف على قدميه.
تلعثم الرجل قائلاً: "سامحنى. سامحنى يا سيدى".
قال اللورد ويتفيلد: "سوف تندم على هذا يا ريفرز".
كان يتخلل صوته مشاعر قوية وعنيفة.
تردد الرجل لحظة ثم مشى متثاقلاً ببطء.
انفجر اللورد ويتفيلد:
"وقاحة لا تغتفر! ومعى أنا. يتحدث معى بهذه الطريقة. ثمة شيء شديد الخطورة سيحدث لهذا الرجل. لا يحترم أحداً. ولا يعرف وضعه الحقيقى فى الحياة. حينما أفكر فيما أفعله لهؤلاء الناس. أجور عالية. كل وسائل الراحة. معاش حينما يتقاعدون. عدم عرفان بالجميل. إنكار مطلق للجميل".
اختنق من فرط الحماسة، ثم لمح السيدة وينفليت التى كانت تقف صامتة إلى جوار لوك.
"هل هذه أنت يا هورونيا. أنا آسف لأنك رأيت مثل هذا المشهد المخزى. ألفاظ هذا الرجل كانت بذيئة حقاً".
قالت السيدة وينفليت فى تجهم: "أخشى أنه لا يدرى ما يفعله يا لورد ويتفيلد".
"كان ثملاً، هذا ما كان عليه، فى حالة من السكر!".
قال لوك: "شبه غير مدرك لتصرفاته".
"هل تعلمان ما فعله؟". نظر اللورد ويتفيلد متأملاً فيها: "أخذ سيارتى. سيارتى! ظن أننى لن أعود سريعاً. أوصلتنى بريدجيت بالسيارة إلى لاين. وهذا الرجل وصلت به الوقاحة

لأن يأخذ سيارتى ويتسكع بها هو وهذه الفتاة. لوسى كارتر على ما أعتقد. فى سيارتى!".
قالت السيدة وينفليت بجدية:
"إنه تصرف غير لائق تماماً".
بدا أن اللورد ويتفيلد قد هدأ بعض الشيء.
"نعم، أليس كذلك؟".
"ولكننى واثقة من أنه سيندم على فعلته هذه".
"سوف أحرص على ذلك!".
أوضحت له السيدة وينفليت: "ولكنك طردته".
هز اللورد ويتفيلد رأسه.
"ستتخذ حياة هذا الرجل منحى شديد السوء".
أرجع كتفيه إلى الوراء.
"اصعدى معنا إلى المنزل يا هورونيا لاحتساء شراب".
"شكراً لك يا سيد ويتفيلد، ولكن يجب أن أذهب إلى السيدة هامبلباى بهذه الكتب. عمت مساءً يا سيد فيتزوليم. أنت بخير الآن".
أومأت له وهى تبتسم وسارت بسرعة مبتعدة. كان سلوكها مشابهاً لسلوك مربية توصل طفلاً إلى حفلة، لكن لوك حبس أنفاسه حينما خطرت له فكرة مباغتة. هل قامت السيدة وينفليت باصطحابه لحمايته؟ بدت الفكرة مضحكة ولكن..
قاطع صوت اللورد ويتفيلد أفكاره.
"إن هورونيا وينفليت هى سيدة قوية حقاً".
"نعم، أعتقد هذا".



بدأ اللورد ويتفيلد يسير نحو المنزل. سار نحو المنزل واتجهت يده نحو مؤخرته وفركها بقوة.

ضحك فجأة.

"كنت أنا وهورونيا مخطوبين ذات يوم. منذ سنوات. كانت فتاة جميلة فى ذلك الوقت. ليست نحيفة كما هى اليوم. من الغريب أن أتذكر هذا الآن. كانت عائلتها هى الأعلى مكانة فى هذه البلدة".

"حقاً؟".

قال اللورد ويتفيلد متأملاً:

"كان الكولونيل وينفليت العجوز هو من يتزعم المكان. كان الجميع يحترمونه ويبجلونه. كان من المدرسة القديمة ومعتداً بنفسه مثل لوسيفر".

ضحك مرة أخرى.

"كان الرجل البدين قد مات بالفعل حينما أعلنت هورونيا أنها ستتزوجنى! كانت تسمى نفسها راديكالية. جادة للغاية. فعلت كل ذلك لمحو الفروق الطبقية. كانت فتاة جادة".

"إذن فرقت أسرتها بينكما؟".

فرك اللورد ويتفيلد أنفه.

"حسناً. ليس تماماً. فى الواقع تشاجرنا بشأن أمر ما. هذا الطائر الذى كانت تملكه. أحد طيور الكنارى التى ترفرف بجناحيها بقوة كبيرة. طالما بغضته. لقد مات. حسناً، لا جدوى من تذكر هذا الأمر الآن. دعنا ننسَهُ".

هز كتفيه مثل رجل ينفض عنهما ذكرى سيئة.

قال بطريقة حمقاء إلى حد ما:

"لا أعتقد أنها سامحتنى قط. حسناً، ربما يكون هذا طبيعيًا...".

قال لوك: "أعتقد أنها سامحتك بالفعل".

أشرق وجه اللورد ويتفيلد.

"هل تظن هذا؟ أنا سعيد لهذا؛ فكما تعلم أنا أحترم هورونيا للغاية. امرأة قوية وراقية! هذا لايزال مهماً حتى فى هذه الأيام. إنها تدير شئون المكتبة ببراعة".

نظر لأعلى وتغير صوته.

قال: "مرحباً. ها قد أنت بريدجيت".

الفصل ١٦

شجرة الأناناس

شعر لوك بشد فى عضلاته باقتراب بريدجيت.

إنه لم يتحدث إليها منذ يوم حفل التنس؛ فهما قد اتفقا على تحاشى بعضهما البعض.

بدت هادئة وباردة وغير مكترثة على نحو مستفز.

قالت باستخفاف:

"بدأت أتساءل ماذا حل بك يا جوردون؟".

زمجر اللورد ويتفيلد قائلا:

"كنت أتشاجر! هذا المدعو ريفرز بلغت به الوقاحة أن يأخذ السيارة الرولز دون إذنى اليوم".

قالت بريدجيت: "لقد طعن فى شخصك المبجل".

"لا يجب أن تسخرى من الأمر يا بريدجيت، إن الأمر خطير. لقد اصطحب فتاة بها".

"لا أعتقد أنه كان سيجد أى متعة فى التنزه بالسيارة وحده!".

انتصب اللورد ويتفيلد.

"أنا لا أسمح بمثل هذه التصرفات غير الأخلاقية بأملاكى".

"هل ترى أن أخذ فتاة فى نزهة يعد تصرفًا غير أخلاقى؟".

"يكون كذلك حينما يكون ذلك بسيارتى".

"إن هذا بالطبع أسوأ من التصرف غير الأخلاقى! إنه يرقى إلى التجديف، ولكنك لا تستطيع منع الشباب من العبث معًا يا جوردون. إن القمر مكتمل وتلك فى الواقع ليلة منتصف الصيف".

قال لوك: "هل هذا صحيح؟".

رمقته بريدجيت بعينيها.

"يبدو أن ذلك أثار فضولك".

"نعم".

عادت بريدجيت للتحدث مع اللورد ويتفيلد.

"وصل ثلاثة أشخاص غريبى الشكل إلى ملهى بيلز أند موتلى. الأول هو رجل يرتدى سروالاً قصيرًا ونظارة وقميصًا حريريًا برقوقى اللون وجميلاً! الثانى هو امرأة ترتدى شالاً ورطلاً من الحلى المصرية الزائفة المتجانسة وصندلاً، الثالث هو رجل بدين يرتدى حلة أرجوانية شاحبة وحذاء من نفس اللون. أعتقد أنهم أصدقاء السيد إيلسورثى! يقولون إنه ستقام أعمال شاذة فى مرج الساحرات الليلة".

احتقن وجه اللورد ويتفيلد بالدماء وقال:

"لن أسمح بهذا!".

"لن تستطيع ذلك يا عزيزى. إن مرج الساحرات هو ملكية عامة".

"لن أسمح بهذا الهرج والمرج المنافى للدين أن يحدث هنا. سوف أنشر هذا فى صفحة الفضائح". سكت ثم قال: "ذكرينى بأن أكتب ملحوظة بشأن هذا وأجعل سيدلى يتولى الأمر؛ فأنا لابد أن أذهب للمدينة غدًا".

قالت بريدجيت بوقاحة: "حملة اللورد ويتفيلد ضد السحر. خرافات العصور الوسطى لا تزال منتشرة فى قرية ريفية هادئة".

حدق اللورد ويتفيلد إليها وعلى وجهه تقطيبة حائرة ثم استدار ودخل المنزل.

قال لوك فى سعادة:

"لابد أن تؤدى دورك بطريقة أبرع من هذا يا بريدجيت!".

"ماذا تعنى؟".

"سيكون أمرًا مؤسفًا حقًا لو فقدت وظيفتك. إن المائة ألف جنيه هذه لم تصبح ملكك بعد، وكذلك اللآلئ والماسات. لو كنت مكانك لانتظرت إلى ما بعد الزواج لممارسة مواهبك التهكمية".

قابلت عيناها عينيه فى هدوء.

"أنت حقًا تفكر فى مصلحة الآخرين يا عزيزى لوك؛ فكم أنت عطوف لاهتمامك بمستقبلى إلى هذه الدرجة".

"إن العطف والحرص على مصالح الغير كانا دائمًا أقوى صفاتى".

"لم ألاحظ هذا".

"حقًا؟ أنت تدهشيننى".

قطعت بريدجيت ورقة من نبات معترش. قالت:

"ماذا كنت تفعل اليوم؟".

"مهام البوليس السرى التقليدية".

"وهل توصلت إلى أية نتائج؟".

"نعم ولا، كما يقول السياسيون. بالمناسبة، هل لديكم أدوات بالمنزل؟".

"أعتقد هذا. أى نوع من الأدوات؟".

"أية أدوات يدوية صغيرة. ربما يمكننى معاينة البعض".

بعد مرور عشر دقائق اختار لوك من بين مجموعة موضوعة على رف خزانة.

قال وهو يربت على الجيب الذى ملأه بها: "هذه الكمية سوف تفى بالغرض".

"هل تفكر فى اقتحام ودخول مكان ما؟".

"ربما".

"أنت لا تفصح لى بالكثير".

"حسنًا، على أية حال، إن الموقف ينضح بالصعوبات. أنا فى وضع حرج؛ فبعد الحوار الذى دار بيننا يوم السبت لابد أن أغادر هذا المكان".

"يجب عليك ذلك إن كنت ترغب فى انتهاج سلوك الرجال النبلاء".

"ولكن بما أننى مقتنع بأننى أقتفى أثر معتوه قاتل؛ فأنا مرغم على البقاء. إن كان بوسعك اختراع أى سبب مقنع يجعلنى أغادر هنا وأنتقل للمكوث فى بيلز آند موتلى، فقومى بذلك من فضلك".

هزت بريدجيت رأسها.

"ليس هذا سهلاً . لكونك ابن عمى. بالإضافة إلى ذلك فالملهى كامل العدد بأصدقاء إيلسورثى؛ فليس لديهم هناك سوى ثلاث غرف".

"إذن أنا مرغم على البقاء، لابد أن هذا سيسبب لك الضيق".

ابتسمت له بريدجيت فى رقة.

"إطلاقًا. أستطيع دومًا تولى أمر بضع رءوس إضافية".

قال لوك فى تقدير: "إن تلك بالذات مزحة بذيئة. إن ما يعجبنى بك يا بريدجيت هو أنك لا تمتلكين أى طيبة. حسنًا، حسنًا، إن الحبيب المرفوض سوف يذهب الآن ويغير ملابسه استعدادًا للعشاء".

مرت الليلة بدون أحداث. وقد كسب لوك استحسان اللورد ويتفيلد أكثر من ذى قبل بتظاهره بالإنصات باهتمام بالغ لحديث الآخر الليلى.

وحينما دخلا غرفة الاستقبال قالت بريدجيت:

"لقد تغيبتما وقتًا طويلاً".

قال لوك:

"إن حديث اللورد ويتفيلد مثير حقًا حتى إن الوقت مضى سريعًا، كان يحكى لى عن كيفية تأسيس صحيفته الأولى".

قالت السيدة أنستروثر:

"إن شجيرات الفاكهة الجديدة تلك الموضوعة فى قدور جميلة حقًا. لابد أن تجرب وضع بعض منها فى الشرفة يا جوردون".

أخذ الحوار مجراه الطبيعى بعد ذلك.

استأذن لوك مبكرًا.

لكنه لم يذهب إلى الفراش بالرغم من ذلك؛ فكانت لديه خطط أخرى.

كانت الساعة قد دقت الثانية عشرة لتوها حينما هبط الدرجات دون ضوضاء وهو يرتدى حذاء التنس واجتاز المكتبة وخرج من النافذة.

كانت الرياح لا تزال تهب فى عصفات قوية تتخللها فترات سكون مختصرة. اندفعت السحب عبر السماء بفعل الرياح حاجبة القمر، وهكذا كان الظلام والقمر الساطع يتواليان باستمرار.

مضى لوك قدمًا آخذًا طريقًا غير مباشر حتى منزل السيد إيلسورثى؛ فرأى الفرصة سانحة للقيام ببعض أعمال التقصى. فكان واثقًا أن إيلسورثى وأصدقاءه سيكونون بالخارج معًا فى هذه الساعة بالتحديد. فظن لوك أن ليلة منتصف الصيف لابد أن تكون ليلة يقام بها طقس ما. وفى أثناء إقامة هذا الطقس يستغل هو هذه الفرصة الجيدة لتفتيش منزل إيلسورثى.

تسلق جدارين وذهب خلف المنزل وأخذ الأدوات من جيبه واختار واحدة مناسبة. أذعنت نافذة حجرة غسيل الأطباق

لجهوده؛ فبعد مرور بضع دقائق نجح فى سحب السقاطة ورفع الإطار ودفع نفسه للداخل.

كان لديه كشاف كهربائى فى جيبه. استخدمه بشكل مقتصد؛ فوميض بسيط يساعده على تلمس طريقه ويجنبه إسقاط الأشياء.

بعد مرور ربع ساعة كان قد اقتنع أن المنزل شاغر؛ فكان مالكه بالخارج مشغولاً فى شئونه الخاصة.

ابتسم لوك فى رضا وبدأ مهمته.

أجرى بحثًا دقيقًا وشاملاً لكل زاوية وكل ركن. فى درج موصد أسفل اثنتين أو ثلاث من الصور المائية الحميدة، تعثر فى بعض الأعمال الفنية التى جعلته يرفع حاجبيه ويصفر. فكانت أعمال إيلسورثى الفنية سيئة، ولكن بعضًا من كتبه. تلك التى كانت مدسوسة فى مؤخرة خزانة. استوقفته.

بالإضافة إلى تلك الأشياء، وجد لوك أيضًا ثلاث معلومات هزيلة ولكن موحية. الأولى اتخذت شكل خربشة فى نوتة صغيرة "تسوية الأمر مع تومى بيرس" - وكان التاريخ يسبق يوم وفاة الصبى بيومين، والثانية كانت صورة بالشمع لآمى جيبس فوقها علامة إكس حمراء غاضبة فوق وجهها. الثالثة كانت زجاجة شراب سعال، ولم تكن أى من هذه المعلومات وحدها إثباتًا لأى شىء، ولكن ضمهما معًا ربما يعتبر مشجعًا.

كان لوك يرتب المكان ويعيد الأشياء فى مكانها حينما تصلب فجأة فى مكانه وأطفأ ضوء الكشاف.

لقد سمع مفتاحًا يدخل قفل الباب الجانبى.

"لقد رأيت وجهه. كان. لا يوصف! الله وحده يعلم ما كان يفعله! كان منخرطًا فى بهجة جنونية. وكانت يداه مبقعتين بالدماء، أقسم على هذا".

ارتعدت بريدجيت.

تمتمت قائلة: "أمر مروع...".

قال لوك باضطراب:

"ما كان يجب عليك الخروج وحدك يا بريدجيت. هذا تصرف جنونى. ربما قام أحدهم بضربك على رأسك".

ضحكت وقالت:

"الشىء نفسه ينسحب عليك يا عزيزى".

"أنا أستطيع العناية بنفسى".

"أنا بارعة فى العناية بنفسى كذلك؛ فأنا صلبة للغاية".

هبت عاصفة ريح قوية. قال لوك فجأة:

"اخلعى عنك غطاء الرأس هذا".

"لماذا؟".

وبحركة مفاجأة مد يده وأطاح بغطاء رأسها بعيدًا. حدقت به وقد تسارعت أنفاسها.

قال لوك:

"أنت بالطبع غير كاملة بدون عصا مكنسة يا بريدجيت. هكذا رأيتك أول مرة". حدق بها لدقيقة ثم قال: "أنت شيطانة قاسية".

وبعد أن تنهد بحدة وبنفاد صبر وضع الغطاء فوقها مجددًا.

"ها هو. ضعيه. دعينا نعد للمنزل".

"انتظر...".

"لماذا؟".

اقتربت منه وتحدثت بصوت خفيض شبه متهدج.

"لأن هناك شيئًا أود أن أقوله لك. وهذا هو أحد الأسباب التى جعلتنى أنتظرك هنا. خارج المانور. أريد أن أقوله لك الآن قبل أن نعاود الدخول. إلى أملاك جوردون...".

"حسنًا؟".

ضحكت ضحكة قصيرة قاسية.

"الأمر بسيط للغاية. أنت فزت يا لوك. هذا هو كل ما فى الأمر!".

قال بحدة:

"ماذا تعنين؟".

"أعنى أننى لم أعد أرغب أن أكون الليدى ويتفيلد".

اقترب خطوة منها.

سألها: "هل هذا صحيح؟".

"نعم يا لوك".

"هل ستتزوجيننى؟".

"نعم".

"لماذا؟".

"لا أعرف. أنت تقول لى هذه الأشياء البغيضة عن نفسى ويبدو أن الأمر يروق لى...".

قال لها:

"إنه عالم ملىء بالجنون!".

"هل أنت سعيد يا لوك؟".

"ليس تمامًا".

"هل تعتقد أنك ستنعم بالسعادة معى؟".

"لا أعلم. سأخاطر".

"نعم. هذا هو ما أشعر به أيضًا...".

"إننا نشعر بالغرابة حيال هذا الأمر يا عزيزتى. تعالى. ربما سنصبح طبيعيين ثانية فى الصباح".

"نعم. إن الطريقة التى تسير بها الأمور مرعبة حقًا لـ...".

نظرت لأسفل وجعلته يتوقف: "لوك. لوك. ما هذا...؟".

خرج القمر من بين السحاب. نظر لوك لأسفل حيث تعثرت قدم بريدجيت بكومة على الأرض.

سحب لوك ذراعه من ذراعها بينما يعلو وجهه تعبير ينم عن الفزع وجثم للأسفل. نظر من الكومة غير محددة المعالم إلى البوابة بالأعلى. لقد اختفت شجرة الأناناس.

وقف فى النهاية. كانت بريدجيت تقف وهى واضعة كلتا يديها على فمها.

قال:

"إنه السائق ريفرز. إنه ميت...".

"هذا الشىء الحجرى اللعين. كان متقلقلاً منذ فترة. أعتقد أنه سقط فوقه؟".

هز لوك رأسه:

"إن الريح لا تفعل شيئاً مثل هذا. آه! هكذا يريد أن يبدو الأمر. حادث آخر! ولكنه زائف. إنه القاتل مجددًا...".

"لا. لا. لوك -".

"أؤكد لك هذا. هل تعلمين ما الذى استشعرته بمؤخرة رأسه. بالإضافة إلى اللزوجة والمواد الأخرى. حبيبات رمل! ولا يوجد رمل هنا. أؤكد لك هذا يا بريدجيت، وقف شخص ما هنا وضربه ضربة قوية أثناء عبوره البوابة عائدًا إلى كوخه. بعد ذلك وضعه هنا ودحرج هذه الشجرة فوقه".

قالت بريدجيت فى ضعف:

"لوك. هناك دم. على يديك...".

قال لوك فى تجهم:

"كانت هناك دماء على يد شخص آخر. هل تدرين بما كنت أفكر فى ظهيرة هذا اليوم. إنه فى حالة وقوع جريمة أخرى فسوف تتضح الأمور أمامنا. ونحن نعرف القاتل الآن! إيلسورثى! كان بالخارج الليلة وقد عاد إلى منزله والدم يغطى يديه بينما يثب ويتبختر وهو فى حالة من الجنون ويعلو وجهه تعبير قاتل ثمل معتوه...".

وهى تنظر إلى الأسفل ارتعدت بريدجيت وقالت بصوت خفيض: "ريفرز المسكين...".

قال لوك فى شفقة:

"نعم، الفتى المسكين. إنه تعس الحظ حقًا، ولكنه سيكون الأخير يا بريدجيت! الآن نحن نعرف من القاتل وسوف ننال منه!".

رآها تترنح فاقترب منها وأمسك بذراعها.

قالت بصوت طفولى رقيق:

"أنا خائفة يا لوك...".

قال: "لقد انتهى الأمر يا عزيزتى. انتهى...".

تمتمت قائلة:

"كن حانيًا معى من فضلك؛ فأنا تعرضت للكثير من الجروح".

قال: "لقد قمنا بجرح بعضنا البعض ولن نفعل هذا مجددًا".

الفصل ١٧

اللورد ويتفيلد يتحدث

حدق دكتور توماس فى لوك عبر غرفة الاستشارة الخاصة به.

قال: "مثير! مثير للغاية! هل أنت جاد يا سيد فيتزوليم؟".

"بالتأكيد، أنا مقتنع أن إيلسورثى هو معتوه خطير".

"أنا لم يسبق لى أن أبديت اهتمامًا خاصًا بهذا الرجل، لكننى بالرغم من ذلك أعتقد أنه غير سوى".

قال لوك بتجهم: "بل هو أكثر من ذلك".

"أنت تعتقد حقًا أن هذا الرجل ريفرز قد قتل؟".

"نعم، هل لاحظت حبيبات الرمل فى الجرح؟".

أومأ دكتور توماس.

"لقد بحثت عنها بعد تصريحك، وينبغى علىّ التأكيد بأنك محق".

"هذا يوضح كل شىء إذن، إن الحادث زائف، وأن الرجل قتل بجوال رمل أو أفقده أحدهم وعيه".

"ليس بالضرورة".

"ماذا تعنى؟".

اتكأ دكتور توماس للخلف وشبك أصابعه معًا.

"افترض أن هذا المدعو ريفرز كان مستلقيًا فوق حقيبة من الرمال أثناء النهار. وهناك الكثير من هذه الحقائب فى هذا المكان، فإن هذا قد يبرر وجود حبيبات الرمال فى شعره".

"أيها الشاب، أؤكد لك أنه قد قتل!".

قال دكتور توماس: "يمكنك أن تردد ذلك كما تشاء، ولكن هذا لن يجعل من الأمر حقيقة".

تحكم لوك فى سخطه.

"أعتقد أنك لا تصدق كلمة مما قلته لك".

ابتسم دكتور توماس ابتسامة متكبرة.

"لابد أن تعترف يا سيد فيتزوليم أنها قصة جامحة بعض الشىء، أنت تؤكد أن هذا الرجل قتل فتاة تعمل خادمة وصبياً صغيراً وصاحب ملهى ثملاً وشريكى فى العمل وفى النهاية قتل ريفرز؟".

"ألا تصدق هذا؟".

هز دكتور توماس كتفيه.

"أنا أعرف كيف مات هامبلباى. يبدو لى مستحيلاً أن يكون لإيلسورثى أى علاقة بموته، ولا أرى أن لديك دليلاً يثبت أنه المتسبب فى وفاته".

اعترف لوك قائلاً: "لا أعرف كيف تمكن من هذا، ولكن كل هذا يتفق مع قصة السيدة بنكرتون".

"أنت تؤكد كذلك أن إيلسورثى اتبعها إلى لندن ودهسها بسيارة. مرة ثانية ليس لديك أى دليل أن هذا قد حدث! كل هذا - حسنًا - مجرد مبالغة!".

قال لوك بحدة:

"بما أننى أعرف الآن أين توجد قدماى فسوف أركز على الحصول على أدلة. سوف أسافر إلى لندن غدًا لمقابلة صديق لى؛ فقد قرأت منذ يومين أنه تمت ترقيته إلى مساعد مفوض البوليس. إنه يعرفنى وسوف ينصت لما أقوله له، وأنا واثق من شىء واحد، إنه سيجرى تحقيقًا شاملاً إزاء هذا الأمر".

مرر دكتور توماس يده على ذقنه وهو يمعن التفكير.

"حسنًا . مادام ذلك سيرضيك. لكن إذا اتضح أنك مخطئ -".

قاطعه لوك.

"أنت لا تصدق شيئًا من كل هذا؟".

"عمليات قتل جماعية؟". رفع دكتور توماس حاجبيه. "بصراحة يا سيد فيتزوليم لا أصدق؛ فالأمر خيالى للغاية".

"خيالى ربما. ولكنه منطقى. لابد أن تعترف أنه بجمع الخيوط معًا تصبح القصة منطقية. بمجرد أن تعترف بصحة قصة السيدة بنكرتون".

كان دكتور توماس يهز رأسه وقد اجتاحت ابتسامة صغيرة ركن فمه.

تمتم قائلاً: "لو كنت فقط تعرف بعضًا من هؤلاء السيدات العجائز جيدًا كما أعرفهن".

نهض لوك وهو يحاول السيطرة على انزعاجه.

قال: "على أية حال، أنت شديد التشكك يا دكتور توماس!".

أجابه توماس بحس مرح:

"أعطنى بعض الأدلة يا عزيزى. هذا هو كل ما أطلبه. وليس مجرد هراء ميلودرامى طويل قائم على ما رأته سيدة عجوز متوهمة".

"إن ما تتخيل السيدات العجائز أنها رأته عادة ما يكون صحيحًا، إن عمتى ميلدرد كانت غريبة الأطوار للغاية! هل لديك أية عمات يا توماس؟".

"حسنًا. لا".

قال لوك: "خطأ! كل شخص ينبغى أن تكون له عمات؛ فهن يثبتن انتصار الحدس على المنطق؛ فالعمات فقط هن من يعرفن أن السيد (إيه) محتال؛ لأنه كان يشبه خادماً غير أمين عمل لديهن فى وقت ما. ويحاول الآخرون بالمنطق أن يجادلوا أن رجلاً محترمًا مثل السيد (إيه) لا يمكن أن يكون محتالاً. لكن السيدات العجائز يكن محقات فى كل مرة".

ابتسم دكتور توماس ابتسامته المتكبرة مجددًا.

قال لوك وقد تفاقم شعوره بالسخط ثانية:

"ألا تدرك أننى رجل بوليس أنا الآخر؟ أنا لست هاويًا".

ابتسم دكتور توماس وتمتم:

"فىماينج ستر ايتس!".

"إن الجريمة هى الجريمة حتى فى ماينج سترايتس".

"بالطبع. بالطبع".

غادر لوك عيادة توماس فى حالة من الحنق المكبوت.

انضم إلى بريدجيت التى قالت:

"حسنًا، كيف صارت الأمور؟".

قال لوك: "لم يصدقنى، وأنت حينما تفكرين فى الأمر لن تجديه غريبًا فى الواقع؛ فهى قصة جامحة بلا أدلة. إن دكتور توماس بدون شك ليس من نوعية الرجال الذين يصدقون بسهولة ستة أشياء مستحيلة قبل الإفطار!".

"هل يمكن لأى أحد تصديقك؟".

"على الأرجح لا، ولكننى حينما أذهب إلى بيلى بونز العجوز غدًا ستبدأ العجلة فى الدوران. إنهم سوف يحققون بشأن صديقنا ذى الشعر الطويل إيلسورثى، وفى النهاية سوف يتوصلون لشىء ما".

قالت بريدجيت وهى مستغرقة فى التفكير:

"إننا نقترب كثيرًا من كشف الأمر، أليس كذلك؟".

"نحن مضطران إلى ذلك. لا نستطيع ببساطة السماح له بقتل المزيد من الأشخاص".

ارتعدت بريدجيت.

"من فضلك يا لوك، كن حريصًا".

"أنا حريص بالفعل. عدم السير بالقرب من بوابات فوقها أشجار أناناس، وتجنب الغابة أثناء الليل والانتباه لما آكله وأشربه. أنا أعرف كل هذا جيدًا!".

"كونك رجلاً متميزًا يجعلنى أشعر بشعور مروع".

"طالما أنك لست امرأة متميزة يا عزيزتي".

"ربما أكون كذلك".

"لا أعتقد هذا، لكني لا أنوى المخاطرة؛ فأنا سوف أحميك كملاك حارس عتيق الطراز".

"هل من المجدى فى شيء أن نتحدث فى الأمر مع الشرطة هنا؟".

فكر لوك.

"لا أعتقد هذا. من الأفضل الذهاب مباشرة إلى سكوتلاند يارد".

تمتمت بريدجيت:

"هذا ما فكرت فيه السيدة بنكرتون".

"نعم، ولكننى سوف أتوخى الحذر".

قالت بريدجيت:

"أنا أعلم ماذا سوف أفعل غدًا، سوف آخذ جوردون إلى متجر هذا المتوحش، وأجعله يشترى أشياء منه".

"وبهذا تضمنين أن السيد إيلسورثى لن يعد لى كمينًا على درجات الوايتهول؟".

"تمامًا".

قال لوك ببعض الحرج: "بالنسبة لويتفيلد ـ".

قالت بريدجيت بسرعة:

"دعنا نؤجل أمره حتى تعود غدًا. بعد ذلك سنسوى كل شيء".

"هل سيغضب بشدة؟".

فكرت بريدجيت فى السؤال: "حسنًا ـ سوف ينزعج بدون شك".

"ينزعج؟ يا إلهى! ألا تعتقدين أن ذلك رد فعل بسيط مقارنة بأهمية الموضوع؟".

"لا، وذلك لأن جوردون لا يحب أن يزعجه أحد! فذلك يثير حنقه!".

قال لوك برزانة: "أنا أشعر بالقلق حيال الأمر برمته".

كان هذا الشعور قد بلغ ذروته فى ذهنه حينما كان يستعد فى هذا المساء للاستماع للمرة العشرين إلى اللورد ويتفيلد عن موضوع يدور حول نفسه؛ فكان معترفًا أن وغدًا حقيقيًا فقط هو من يقيم فى بيت رجل ويسرق خطيبته، ومع ذلك فهو لا يزال يشعر أن ساذجًا ضئيل الحجم مغرورًا ومختالاً ومنتفخ البطن ما كان يجب أن يطمع فى الحصول على فتاة مثل بريدجيت!

ولكن ضميره ظل يؤلمه لدرجة جعلته ينصت بجرعة أعلى من الاهتمام لكلام مضيفه، الأمر الذى نال استحسان هذا المضيف بشدة.

كان اللورد ويتفيلد فى حالة معنوية مرتفعة هذه الليلة؛ فوفاة سائقه السابق يبدو أنها أبهجته بدلاً من أن تحزنه.

صاح فى بهجة وهو يمسك كأسه فى الضوء ويحدق إليه: "أخبرتك أن الأمور ستأخذ منحى سيئًا فى حياة هذا الفتى. ألم أقل لك هذا ليلة أمس؟".

"هذا صحيح يا سيدى".

"وقد كنت محقًا كما ترى! من المدهش حقًا أننى أكون محقًا طوال الوقت!".

قال لوك: "لابد أن هذا أمر رائع حقًا".

"لقد خضت حياة مذهلة حقًا. نعم حياة مذهلة بالفعل! إن الطريق كان ممهدًا أمامى. وكنت دومًا أمتلك الكثير من الإيمان والثقة بالله. هذا هو السر يا سيد فيتزوليم، هذا هو السر".

"حقًا؟".

"أنا رجل متدين. أنا أومن بالخير والشر ويوم الحساب. إن هناك ما يدعى بالعدل الإلهى يا سيد فيتزوليم، لا شك فى هذا!".

قال لوك: "أنا أومن بوجود العدل كذلك".

كان اللورد ويتفيلد كعادته غير مكترث بما يؤمن به الآخرون.

"أعط خالقك حقه وسوف يجزيك خالقك حقك! طالما كنت رجلاً مستقيمًا. كنت أتبرع دومًا للجمعيات الخيرية، كما أننى كسبت أموالى بطرق شريفة، أنا لست مديناً بالفضل لأى رجل! فقد بنيت نفسى بنفسى. هل تذكر كيف رزق الله أسلافنا بالقطعان والأسراب وابتلى أعداءهم!".

منع لوك نفسه من التثاؤب وقال:

"هذا صحيح. هذا صحيح".

قال اللورد ويتفيلد: "إنه أمر مذهل حقًا. الطريقة التى يعاقب بها الله أعداء الرجل المؤمن! انظر إلى ما حدث أمس.

إن هذا الرجل أهاننى. بل إنه قد بلغت به الوقاحة أنه حاول الاعتداء علىّ بالضرب. انظر ماذا حدث؟ أين هو اليوم؟".

سكت بتكلف، ثم أجاب عن نفسه بصوت منبهر:

"مات! وقع عليه العقاب الإلهى!".

قال لوك وهو يفتح عينيه قليلاً:

"إنه عقاب قاس ناله على بعض كلمات قالها بتسرع وهو ثمل".

هز اللورد ويتفيلد رأسه.

"هكذا تسير الأمور! إن الجزاء يأتى بسرعة وفى صورة بشعة. ومن يوقع هذا الجزاء هو العدل. هل تذكر الأطفال الذين سخروا من إيليا. هل تذكر كيف جاءت الدببة والتهمتهم. هكذا تسير الأمور يا فيتزوليم".

"طالما ظننت أن هذا انتقام غير ضرورى".

"لا، لا. أنت تنظر إلى الأمر بصورة خاطئة. كان إيليا رجلاً عظيمًا وتقيًا. فما كان من الممكن أن يسخر منه أحد ويعيش! أنا أتفهم هذا بسبب ما حدث لى!".

نظر إليه لوك فى حيرة.

خفض اللورد ويتفيلد صوته.

"لم أكن أصدق هذا فى البداية، ولكن هذا كان يحدث معى فى كل مرة! فأعدائى ومن يحطون من قدرى كانوا يتعرضون للإبادة".

"الإبادة؟".

أومأ اللورد ويتفيلد برفق واحتسى شرابه.

"مرة بعد أخرى. تمامًا كما حدث مع إيليا. هذا الصبى الصغير. مررت به ذات يوم فى الحديقة هنا. كان يعمل لدىَّ فى ذلك الحين. أتعلم ما الذى كان يفعله؟ كان يقلدنى أنا. أنا؟ يسخر منى! يمشى بتبختر جيئة وذهابًا أمام جمهور يشاهده. يسخر منى على أرضى! هل تدرى ماذا حل به؟ فلم تمض عشرة أيام حتى سقط من نافذة ومات!

وبعد ذلك كان هناك هذا المتوحش كارتر. هذا الرجل الثمل ذو اللسان البذىء. أتى إلى هنا وأساء لى. ماذا حدث له؟ بعد أسبوع مات. غرق فى الطين، وكانت هناك هذه الخادمة أيضًا. رفعت صوتها علىّ وسبّتنى، وقد نالت عقابها سريعًا كذلك؛ فقد شربت سمًا عن طريق الخطأ! بإمكانى أن أخبرك بالمزيد. هامبلباى واتته الجرأة على معارضتى بشأن موضوع مخطط الماء، وقد مات إثر إصابته بتسمم الدم. آه، إن هذا يحدث معى منذ سنوات. السيدة هورتون على سبيل المثال كانت تتعامل معى بوقاحة، ولم يمض وقت طويل قبل أن تموت".

سكت واتكأ للأمام معطيًا قنينة الشراب للوك.

قال: "نعم. جميعهم ماتوا. مذهل، أليس كذلك؟".

حدق إليه لوك. تسلل شك رهيب إلى عقله! فقد شرع فى التحديق بعينين جديتين إلى الرجل الضئيل البدين الذى كان يجلس على رأس الطاولة ويومئ برأسه، والذى كانت عيناه البارزتان تقابلان عينى لوك فى لا مبالاة.

اندفعت مجموعة من الذكريات غير المترابطة سريعًا خلال عقل لوك. الرائد هورتون وهو يقول: "اللورد ويتفيلد كان

طيبًا للغاية؛ فقد أرسل عنبًا وخوخًا من صوباته الساخنة". وكان اللورد ويتفيلد هو من سمح لتومى من فرط كرمه بالعمل كمنظف للنوافذ فى المكتبة. زيارة اللورد ويتفيلد إلى مؤسسة ويللرمان كروتز المليئة بالجرثومات والأمصال قبل فترة قصيرة من وفاة هامبلباى، كل شىء يشير ببساطة إلى اتجاه واحد، وهو كان غبيًا للدرجة التى جعلته لا يشك أبدًا...

كان اللورد ويتفيلد لايزال يبتسم. ابتسامة هادئة سعيدة. أومأ برأسه برفق إلى لوك.

قال اللورد ويتفيلد: "إنهم جميعًا يموتون".

الفصل ١٨

مؤتمر فى لندن

حدق السير وليم أوسينجتون المعروف لأصدقائه القدامى باسم بيلى بونز فى شك فى صديقه.

سأل فى حزن: "ألم تنل كفايتك من الجرائم؟ هل عليك أن تعود للوطن وتقوم بعملنا نيابة عنا؟".

قال لوك: "لم تكن الجرائم فىماينج تحدث بالجملة على هذا النحو. إن الرجل الذى أسعى للنيل منه قتل نصف دستة أشخاص على الأقل ونجا بفعلته دون أن يشك فيه أحد!".

تنهد السيد وليم.

"هذا يحدث. ما الصفة التى تميزه. كثرة الزوجات؟".

"لا، إنه ليس من هذا الطراز. إنه لا يعتقد أنه إله بعد، ولكن سرعان ما سيصل إلى هذه المرحلة".

"مجنون؟".

"نعم، لا شك فى هذا".

"آه، ولكنه على الأرجح ليس مجنونًا بالمعنى الحرفى للكلمة، هناك فرق كما تعلم".

قال لوك: "ينبغى أن أقول إنه يعرف طبيعة وعواقب تصرفاته".

قال بيلى بونز: "تمامًا".

"حسنًا، دعنا لا نهتم كثيرًا بالتقنيات القانونية، إننا لم نصل إلى هذه المرحلة بعد، وربما لن نصل إليها أبدًا. ما أريده منك يا صديقى العزيز هو بعض الحقائق؛ فقد وقع حادث بالشارع فى يوم سباق الديربى بين الساعة الخامسة والسادسة مساء؛ حيث دهست سيارة سيدة عجوزًا فى وايتهول ولم تتوقف. كان اسم السيدة لافينيا بنكرتون. أريد منك التنقيب عن كل الحقائق الممكنة عن هذا الأمر".

تنهد السير وليم: "يمكننى أن أعرف لك كل شىء عن الأمر سريعًا، وعشرون دقيقة سوف تفى بالغرض".

كان صادقًا فى كلمته؛ ففى أقل من هذا الوقت كان لوك يتحدث إلى ضابط البوليس المسئول عن الأمر.

"نعـم يا سـيدى، أتذكـر التفاصـيل. إن معظمهـا مكتوب لدى هنا"، وأشـار إلى الورقة التى كان لوك يتفحصـها قائلاً: "أجرينـا تحقيقًا. السـيد ساتشـرفيريل كان هـو المحقق. كان الخطأ خطأ سائق السيارة".

"هل توصلتم إليه؟".

"لا يا سيدى".

"ما نوع السيارة التى دهست السيدة؟".

إننا شبه واثقين أنها كانت رولز. سيارة كبيرة يقودها سائق. جميع الشهود أجمعوا على ذلك. إن معظم الناس يتعرفون على الرولز حينما يرونها".

"ألم تحصل على رقمها؟".

"لا، للأسف، لم يفكر أحد فى النظر إلى الرقم. جاءنا بلاغ أن رقمها هو FZX4498 . ولكنه كان رقمًا خاطئًا، رأته سيدة وقالته لسيدة أخرى والتى أعطتنى إياه بدورها. ولا أعلم إن كانت السيدة الأخرى نقلته بشكل خاطئ عن الأولى، ولكنه على أية حال لم يكن صحيحًا".

سأل لوك بحدة: "وكيف علمت بذلك؟".

ابتسم الضابط.

"إن FZX4498 هـو رقـم سـيارة اللـورد ويتفيلـد. كانت السـيارة تقف أمام منـزل بومينجتون فى وقـت الحادث وكان السائق يحتسى الشاى. لديه دليل نفى لا غبار عليه. ليس هناك شك أنه متورط بالأمر، ولم تغادر السيارة المبنى حتى السادسة والنصف حينما خرج سيده".

قال لوك: "نعم".

تنهد الرجل: "هذا هو ما يحدث دائمًا يا سيدى، اختفى نصف الشهود قبل أن يصل المحقق إلى هناك ويحصل على التفاصيل".

أومأ السير وليم.

"افترضنا أن يكون رقم السيارة مقاربًا للرقم FZX4498 . رقم يبدأ ربما بأربعتين، وقد فعلنا أقصى ما بوسعنا ولكن

بدون جدوى؛ فقد استجوبنا أصحاب سيارات ذات أرقام مشابهة، ولكنهم جميعًا قدموا حجج غياب مرضية".

نظر السير وليم إلى لوك فى شك.

هز لوك رأسه وقال:

"شكرًا لك يا بونز؛ هذا يفى بالغرض".

وحينما خرج الرجل، نظر بيلى بونز فى حيرة إلى صديقه.

"لماذا تثير كل هذه الجلبة يا فيتز؟".

تنهد لوك قائلاً: "إن كل شىء يتطابق مع بعضه البعض. كانت لافينيا بنكرتون آتية إلى هنا لكشف الأمر. لإبلاغ رجال البوليس المحنكين فى سكوتلاند يارد عن القاتل الشرير. لا أعلم إن كنت ستنصت لها أم لا - على الأرجح لا -".

قال السير وليم: "ربما فعلنا. إننا نعلم بشأن الجرائم بتلك الطريقة. مجرد شائعات ونميمة. إننا لا نغض الطرف عن مثل هذه الأشياء، أؤكد لك هذا".

"وهذا هو ما اعتقده القاتل. لم يكن ليخاطر. تخلص من لافينيا بنكرتون، وبالرغم من وجود امرأة كانت ماهرة بما فيه الكفاية لتلتقط رقمه إلا أنه لم يصدقها أحد".

غاص بيلى بونز فى مقعده شاردًا.

"أنت لا تقصد ـ".

"نعم، أقصد هذا. أراهنك على أى شىء تريده أن ويتفيلد هو من دهسها، لا أعرف كيف فعل هذا. كان السائق متغيبًا يشرب الشاى، وبطريقة أو بأخرى على ما أفترض تسلل وارتدى ملابس وقبعة سائق، ولكنه فعل ذلك يا بيلى!".

"مستحيل!".

"ليس مستحيلاً. أنا واثق أن اللورد ويتفيلد ارتكب على الأقل سبع جرائم، إن لم يكن أكثر من ذلك".

قال السير وليم ثانية: "مستحيل".

"يا صديقى العزيز، لقد تفاخر بذلك أمامى ليلة أمس!".

"هو مجنون إذن؟".

"إنه مجنون بالفعل، ولكنه شيطان ماكر. ينبغى عليك أن تكون حذرًا. لا تدعه يعلم أننا نشك به".

تمتم بيلى بونز: "أمر لا يصدقه عقل...".

قال لوك: "ولكنه حقيقى!".

وضع يده فوق كتف صديقه.

"اسمع يا عزيزى بيلى، سوف أحكى لك كل شىء. إليك الحقائق".

تحدث الرجلان طويلاً وبشكل جدى.

وفى اليوم التالى عاد لوك إلى ويتشوود. انطلق فى وقت مبكر من الصباح. كان بوسعه العودة فى الليلة السابقة، ولكنه مقت المبيت أسفل سقف منزل اللورد ويتفيلد أو قبول ضيافته تحت أى حال من الأحوال.

لذا خلال سيره عبر ويتشوود أوقف سيارته عند منزل السيدة وينفليت. حدقت إليه الخادمة التى فتحت الباب فى دهشة، ولكنها قادته حتى غرفة الطعام الصغيرة التى كانت تجلس بها السيدة وينفليت لتناول الإفطار.

نهضت لاستقباله وهى مندهشة بعض الشىء.

لم يُضَيِّعْ وقتًا قائلاً: "لابد أن أعتذر لزيارتى لك فجأة فى مثل هذه الساعة".

نظر حوله، غادرت الخادمة الغرفة، وأغلقت الباب فقال: "سوف أطرح عليك سؤالاً يا سيدة وينفليت. إنه سؤال شخصى ولكنى أعتقد أنك ستسامحيننى على طرحى إياه".

"من فضلك اسألنى عن أى شىء تريده؛ فأنا واثقة أن السبب الذى يجعلك تطرحه وجيه حقًا".

"شكرًا لك".

سكت.

"أريد أن أعرف بالتفصيل لماذا فسخت خطبتك على اللورد ويتفيلد منذ كل هذه السنوات".

لم تكن تتوقع مثل هذا السؤال؛ فتورد وجهها ووضعت يدها على صدرها.

"هل أخبرك بأى شىء؟".

أجاب لوك: "أخبرنى بشىء ما عن طائر. طائر مات...".

"هل قال لك هذا؟"، كان صوتها متحيرًا وهى تضيف: "هل اعترف بذلك؟ هذا غير طبيعى!".

"هلا حكيت لى من فضلك؟".

"حسنًا، سوف أخبرك، ولكن من فضلك لا تتحدث معه فى هذا الشأن أبدًا. أعنى مع جوردون؛ فكل هذا جزء من الماضى وأنا لا أريد إحياءه ثانية".

نظرت إليه فى استجداء.

أومأ لوك قائلاً:

"أنا أود أن أعرف فقط للإشباع الشخصى؛ فأنا لن أردد كلمة مما ستقولينه لى".

"أشكرك". استعادت رباطة جأشها. كان صوتها هادئًا حينما واصلت كلامها: "كان هذا صحيحًا. كان لدى طائر كنارى. كنت أعشقه، وربما كنت سخيفة بعض الشىء بخصوص هذا الأمر، ولكن كان هذا حال الفتيات فى ذلك الحين. كن - حسنًا - متيمات بطيورهن. لابد أن ذلك كان يثير حنق الرجال. أدرك هذا".

قال لوك حينما سكتت: "نعم".

"كان جوردون يشعر بالغيرة من الطائر؛ فقال لى ذات يوم فى غضب: "أعرف أنك تحبين هذا الطائر أكثر منى". وما كان منى إلا أن بادرته بالضحك وقلت له بالطريقة السخيفة التى كانت تستخدمها الفتيات فى هذا الوقت: "بالطبع يا طائرى الجميل، أنا أحبك أكثر من فتى كبير سخيف!" بعد ذلك - يا إلهى! كان الأمر مخيفًا - أخذ جوردون الطائر منى ودك عنقه. كانت بمثابة الصدمة بالنسبة لى. أنا لن أنسى هذا أبدًا!".

امتقع وجهها للغاية.

قال لوك: "وهكذا فسخت الخطبة؟".

"نعم. تغيرت مشاعرى نحوه بعد ذلك؛ فكما ترى يا سيد فيتزوليم - ترددت؛ إن الأمر لا يتعلق بالتصرف فقط، فربما يكون قد فعل هذا من منطلق الغيرة والغضب، ولكنه يتعلق بالشعور الذى ساورنى بأنه استمتع بالقيام بذلك - ذلك هو ما أفزعنى!".

تمتم لوك: "حتى قبل كل هذه الفترة. حتى فى تلك الأيام...".

وضعت يدها على ذراعه.

"سيد فيتزوليم ـ".

قابل نظرة الاستجداء الخائفة فى عينيها بنظرة واثقة حزينة.

قال: "إنه السيد ويتفيلد الذى ارتكب كل هذه الجرائم! وأنت كنت تعلمين هذا طوال هذا الوقت، أليس كذلك؟".

هزت رأسها بقوة.

"لم أكن أعرف هذا! لو كنت أعرف هذا فى ذلك الوقت لكنت تكلمت بالطبع. لا، كان مجرد ريب".

"ومع ذلك لم تلمحى لى حتى بالأمر؟".

صفقت بيديها فى مرارة مفاجئة.

"وكيف لى أن أفعل هذا؟ كيف لى؟ لقد كنت مغرمة به ذات يوم...".

قال لوك برفق: "نعم، أفهم هذا".

استدارت وفتشت فى حقيبتها وأخرجت منديلاً مطرز الحواف مسحت به عينيها. عادت ثانية مجففة العينين بعدما استعادت رباطة جأشها.

قالت: "أنا سعيدة للغاية لأن بريدجيت فسخت خطبتها به. إنها سوف تتزوجك أنت، أليس كذلك؟".

"بلى".

قالت السيدة وينفليت بجدية: "إنك مناسب لها أكثر منه".

عجز لوك عن منع نفسه من التبسم قليلاً.

لكن وجه السيدة وينفليت تجهم وبدا عليه القلق. اتكأت للأمام ومرة أخرى وضعت يدها على ذراعه.

قالت: "كن حريصًا. يجب أن يتوخى كلاكما الحرص".

"أتعنين من اللورد ويتفيلد؟".

"نعم، من الأفضل ألا تخبراه".

قطب لوك: "لا أعتقد أن أيًا منا تروق له هذه الفكرة".

"وما الفارق؟ يبدو أنكما لا تدركان أنه مجنون. مجنون. لن يقبل بهذا. ولو للحظة! لو حدث لها شىء ـ".

"لن يحدث شىء لها!".

"نعم. أعلم هذا. ولكن عليك أن تدرك أنه يفوقك مكرًا! إنه ماكر بغيض! خذها بعيدًا على الفور. هذا هو الأمل الوحيد. اطلب منها السفر للخارج: فليسافر كلاكما للخارج!".

قال لوك ببطء:

"قد يكون من الأفضل لها المغادرة، لكنى سأبقى".

"كنت أخشى أن تقول هذا، ولكن على أية حال أبعدها عن هنا. على الفور من فضلك!".

أومأ لوك ببطء قائلاً:

"أعتقد أنك محقة".

"أعلم أننى محقة! أبعدها قبل أن يفوت الأوان!".

الفصل ١٩

فسخ الخطبة

سمعت بريدجيت صوت سيارة لوك؛ فخرجت مسرعة لمقابلته.

قالت دون تمهيد:

"لقد أخبرته".

شعر لوك بالذهول. "ماذا؟".

كان فزعه شديدًا حتى إنها لاحظته.

"لوك ـ ما الأمر؟ تبدو منزعجًا".

قال ببطء:

"أعتقد أننا اتفقنا أن ننتظر حتى أعود".

"أعرف، ولكنى اعتقدت أنه ربما يكون من الأفضل أن ننتهى من الأمر؛ فهو كان يستعد لزواجنا وشهر العسل وكل هذه الأمور! فاضطررت أن أخبره!".

أضافت بينما يتخلل صوتها نبرة لوم:

"كان ذلك هو التصرف اللائق الوحيد".

اعترف لها بذلك.

"من وجهة نظرك نعم. نعم، أتفهم هذا".

"من وجهة نظر كل من أعرفهم!".

قال لوك ببطء:

"هناك أوقات لا يستطيع المرء أن يتحلى فيها باللباقة!".

"ماذا تعنى يا لوك؟".

أشار بيده بطريقة تنم عن نفاد الصبر.

"لا أستطيع أن أخبرك هنا. والآن كيف كان رد فعل ويتفيلد؟".

"جيد بشكل غريب. لقد شعرت بالخزى. أعتقد يا لوك أننى بخست من قدر جوردون. فقط لأنه مغرور للغاية وتافه فى بعض الأحيان. أعتقد فى الحقيقة أنه - حسنًا - رجل ضئيل عظيم!".

أومأ لوك.

"نعم، ربما يكون رجلاً عظيمًا - فى مناح لم نكن نتخيلها. اسمعى يا بريدجيت لابد أن تغادرى هذا المكان فى أسرع وقت ممكن".

"هذا طبيعى، سوف أحزم أشيائى وأغادر اليوم. ربما يمكنك توصيلى إلى المدينة. لا أعتقد أنه من الممكن أن يقيم كلانا فى بيلز آند موتلى. هذا إن كان فريق إيلسورثى قد غادر!".

هز لوك رأسه.

"لا، من الأفضل أن تعودى إلى لندن. سوف أشرح لك كل شىء لاحقًا، وفى الوقت ذاته أعتقد أنه من الأفضل أن التقى بـ ويتفيلد".

"أعتقد أنه ينبغى عليك ذلك. إن الأمر بشع للغاية، ألا تعتقد هذا؟ أشعر وكأننى طعنته بخنجر ذهبى صغير".

ابتسم لها لوك.

"كانت صفقة عادلة بما فيه الكفاية. كنتِ صريحة معه. على أية حال ليس هناك جدوى من البكاء على الماضى وما حدث بالفعل! سوف أذهب لرؤية ويتفيلد الآن".

وجد ويتفيلد يذرع غرفة الاستقبال جيئة وذهابًا. كان هادئًا بشكل غريب، بل كانت هناك ابتسامة صغيرة فوق شفتيه، ولكن لوك لاحظ شريانًا ينبض بقوة فى صدغه.

استدار حينما دخل لوك.

"آه، هأنذا يا فيتزوليم".

قال لوك:

"لا جدوى من أن أقول إننى نادم على ما فعلت - فذلك سوف يكون نفاقًا! أعترف أننى - من وجهة نظرك - انتهجت تصرفًا سيئًا، ولكن ليس لدى ما أقوله دفاعًا عن نفسى. هذه الأمور تحدث".

واصل اللورد ويتفيلد خطواته.

"صحيح - صحيح!". لوح بيده.

قال لوك:

"أنا وبريدجيت قمنا بإهانتك، ولكن هذا هو ما حدث! إننا نحب بعضنا البعض - وليس هناك ما يمكننا فعله إزاء هذا - فيما عدا أن نخبرك بالحقيقة وننتهى من الأمر".

توقف اللورد ويتفيلد. نظر إلى لوك بعينين شاحبتين بارزتين.

قال: "لا! ليس هناك ما يمكننا فعله إزاء هذا!".

كان يتخلل صوته نبرة مثيرة للفضول للغاية. وقف ينظر إلى لوك وهو يهز رأسه فى أسى.

قال لوك بحدة: "ماذا تعنى؟".

قال اللورد ويتفيلد: "ليس هناك ما يمكنك فعله؛ فقد فات الأوان!".

اقترب منه لوك خطوة.

"أخبرنى ماذا تعنى؟".

قال اللورد ويتفيلد على نحو غير متوقع:

"اسأل هورونيا وينفليت. إنها ستفهم. إنها تعرف ماذا يحدث. لقد تحدثت معى فى هذا الشأن ذات مرة!".

"ماذا تفهم؟".

قال اللورد ويتفيلد:

"إن الشر لا يمضى دون عقاب. لابد أن يتحقق العدل! أنا حزين لأننى مغرم ببريدجيت. أنا حزين من أجلكما إلى حد ما!".

قال لوك:

"هل تهددنا؟".

بدا اللورد ويتفيلد مصدومًا بالفعل.

"لا، لا يا عزيزى. أنا ليس لى دخل بالأمر! حينما منحت بريدجيت شرف أن تصبح زوجتى قبلت مسئوليات بعينها. الآن

نقضت عهدها. ولكن ما من سبيل للتراجع فى هذه الحياة. فإن كسرت القوانين لابد أن ترضخ للعقاب...".

أطبق لوك أصابعه وقال:

"هل تعنى أن ثمة شيئًا سوف يحدث لبريدجيت، الآن اسمعنى جيدًا يا ويتفيلد، ما من شىء سوف يحدث لبريدجيت، ولا لى! إن حاولت القيام بأى شىء من ذلك القبيل، فستكون تلك هى نهايتك. من الأفضل أن تتوخى الحذر! فأنا أعرف الكثير عنك!".

قال اللورد ويتفيلد: "لا دخل للأمر بى. أنا فقط أداة فى يد قوة أكبر، وما تقرره هذه القوة هو الذى يحدث!".

قال لوك: "أرى أنك تؤمن بهذا!".

"لأن هذه هى الحقيقة! أى شخص يقف فى وجهى ينال جزاءه، وأنت وبريدجيت لن تكونا استثناء من هذه القاعدة".

قال لوك:

"أنت مخطئ فى هذا؛ فمهما كانت الفترة التى حالفك الحظ بها فلابد لها أن تأتى النهاية، وحظك السعيد على وشك أن ينتهى".

قال اللورد ويتفيلد برقة:

"يا صديقى الشاب، أنت لا تعرف إلى من تتحدث. لا يمكن أن يمسنى مكروه!".

"هل هذا صحيح؟ سوف نرى. من الأفضل لك أن تتوخى الحذر يا ويتفيلد".

تغير سلوك الآخر بعض الشيء. كان صوته قد تغير حينما تحدث ثانية.

قال اللورد ويتفيلد: "لقد كنت صبورًا معك للغاية. لا تختبر صبرى أكثر من ذلك. اخرج من هنا".

قال لوك: "سوف أغادر بأقصى سرعة ممكنة، لكن تذكر أننى حذرتك".

استدار وخرج بسرعة من الغرفة. ركض إلى الطابق العلوى، وجد بريدجيت فى غرفتها تشرف على عملية حزم حقائبها التى تتولاها إحدى الخادمات.

"هل أنت جاهزة؟".

"خلال عشر دقائق".

طرحت عيناها سؤالاً منعها وجود الخادمة من صياغته فى كلمات.

أومأ لها لوك بإيماءة صغيرة.

ذهب إلى غرفته وجمع متعلقاته على عجل فى حقيبته.

عاد بعد عشر دقائق ليجد بريدجيت مستعدة للرحيل.

"هلا ذهبنا الآن؟".

"أنا مستعدة".

وأثناء هبوطهما الدرجات قابلا كبير الخدم صاعدًا.

"جاءت السيدة وينفليت لرؤيتك يا آنستى".

"السيدة وينفليت؟ أين هى؟".

"فى غرفة الاستقبال مع سيدى".

ذهبت بريدجيت مباشرة إلى غرفة الاستقبال بينما تبعها لوك عن كَثَب.

كان اللورد ويتفيلد يقف إلى جوار النافذة يتحدث إلى السيدة وينفليت. كان يمسك بسكين ذات نصل طويل رفيع فى يده.

كان يقول: "عمل يدوى رائع. أحد الشباب الذين يعملون لدى أحضره لى من المغرب حيث كان يعمل مراسلاً خاصًا. إنه مغربى بالطبع". مرر إصبعه بطول النصل قائلاً: "يا له من حد!".

قالت السيدة وينفليت بحدة:

"ضعه بعيدًا يا جوردون من فضلك!".

ابتسم ووضعه بين مجموعة الأسلحة الأخرى على الطاولة.

قال برفق: "أحب ملمسه".

كانت السيدة وينفليت قد فقدت بعضًا من رباطة جأشها. بدت شاحبة ومتوترة.

قالت: "بريدجيت عزيزتى!".

ضحك اللورد ويتفيلد.

"نعم، ها هى بريدجيت. استمتعى بصحبتها بقدر استطاعتك يا هورونيا؛ فهى لن تبقى معنا طويلاً".

قالت السيدة وينفليت بحدة:

"ماذا تعنى؟".

"أعنى؟ أعنى أنها ذاهبة إلى لندن. هذا صحيح، أليس كذلك؟ هذا هو كل ما قصدته".

نظر إليهم جميعًا.

قال: "لدى خبر لك يا هورونيا. إن بريدجيت لن تتزوج منى. لقد فضلت علىّ فيتزوليم هذا. إنها حياة غريبة حقًا. حسنًا. سأترككم تتحدثون".

غادر الغرفة بينما تلعب يده بالعملات المعدنية فى جيبه.

قالت السيدة وينفليت: "يا إلهى! يا إلهى ـ".

كان القلق فى صوتها ملحوظًا للغاية حتى إن بريدجيت اندهشت بعض الشىء؛ فقالت بتملل:

"أنا آسفة. أنا حقًا آسفة للغاية".

قالت السيدة وينفليت:

"إنه غاضب. إنه غاضب لدرجة مخيفة. يا إلهى! هذا بشع. ماذا سنفعل؟".

حدقت إليها بريدجيت.

"ماذا سنفعل؟ ماذا تقصدين؟".

قالت السيدة وينفليت مضمنة كليهما فى عتابها:

"ما كان ينبغى أن تخبراه!".

قالت بريدجيت:

"هذا هراء. ماذا غير ذلك كان بوسعنا أن نفعل؟".

"ما كان يجب أن تخبراه الآن. كان ينبغى أن تنتظرا حتى تتركا المكان".

قالت بريدجيت بإيجاز:

"هذه مسألة رأى ورأى آخر. أنا شخصيًا أعتقد أنه من الأفضل إعلان الأخبار غير السارة على الفور".

"يا عزيزتى، إن كان هذا هو كل ما فى الأمر فقط ـ".

سكتت. بعد ذلك طرحت عيناها سؤالاً على لوك.

هز لوك رأسه. شكلت شفتاه هذه الجملة: "لم أخبرها بعد".

تمتمت السيدة وينفليت: "أرى هذا".

قالت بريدجيت ببعض السخط:

"هل أردت رؤيتى لسبب معين يا سيدة وينفليت؟".

"حسنًا، نعم. فى الواقع جئت أقترح عليك الإتيان لزيارتى؛ فقد ظننت أنك قد لا ترتاحين هنا وأنك ربما ترغبين فى البقاء فى مكان آخر حتى تنتهى من ترتيبات الرحيل".

"شكرًا لك يا سيدة وينفليت، هذا كرم بالغ منك".

"كما تعلمين، سوف تكونين بأمان معى و ـ".

قاطعتها بريدجيت:

"بأمان؟".

قالت السيدة وينفليت بسرعة وهى مرتبكة بعض الشىء:

"مرتاحة. هذا ما قصدته. ستشعرين بالراحة معى. أعرف أن منزلى ليس فخمًا مثل هذا المنزل بالطبع، ولكن الماء لدى ساخن وخادمتى الصغيرة إميلى تطهو طعامًا جيدًا".

قالت بريدجيت تلقائيًا: "أنا واثقة من أن البقاء لديك سيكون ممتعًا يا سيدة وينفليت".

"ولكن إن كنت ذاهبة بالطبع إلى المدينة فسوف يكون ذلك أفضل كثيرًا...".

قالت بريدجيت ببطء:

"إن الأمر محير بعض الشىء. إن عمتى خرجت مبكرًا لحضور معرض زهور اليوم. ولم تسنح لى فرصة لإخبارها بما حدث بعد. سوف أترك لها رسالة أخبرها فيها أننى ذهبت إلى شقتنا".

"هل ستذهبين إلى شقة عمتك فى لندن؟".

"نعم. ليس هناك أحد بالشقة، ولكن يمكننى تناول الطعام بالخارج".

"سوف تمكثين وحدك بالشقة؟ يا إلهى! لو كنت مكانك ما فعلت هذا. لا تبقى هناك وحدك".

قالت بريدجيت فى نفاد صبر: "لن يأكلنى أحد. علاوة على ذلك فإن عمتى ستأتى إلىَّ غدًا".

هزت السيدة وينفليت رأسها فى قلق.

قال لوك:

"من الأفضل لك الذهاب إلى فندق".

استدارت بريدجيت نحوه.

"لماذا؟ ما خطبكما؟ لماذا تتعاملان معى وكأننى طفلة معتوهة؟".

اعترضت السيدة وينفليت: "لا، لا يا عزيزتى. نحن نريد منك أن تكونى حريصة فحسب؛ هذا هو كل ما فى الأمر".

"لكن لماذا؟ لماذا؟ ما الأمر؟".

قال لوك: "اسمعى يا بريدجيت. أود أن أتحدث معك، لكن لا أستطيع أن أفعل هذا هنا. تعالى معى الآن فى سيارتى وسوف نذهب إلى مكان هادئ".

ثم نظر إلى السيدة وينفليت قائلاً:

"هل باستطاعتنا المجىء إلى منزلك فى غضون نصف ساعة من الآن؟ هناك عدة أشياء أريد أن أحدثك عنها".

"من فضلكما تعاليا. سوف أنتظركما هناك".

وضع لوك يده على ذراع بريدجيت، وأومأ إيماءة شكر للسيدة وينفليت.

قال: "سوف نأخذ حقائبنا لاحقًا. هيا بنا".

قادها إلى خارج الغرفة ومنها إلى الردهة حتى الباب الأمامى. فتح باب السيارة. دخلت بريدجيت. شغل لوك المحرك وقاد بسرعة فى الطريق. تنهد بشكل ينم عن الراحة بعد خروجهما من البوابات الحديدية.

قال: "الحمد لله أننى أخرجتك من هناك سالمة".

"هل جن جنونك يا لوك؟ ما كل هذه الإيماءات والإشارات لى بأن أسكت. ولا أستطيع أن أخبرك ماذا أعنى الآن؟ ما الأمر؟".

قال لوك بجدية:

"حسنًا، هناك صعوبة أن تخبرى أحدًا بأنه قاتل وأنت موجودة تحت سقف منزله!".

الفصل ٢٠

نحن مشتركان فى هذا ـ معًا

جلست بريدجيت بدون حراك إلى جواره. قالت:

"جوردون؟".

أومأ لوك.

"جوردون؟ جوردون . قاتل؟ جوردون هو القاتل؟ أنا لم يسبق لى أن سمعت شيئًا سخيفًا مثل هذا فى حياتى!".

"أنت مندهشة؟".

"نعم، بالفعل. إن جوردون ليس بإمكانه إيذاء ذبابة".

قال لوك فى تجهم:

"ربما يكون هذا صحيحًا. لا أعلم ولكنه بدون شك قتل طائر كنارى، وأنا واثق أنه قتل كذلك عددًا كبيرًا من بنى البشر".

"عزيزى لوك، أنا ببساطة لا أصدق هذا!".

قال لوك: "أعلم. يبدو هذا صعب التصديق. أنا لم أشك قط فى أنه أحد المشتبه بهم حتى ليلة أمس الأول".

اعترضت بريدجيت:

"ولكنى أعلم كل شىء عن جوردون! أعلم من هو! إنه حقًا رجل ضئيل لطيف ـ مغرور نعم، ولكنه مثير للشفقة فى الواقع".

هز لوك رأسه: "كل ما عليك فعله هو إعادة برمجة أفكارك بشأنه يا بريدجيت".

"لا جدوى من ذلك يا لوك، أنا ببساطة لا أصدق هذا! ما الذى وضع مثل هذه الفكرة السخيفة فى رأسك؟ منذ يومين كنت مقتنعًا أن إيلسورثى هو القاتل".

أجفل لوك قليلاً.

"أعلم. أعلم. أنت على الأرجح تعتقدين أننى غدًا سوف أشك فى توماس، وفى اليوم التالى سأكون مقتنعًا بأن هورتون هو من أسعى للنيل منه! أنا لست غير متزن إلى هذه الدرجة. أعترف أن الفكرة تكون مفزعة حين التفكير فيها للمرة الأولى، ولكن إن دققت النظر بها سوف تكتشفين أن كل شىء مترابط مع بعضه البعض بشكل جيد. لا عجب أن السيدة بنكرتون لم تواتها الجرأة للذهاب إلى الشرطة المحلية. كانت تعلم أنهم سيسخرون منها! كانت سكوتلاند يارد هى أملها الوحيد".

"ولكن ما الدافع الذى قد يجعله يقتل كل هؤلاء؟ يا إلهى إن الأمر سخيف للغاية".

"أعلم، ولكن ألا تلاحظين كم يحب جوردون ويتفيلد تمجيد نفسه؟".

قالت بريدجيت: "إنه يتظاهر بأنه شخص رائع ومهم للغاية. مجرد شخص مصاب بعقدة النقص لا أكثر. رجل مسكين!".

"هذا هو سبب المشكلة على الأرجح. لا أعلم. لكن فكّرى يا بريدجيت. فكرى قليلاً. هل تتذكرين كل هذه العبارات التى كنت تصفينه بها ساخرة ـ الطعن فى الذات المبجلة وما إلى ذلك. ألا تدركين أن نفس هذا الرجل تبلغ من التكبر درجة تفوق الحد؟ بالإضافة إلى أنه يوثق هذا بالدين. يا عزيزتى، إن الرجل معتوه!".

فكرت بريدجيت قليلاً.

قالت أخيرًا: "مازلت أعجز عن تصديق هذا. ما الدليل الذى بحوزتك يا لوك؟".

"حسنًا، هناك الكلام الذى قاله بنفسه. أخبرنى ببساطة وبصراحة فى الليلة السابقة لليلة أمس أن أى شخص يقف فى وجهه يموت دومًا".

"واصل كلامك".

"لا أستطيع أن أشرح لك ماذا أعنى ـ لكن ثمة شىء ما بالطريقة التى قال بها ذلك. كان هادئًا وراضيًا عن نفسه ـ كيف يمكننى أن أصيغ لك هذا؟ ـ معتاد على الفكرة! كان فقط يجلس هناك مبتسمًا... كان الأمر غريبًا وبشعًا للغاية يا بريدجيت!".

"واصل كلامك".

"حسنًا، بعد ذلك أعطانى قائمة بالأشخاص الذين توفوا لأنهم أزعجوا جلالته! وأنصتى إلى هذا يا بريدجيت، الأشخاص الذين كرههم كانوا السيدة هورتون وآمى جيبس وتومى بيرس وهارى كارتر وهامبلباى وهذا السائق ريفرز".

شعرت بريدجيت بالصدمة أخيرًا. شحب وجهها بشدة.

"هل ذكر هؤلاء بالتحديد؟".

"نعم هؤلاء بالتحديد! هل تصدقين الآن؟".

"يا إلهى! أعتقد أن علىّ تصديق ذلك... ما كانت دوافعه؟".

"تافهة للغاية. هذا هو ما جعل الأمر يبدو مرعبًا. السيدة هورتون كانت تعامله بتعالٍ، تومى بيرس قام بتقليده ذات مرة وجعل البستانيين يضحكون، هارى كارتر أساء معاملته، وآمى جيبس كانت وقحة معه، هامبلباى واتته الجرأة على تحديه علنًا، وريفرز هدده أمامى وأمام السيدة وينفليت ــ".

وضعت بريدجيت يديها على عينيها.

تمتمت قائلة: "شنيع... هذا شنيع....".

"أعلم. وهناك أيضًا دليل آخر. السيارة التى دهست السيدة بنكرتون فى لندن كانت رولز وأرقامها هى نفس أرقام سيارة اللورد ويتفيلد".

قالت بريدجيت ببطء: "هذا يحسم الأمر إذن".

"نعم. ظن البوليس أن المرأة التى أعطتهم الأرقام مخطئة. مخطئة بالفعل".

قالت بريدجيت: "يمكننى تفهم ذلك؛ فحينما يكون هناك أمر يتعلق برجل ثرى وذى نفوذ مثل اللورد ويتفيلد، فمن الطبيعى أن تكون روايته هى الأصدق!".

"نعم. أنا أتفهم الآن الصعوبة التى لاقتها السيدة بنكرتون".

قالت بريدجيت وهى مستغرقة فى التفكير:

"قالت لى مرة أو مرتين أشياء غريبة. وكأنها تحذرنى من شىء ما... لم أفهم ماذا كانت تعنى فى ذلك الحين... لكننى أفهم الآن!".

قال لوك: "كل شىء يتطابق مع بعضه البعض. هذا هو الحال. فى البداية المرء يقول (كما قلت أنت) "مستحيل!" وبعد ذلك يتقبل الفكرة؛ فكل شىء يتطابق مع بعضه البعض! العنب الذى أرسله إلى السيدة هورتون. وكانت تعتقد أن الممرضات يحاولن سمها! وزيارته لمؤسسة ويللرمان كروتز. فبطريقة أو بأخرى لابد أن يكون قد حصل على استنبات ما لجرثومات وأصاب بها هامبلباى".

"لا أعرف كيف يمكنه القيام بذلك".

"وأنا أيضًا. ولكن الرابط موجود، ولا يمكن لأحد إنكاره".

"لا... كما تقول، كل شىء يتطابق. وبالطبع هو يستطيع القيام بأمور لا يستطيع غيره القيام بها! أعنى أنه فوق كل الشبهات!".

"أعتقد أن السيدة وينفليت ساورها الشك؛ فهى قد أتت على ذكر هذه الزيارة إلى المؤسسة. ذكرت الأمر عرضيًا فى أحد الحوارات، ولكننى أومن أنها كانت تريد منى اتخاذ إجراء ما بشأن هذا الأمر".

"كانت تعلم إذن منذ البداية؟".

"كان يساورها شك قوى للغاية. أعتقد أن ما أصابها بالشلل هو حبها له ذات يوم".

أومأت بريدجيت.

"نعم، هذا يفسر الكثير من الأشياء. أخبرنى جوردون أنهما كانا مخطوبين ذات يوم".

"لقد أرادت أن تصدق أنه ليس الفاعل، ولكنها ازدادت ثقة يومًا بعد يوم أنه القاتل. حاولت التلميح لى أكثر من مرة، ولكنها لم تستطع القيام بأى شىء تؤذيه به! إن النساء هن مخلوقات غريبة! أعتقد أنها مازالت تهتم بأمره...".

"حتى بعد نبذه لها؟".

"هى من قامت بنبذه. إنها قصة بشعة. سوف أحكيها لك".

حكى لها هذه القصة القبيحة القصيرة. حدقت بريدجيت إليه.

"جوردون فعل هذا؟".

"نعم. حتى فى تلك الأيام لم يكن سويًا!".

ارتعدت بريدجيت وتمتمت قائلة:

"منذ كل هذه السنوات. منذ كل هذه السنوات...".

قال لوك:

"ربما يكون قد تخلص من الكثيرين والذين لن يتسنى لنا معرفة شىء عنهم! إنه فقط معدل القتل السريع المتوالى مؤخرًا هو الذى جذب إليه الانتباه! وكأنما أصبح طائشًا فى نجاحه!".

أومأت بريدجيت. ظلت صامتة لدقيقة أو اثنتين تفكر ثم قالت فجأة:

"ماذا قالت لك بالضبط السيدة بنكرتون فى القطار فى ذلك اليوم؟ كيف بدأت الحوار؟".

عاد لوك بعقله إلى الوراء.

"قالت لى إنها ذاهبة إلى سكوتلاند يارد وأتت على ذكر شرطى القرية، قالت إنه رجل لطيف ولكنه غير مؤهل للتعامل مع جريمة قتل".

"كانت تلك هى المرة الأولى التى تذكر فيها الأمر؟".

"نعم".

"واصل كلامك".

"قالت بعد ذلك" أنت مندهش، يمكننى رؤية ذلك. كنت مندهشة أنا الأخرى فى البداية. لم أستطع تصديق الأمر. ظننت أننى أتخيل أشياء"".

"وبعد ذلك؟".

"سألتها إن كانت واثقة من أنها لم تكن تتخيل أشياء، ولكنها كانت رابطة الجأش "لا، لا! كنت أعتقد ذلك فى المرة الأولى ولكن ليس فى الثانية أو الثالثة أو الرابعة؛ فبعد ذلك يصبح المرء واثقًا"".

قالت بريدجيت معلقة: "مدهش. واصل كلامك".

"لذا بالطبع استخففت بكلامها. قلت لها إننى واثق من أنها تفعل الصواب. تشككت فى كلامها إلى أقصى حد!".

"أعلم. من السهل أن تقع فى هذا الخطأ! لقد ساورنى نفس الشعور؛ فكنت أتعامل مع السيدة العجوز المسكينة بلطف وتعال وكأنها مجنونة! كيف سار الحديث بعد ذلك؟".

"دعينى أرَ. آه! ذكرت قضية آبركرومبى. تعرفينها، الرجل الذى سمم الكثيرين فى ويلش. قالت إنها لم تصدق فى الواقع

أمر تلك النظرة الخاصة التى كان يرمق بها ضحاياه. ولكنها تصدقها الآن؛ لأنها رأتها بنفسها".

"ما الكلمات التى استخدمتها بالضبط؟".

فكر لوك وهو يقطب حاجبيه.

"قالت وهى لاتزال تستخدم تلك النبرة الأنثوية الراقية "بالطبع أنا لم أصدق هذا حين قرأت عنه. ولكنه صحيح". فقلت أنا: "ما الصحيح؟" فقالت: "النظرة على وجه هذا الشخص". وأقسم لك يا بريدجيت أن الطريقة التى قالت بها ذلك أسرتنى! صوتها الهادئ وتلك النظرة على وجهها. كانت مثل شخص رأى شيئاً من البشاعة لدرجة أعجزته عن التحدث عنه!".

"هيا يا لوك. حدثنى عن كل شىء".

"بعد ذلك عددت الضحايا. آمى جيبس وكارتر وتومى بيرس، وقالت إن تومى كان فتى بشعًا وكارتر كان سكيرًا. وبعد ذلك قالت: "*ولكن الآن بالأمس. كان دكتور هامبلباى. وهو رجل لطيف. رجل لطيف حقًا*". وقالت إنها إذا ذهبت إلى هامبلباى وأخبرته فإنه لن يصدقها، سوف يضحك فقط!".

تنهدت بريدجيت بعمق.

قالت: "نعم، نعم".

نظر إليها لوك.

"ما الأمر يا بريدجيت؟ ما الذى تفكرين به؟".

"شىء قالته السيدة هامبلباى ذات مرة. كنت أتساءل. لا. لا تبال. استمر. ما الذى قالته لك حتى النهاية؟".

كرر لوك كلماتها برزانة؛ فهى قد تركت انطباعًا قويًا عليه، ولذلك فإنه لم ينس كلماتها.

"قلت إنه من الصعب الإفلات بمثل هذا العدد من جرائم القتل فأجابت: "لا، يا عزيزى، أنت مخطئ فى هذا؛ إذ من السهل أن تقتل. طالما لا أحد يشك بك؛ وكما ترى فإن الجانى هو آخر شخص يمكن أن يشك به أى أحد..."".

سكت. قالت بريدجيت وهى ترتعد:

"من السهل أن تقتل؟ من السهل للغاية فى الواقع... هذا صحيح! لا عجب أن هذه الكلمات ظلت ملتصقة بذهنك يا لوك. إنها ستظل عالقة بذهنى طوال حياتى! رجل مثل جوردون ويتفيلد. آه، بالطبع هذا سهل".

قال لوك: "ليس سهلاً أن تعلنى اكتشافك لمثل هذا الخبر".

"هذا صحيح؟ إن لدى فكرة يمكننى المساعدة بها".

"بريدجيت، أنا أمنعك ـ".

"لا تستطيع منعى. أنا لن أختبئ وأحرص على بقائى بمأمن، أنا مشتركة فى هذا معك يا لوك. ربما يكون الأمر خطيرًا، نعم، أنا أعترف بهذا. ولكن علىَّ لعب دورى".

"بريدجيت ـ".

"أنا مشتركة معك فى هذا يا لوك! سوف أقبل دعوة السيدة وينفليت وأقيم معها هنا".

"عزيزتى، أتوسل إليك ـ".

"الأمر خطير لكلينا. أعلم هذا، ولكننا مشتركان فى الأمر معًا يا لوك. نحن مشتركان فيه معًا!".

الفصل ٢١

"لماذا تتجولين عبر الحقول وأنت ترتدين قفازات؟"

إن المحيط الهادئ داخل منزل السيدة وينفليت كان بمثابة النقيض لتلك اللحظة المتوترة فى السيارة.

تلقت السيدة وينفليت قبول بريدجيت لدعوتها بتشكك؛ لكنها سارعت فى تجديد عرضها لتثبت أن شكوكها قائمة على سبب آخر ليس له أدنى علاقة بعدم رغبتها فى استقبال الفتاة.

قال لوك:

"أعتقد أن ذلك سيكون أفضل شيء يمكن فعله؛ فأنت كريمة للغاية يا سيدة وينفليت، وأنا سوف أقيم فى بيلز آند موتلى، فبذلك ستكون تحت ناظرى، وهذا أفضل من أن تكون بعيدة فى المدينة. على أية حال، علينا تذكر ما حدث هناك قبل ذلك".

قالت السيدة وينفليت:

"أتعنى ما حدث لبنكرتون؟".

"نعم، قد يعتقد المرء أن الشخص سيكون أكثر أمانًا فى منتصف مدينة مزدحمة".

قالت السيدة وينفليت: "أنت تعنى أن أمان المرء يعتمد على حقيقة عدم رغبة أحد فى قتله؟".

"بالضبط. لقد أصبحنا مفرطى الاعتماد على ما يدعى الحضارة".

أومأت السيدة وينفليت برأسها فى فهم.

قالت بريدجيت:

"منذ متى وأنت تعرفين هذا - أن جوردون قاتل يا سيدة وينفليت؟".

تنهدت السيدة وينفليت.

"هذا سؤال يصعب الإجابة عنه يا عزيزتى. أعتقد أننى كنت واثقة داخلياً منذ بعض الوقت... لكنى بذلت قصارى جهدى لنبذ هذه الفكرة! فأنا لم أرغب فى تصديقها، لذا فقد تظاهرت بينى وبين نفسى أنها فكرة شريرة وبشعة من جانبى".

قال لوك فى هدوء:

"ألم يسبق لك أن شعرت بالخوف - على نفسك؟".

فكرت السيدة وينفليت فى كلامه.

"هل تقصد أنه قد يبحث عن وسيلة للتخلص منى إن ساوره الشك بأننى أعرف؟".

"نعم".

قالت السيدة وينفليت برفق:

"كنت مدركة بالطبع لهذا الاحتمال... وحاولت أن أكون حريصة، ولكنى لم أعتقد أن جوردون كان ليعتبرنى تهديدًا حقيقيًا".

"لماذا؟".

تورد وجه السيدة وينفليت قليلاً:

"لا أظن أن جوردون قد يعتقد أننى قد أفعل أى شىء يؤذيه".

قال لوك فجأة:

"هل وصلت إلى هذا المدى، هل قمت بتحذيره؟".

"نعم. هذا ما حدث، ألمحت له أنه غريب حقًا أن أى شخص يضايقه يتعرض لحادث بعد ذلك بفترة قصيرة".

سألت بريدجيت:

"وماذا قال؟".

عَمَّ تعبير ينم عن القلق وجه السيدة وينفليت.

"لم تكن استجابته متوقعة بالمرة. بدا - وهذا غريب بالفعل! - سعيدًا... قال: "إذن لقد لاحظت هذا؟". كان معتزًا بنفسه للغاية إن صح التعبير".

قال لوك: "إنه مجنون بدون شك".

وافقته السيدة وينفليت.

"نعم فى الواقع، ليس هناك أى تفسير آخر محتمل. إنه ليس مسئولاً عن تصرفاته". وضعت يدها على ذراع لوك. "إنهم - إنهم لن يشنقوه يا سيد فيتزوليم؟".

"لا، لا، سيرسلونه إلى برودمور على ما أعتقد".

تنهدت السيدة وينفليت واتكأت للوراء.

"أنا سعيدة للغاية".

استقرت عيناها على بريدجيت التى كانت تقطب وتحدق بالسجادة.

قال لوك:

"ولكننا مازلنا بعيدين كل البعد عن هذا. لقد أبلغت السلطات بالأمر وأنا واثق من أنهم سيأخذونه بصورة جدية. ولكن علينا أن ندرك أن ما بين أيدينا من أدلة واهٍ للغاية".

قالت بريدجيت: "سوف نحصل على دليل".

نظرت إليها السيدة وينفليت. كان هناك شىء ما فى تعبير وجهها ذكر لوك بشىء أو شخص لم يره منذ مدة طويلة. حاول أن يضع يده على هذه الذكرى المراوغة ولكنه فشل.

قالت السيدة وينفليت فى شك:

"أنت واثقة يا عزيزتى. حسنًا، ربما تكونين محقة".

قال لوك:

"سوف أذهب بالسيارة يا بريدجيت وآتى بأشيائك من المانور".

قالت بريدجيت على الفور:

"سوف آتى أيضًا".

"أفضل ألا تفعلى".

"نعم، لكننى أفضل أن آتى".

قال لوك فى ضيق:

"لا تلعبى معى لعبة الأم والطفل يا بريدجيت! أرفض أن تحمينى".

تمتمت السيدة وينفليت:

"أعتقد يا بريدجيت أنه سيكون بخير إن ذهب بسيارته وفى وضح النهار".

ضحكت بريدجيت فى خجل.

"أعرف أننى أتصرف بحماقة: إن هذا الأمر يسبب لى التوتر".

قال لوك:

"إن السيدة وينفليت أوصلتنى حتى المنزل لحمايتى فى إحدى الليالى. هيا يا سيدة وينفليت اعترفى بهذا!".

اعترفت بهذا وهى تبتسم.

"كما ترى يا سيد فيتزوليم؛ فقد كنت بعيدًا كل البعد عن أية شكوك! ولو كان جوردون ويتفيلد قد علم أنك جئت إلى هنا للتنقيب فى شئونه فقط. حسنًا، ما كان ذلك ليكون آمنًا. وكان هذا الطريق مقفرًا للغاية. أى شىء كان من الممكن أن يحدث".

قال لوك بجدية: "حسنًا، أنا أدرك الخطر المحدق بى الآن. إنه لن يضبطنى نائمًا، أؤكد لكما ذلك".

قالت السيدة وينفليت فى قلق:

"تذكر أنه ماكر للغاية، وأبرع مما قد تتخيل! إنه نابغ بالفعل".

"سوف أتوخى الحذر".

قالت السيدة وينفليت: "إن الرجال يتحلون بالشجاعة. نحن نعرف هذا، ولكنهم أسهل خداعًا من النساء".

قالت بريدجيت: "هذا صحيح".

قال لوك:

"هل تعتقدين يا سيدة وينفليت أننى فى خطر بالفعل؟ هل تعتقدين - بلغة السينما - أن اللورد ويتفيلد يسعى للنيل منى؟".

ترددت السيدة وينفليت.

قالت: "أعتقد أن بريدجيت هى المعرضة للخطر الحقيقى، فرفضها له يعد إهانة حقيقية له! وأعتقد أنه بعدما ينال من بريدجيت سوف يوجه أنظاره لك، ولكنى أومن أنه سيسعى للنيل منها أولاً".

تجهم لوك.

"أتمنى أن تسافرى على الفور يا بريدجيت".

زمت بريدجيت شفتيها معًا.

"لن أرحل".

تنهدت السيدة وينفليت.

"أنت شجاعة يا بريدجيت. أنا معجبة بك".

"كنت ستفعلين نفس الشىء لو كنت مكانى".

"حسنًا، ربما".

قالت بريدجيت بصوت واثق وعذب:

"أنا ولوك مشتركان فى هذا الأمر معًا".

رافقته حتى الباب. قال لوك:

"سوف أتصل بك من بيلز آند موتلى حينما أخرج سالمًا من عرين الأسد".

"من فضلك قم بذلك".

"يا عزيزتى، دعينا لا نفقد رباطة جأشنا! حتى أعتى القاتلين يحتاجون إلى وقت لإعداد خططهم! يمكننى التأكيد أننا سنكون بأمان وبمنأى عن الخطر لمدة يوم أو اثنين. إن المراقب باتل سوف يصل من لندن اليوم، وحينما يحدث هذا سوف يصبح ويتفيلد تحت المراقبة".

"فى الواقع كل شىء على ما يرام؛ لذا علينا أن نكف عن إثارة كل هذه الجلبة".

قال لوك بتجهم وهو يضع يده على ذراعها:

"بريدجيت يا حبيبتى، سوف تعديننى بأنك لن تفعلى أى شىء متهور!".

"وأنت سوف تعدنى بالمثل يا عزيزى لوك".

ضغط على كتفها بشدة وقفز داخل السيارة وانطلق بها.

عادت بريدجيت إلى غرفة الجلوس. حدثتها السيدة وينفليت بصوت رقيق عجوز:

"عزيزتى، إن غرفتك ليست جاهزة بعد. إن إميلى تقوم بترتيبها. أتعلمين ما الذى سوف أفعله؟ سوف أعد لك فنجان شاى لطيفًا! إنه ما تحتاجين إليه تمامًا بعد كل هذه الأحداث المؤسفة".

"أنت كريمة للغاية يا سيدة وينفليت، ولكننى لا أريد شايًا".

ما كانت تريده بريدجيت حقًا هو أى مشروب آخر أقوى، ولكنها فطنت أنها لن تحصل على مثل هذا النوع من الشراب المنعش هنا. كانت تبغض الشاى كثيرًا؛ فكان يسبب لها عسر هضم، لكن السيدة وينفليت كانت قد قررت أن الشاى هو الشىء الذى تحتاج إليه ضيفتها الشابة، فانطلقت خارج الغرفة وعادت بعد خمس دقائق بوجه مشرق وهى تحمل صينية يستقر فوقها قدحان مملوءان بسائل مغلى جميل الرائحة.

قالت السيدة وينفليت فى فخر: "لابسانج سوشونج حقيقى".

ابتسمت بريدجيت التى كانت تبغض الشاى الصينى أكثر من بغضها للشاى الهندى.

فى هذه اللحظة دخلت إميلى - وهى فتاة ضئيلة الحجم تبدو مصابة بالرعونة والزائدة الدودية - وأعلنت:

"عذرًا يا سيدتى، أريد منك أن تأتى لمساعدتى فى ترتيب الغرفة".

غادرت السيدة وينفليت الغرفة، فاستغلت بريدجيت هذه الفرصة وسكبت شايها من النافذة والذى كاد يسقط على ونكى بو الذى كان يجلس أسفل النافذة على إحدى المزاهر.

قبل ونكى بو اعتذارها وصعد على حافة النافذة ليدخل الغرفة ويقفز على كتفى بريدجيت وهو يموء.

قالت بريدجيت وهى تمرر يدها على ظهره: "قط جميل!".

قوّس ونكى بو ذيله وأخذ يموء بقوة أكبر.

قالت بريدجيت وهى تداعب أذنيه: "قط بدين لطيف".

عادت السيدة وينفليت فى هذه اللحظة.

قالت: "قطى الحبيب. إن ونكى بو مغرم بك، أليس كذلك؟ إنه شديد التحفظ مع الآخرين! انتبهى لأذنه يا عزيزتى؛ فقد كانت مصابة مؤخرًا ومازالت تؤلمه للغاية".

جاء التحذير متأخرًا؛ فقد مرت يد بريدجيت على الأذن المتألمة. بصق ونكى بو عليها وابتعد فى صورة كتلة برتقالية مجروحة المشاعر.

صاحت السيدة وينفليت: "يا إلهى! هل خدشك؟".

قالت بريدجيت وهى تمص الدم من الجرح فى ظهر يدها "جرح بسيط".

"هلا وضعت بعض اليود عليه؟".

"لا، لا، لا بأس. إنه صغير للغاية. دعينا لا نُثِر جلبة بشأنه".

بدت السيدة وينفليت محبطة قليلاً. وللتخلص من شعورها بأنها كانت وقحة قالت بريدجيت بسرعة:

"أتساءل كم من الوقت سيغيب لوك؟".

"لا تقلقى يا عزيزتى، أعتقد أن السيد فيتزوليم قادر على العناية بنفسه".

"إن لوك هو رجل صلب بالفعل!".

فى تلك اللحظة رن جرس الهاتف، فأسرعت نحوه بريدجيت. أجابها لوك:

"مرحبًا؟ هل هذا أنت يا بريدجيت؟ أنا فى ملهى بيلز آند موتلى. هل يمكنك تأجيل خططك إلى ما بعد الغداء؟ لأن باتل وصل إلى هنا. أنت تدرين من أعنى -".

"المراقب من سكوتلاند يارد؟".

"نعم، وهو يرغب فى محادثتى على الفور".

"لا بأس. أحضر لى أشياتى بعد الغداء وأخبرنى برأيه فى الأمر".

"حسنًا، الوداع يا حبيبتى".

"الوداع".

وضعت بريدجيت سماعة الهاتف وأعادت على مسامع السيدة وينفليت الحوار الذى دار بينهما، بعد ذلك تثاءبت. فقد تلا شعورها بالإثارة شعور بالإجهاد.

لاحظت السيدة وينفليت هذا.

"أنت متعبة يا عزيزتى! من الأفضل أن تستلقى. لا، لن يكون ذلك تصرفًا حكيمًا قبل الغداء. كنت على وشك أن آخذ بعض الملابس القديمة لسيدة تسكن كوخًا فى مكان قريب من هنا. إنها تمشية جميلة وسط الحقول. ربما قد تودين الإتيان معى؟ سوف نضيع بعض الوقت قبل الغداء".

وافقتها بريدجيت.

خرجتا متجهتين إلى وجهتيهما. كانت السيدة وينفليت ترتدى قبعة من القش وشيئًا آخر أثار دهشة بريدجيت ألا وهو قفازات.

قالت لنفسها: "ربما سنذهب أيضًا إلى شارع بوند!".

أخذت السيدة وينفليت تثرثر فى بهجة حول أمور ريفية بسيطة أثناء سيرهما، عبرتا حقلين، ثم طريقًا وعرًا، ثم أخذتا طريقاً يحيط به غيضة غير منتظمة من الأشجار. كان اليوم حارًا؛ لذا سعدت بريدجيت بظل الأشجار.

اقترحت عليها السيدة بريدجيت الجلوس ونيل قسط من الراحة.

"إن الجو دافئ اليوم، ألا تعتقدين هذا؟ لقد اعتقدت أن هناك رعدًا بالسماء!".

أذعنت بريدجيت وهى تشعر بالنعاس. استلقت ضد الضفة. كانت عيناها شبه مغلقتين. كانت بعض أبيات الشعر تتردد فى ذهنها.

لماذا تتجولين عبر الحقول وأنت ترتدين القفازات.

أنت أيتها المرأة البيضاء البدينة التى لا يحبها أحد؟

ولكن لم يكن هذا صحيحاً! فالسيدة وينفليت لم تكن بدينة. عدلت الكلمات لتناسب الواقع.

لماذا تتجولين عبر الحقول وأنت ترتدين القفازات.

أنت أيتها السيدة النحيفة الشمطاء التى لا يحبها أحد؟

قطعت السيدة وينفليت حبل أفكارها.

"أنت تشعرين بالنعاس يا عزيزتى، أليس كذلك؟".

قالت هذه الكلمات بنبرة عادية رقيقة، ولكن شيئًا ما بها جعل بريدجيت تفتح عينيها فجأة.

كانت السيدة وينفليت تتكئ للأمام نحوها. كانت عيناها متقدتين ولسانها يمر برفق فوق شفتيها. كررت سؤالها:

"أنت تشعرين بالنعاس، ألست كذلك؟".

فى هذه المرة لم يكن هناك مجال للخطأ فى تفسير مغزى نبرة الصوت. مر وميض خلال عقل بريدجيت. وميض استيعاب لما يحدث تبعه شعور بالخزى من بلاهتها وحماقتها!

كانت تشك بالأمر، ولكن لم يعد هذا الشعور لديها أكثر من مجرد شك. أرادت أن تعمل بهدوء وسرية لتتأكد، ولكنها لم تشك للحظة أنها قد تتعرض لأية محاولة إيذاء، وهى قد أخفت شكوكها تمامًا؛ فهى لم تكن لتحلم أن مكيدة قد تدبر فى مثل هذه السرعة. يا لك من غبية!

قالت لنفسها فجأة:

"الشاى. كان هناك شىء بالشاى. إنها لم تكن تعلم أننى لن أشربه. الآن تلك هى فرصتى! لابد أن أتظاهر! ما الذى وضعته فى الشاى يا ترى؟ سم؟ أم فقط مادة منومة؟ إنها تتوقع منى أن أكون شاعرة بالنعاس، هذا واضح".

تركت جفنيها يسقطان ثانية، وفيما تمنت أن تكون نبرة صوت نعسة طبيعية قالت:

"أنا أشعر بالنعاس بشدة... هذا غريب! أنا لا أتذكر آخر مرة شعرت فيها بالنعاس بهذه الطريقة!".

أومأت السيدة وينفليت برقة.

راقبت بريدجيت السيدة العجوز عن كثب خلال عينيها شبه المغلقتين.

قالت لنفسها:

"أنا أستطيع التغلب عليها على أية حال! فعضلاتى قوية للغاية. كما أنها مجرد سيدة عجوز نحيفة وضعيفة. ولكن علىّ أن أجعلها تتحدث. لابد من هذا. لابد أن أجعلها تتحدث!".

كانت السيدة وينفليت تبتسم. لم تكن ابتسامة لطيفة بل كانت ابتسامة ماكرة وليست بشرية.

فكرت بريدجيت:

"إنها تشبه العنزة. يا إلهى! إنها تشبه العنزة كثيرًا! طالما كانت العنزة رمزًا للشر! أرى السبب فى ذلك الآن! كنت محقة. كانت الفكرة الخيالية التى راودتنى صحيحة! فما من شيطان أسوأ من امرأة منبوذة... كانت هذه هى البداية. هكذا بدأ الأمر".

تمتمت وفى هذه المرة كان الترقب واضحًا فى صوتها.

"لا أعلم ماذا أصابنى... ينتابنى شعور غريب... شعور غريب للغاية!".

نظرت السيدة وينفليت حولها بسرعة. كانت البقعة التى توجدان بها مقفرة للغاية؛ فكانت بعيدة عن القرية لدرجة لن تجعل أحدًا يسمع أية صيحات. ولم تكن هناك منازل أو أكواخ بالقرب من هذا المكان. بدأت تعبث بالحقيبة التى تحملها. الحقيبة التى كان من المفترض أن تضم ملابس قديمة. من الواضح أن هذا صحيح؛ فهى قد مزقت الكيس الورقى كاشفة

عن ملابس صوفية ناعمة. ومع ذلك كانت تلك اليدان اللتان تكسوهما القفازات مازالتا تبحثان وتبحثان.

لماذا تتجولين عبر الحقول وأنت ترتدين القفازات؟

"نعم. لماذا؟ لماذا ترتدى قفازات؟".

بالطبع! بالطبع! كل شىء تم التخطيط له ببراعة!

مزقت التغليف، وبحرص أخرجت السيدة وينفليت السكين وأمسكت السكين بحرص شديد وكأنها لا تريد أن تفسد بصمات الأصابع التى توجد بالفعل فوقه ـ من حيث أمسكته الأصابع المكتنزة للورد ويتفيلد فى وقت مبكر من هذا اليوم فى غرفة الاستقبال فى آش مانور.

السكين المغربية ذات النصل الحاد.

شعرت بريدجيت بالغثيان. لابد أن تكسب وقتًا ـ نعم لابد أن تجعل السيدة تتحدث ـ هذه السيدة النحيفة العجوز التى لا يحبها أحد. إن الأمر ليس صعبًا ـ لا ينبغى له أن يكون كذلك، فلابد أنها ترغب فى التحدث بشدة ـ والشخص الوحيد الذى يمكنها التحدث إليه هو شخص مثل بريدجيت ـ شخص سوف تقوم بإسكاته للأبد.

قالت بريدجيت بصوت ضعيف ثقيل:

"ما ـ ما هذه السكين؟".

فى تلك اللحظة ضحكت السيدة وينفليت.

كانت ضحكة بشعة، رقيقة وموسيقية وأنثوية وغير بشرية تمامًا. قالت:

"إنها من أجلك يا بريدجيت. من أجلك! طالما بغضتك ـ كما تعلمين ـ منذ فترة طويلة".

قالت بريدجيت:

"لأننى كنت سأتزوج جوردون ويتفيلد؟".

أومأت السيدة وينفليت.

"أنت حاذقة. حاذقة للغاية! فهذا كما ترين سوف يكون الدليل الحاسم ضده. سوف يجدونك هنا ـ رقبتك منحورة ـ وسكينه، وبصمات أصابعه على السكين! كم كنت ذكية حينما طلبت رؤية هذه السكين فى هذا الصباح!

بعد ذلك قمت بدسها فى حقيبتى بعد أن غلفتها بمنديل أثناء وجودكما بالطابق العلوى. كان الأمر سهلاً للغاية، ولكن الأمر برمته كان فى غاية السهولة، حتى إننى كنت أجد صعوبة فى تصديقه".

قالت بريدجيت مستخدمة نفس نبرة الصوت الواهنة المكتومة لشخص مخدر بشدة:

"هذا ـ لأنك ـ ذكية ـ كشيطان...".

ضحكت السيدة وينفليت ضحكتها الصغيرة الأنثوية مجددًا. قالت بفخر بشع:

"نعم، طالما كنت ذكية، حتى حينما كنت شابة! ولكنهم لم يدعونى أفعل شيئاً... كان على البقاء فى المنزل ـ حيث لم أكن أفعل شيئاً ـ بعد ذلك جاء جوردون ـ هذا الشاب البسيط ابن صانع الأحذية، لكنه كان طموحًا للغاية. كنت أعلم أنه سيصبح ذا شأن يومًا ما. وقد نبذنى ـ نبذنى أنا! كل ذلك بسبب هذا الأمر السخيف الخاص بالطائر".

تظاهرت وكأنها تعصر شيئاً ما بيديها.

مرة أخرى اجتاح بريدجيت شعور بالغثيان.

"جوردون يجرؤ على نبذى أنا. أنا ابنة الكولونيل وينفليت! أقسمت أننى سأنتقم منه لذلك! ظللت أفكر بالأمر ليلة بعد أخرى... وفى ذلك الحين فقدنا ثروتنا وأصبحنا فقراء. كان لابد لنا أن نبيع المنزل. وقد اشتراه! وجاء لى يتعالى علىّ وعرض علىّ وظيفة فى منزلى القديم. كم كرهته فى هذه اللحظة! ولكننى لم أكشف عن مشاعرى قط؛ فقد علمونا ذلك حينما كنا أطفالاً. كان تدريبًا قيمًا بالفعل. طالما اعتقدت أن مثل هذه المقدرة علىّ السيطرة على المشاعر هى التى تميز أولاد الطبقات الراقية".

سكتت دقيقة. ظلت بريدجيت ترقبها وهى لا تجرؤ على التنفس تقريبًا حتى لا تقطع تدفق الكلمات.

واصلت السيدة وينفليت كلامها برقة:

"كنت أفكر طوال الوقت... فى البداية لم أفكر سوى فى قتله. هذا حينما شرعت فى القراءة عن علم الجريمة. فى تحفظ بالطبع. بالمكتبة. وقد اكتشفت بعد ذلك أكثر من مرة أن قراءاتى آتت ثمارها. باب حجرة آمى على سبيل المثال، إدارة المفتاح داخل القفل من الخارج باستخدام مسحبة بعد أن غيرت مكان الزجاجتين بجوار فراشها. الطريقة التى كانت تشخر بها هذه الفتاة. كانت مثيرة للاشمئزاز للغاية!".

سكتت.

"دعينى أتذكر، ماذا حدث بعد ذلك؟".

إن تلك الموهبة التى قامت بريدجيت بتطويرها. والتى سحرت اللورد ويتفيلد. موهبة الإنصات بتمعن أسدتها الكثير من النفع الآن؛ فربما تكون هورونيا وينفليت قاتلة مجنونة لكنها كانت تشترك مع غيرها من الناس فى صفة أكثر شيوعًا؛ فكانت إنسانة تود التحدث عن نفسها، ونظرًا للمستوى الاجتماعى لهذه الإنسانة فإن بريدجيت كانت شخصًا ملائمًا لتلقى الحديث.

قالت بصوت مشجع على مواصلة الكلام:

"كنت تودين قتله فى البداية ـ".

"نعم، ولكن هذا لم يكن مرضيًا لى. فكان عاديًا للغاية. كان علىَّ القيام بما هو أفضل من مجرد القتل، وبعد ذلك راودتنى الفكرة. جاءتنى بهذه البساطة. عليه نيل العقاب على جرائم لم يرتكبها. لابد أن يكون قاتلا! لابد أن يشنقوه من أجل جرائمى. أو إنهم سيعتقدون أنه مجنون ويتم احتجازه فى مستشفى طول حياته... وسيكون هذا أفضل".

ضحكت الآن ضحكة صغيرة بشعة... كانت عيناها تحدقان بحدقتين متسعتين غريبتين.

"كما قلت لك، قرأت الكثير من الكتب عن الجريمة. كنت أنتقى ضحاياى بحرص. ولم يكن هناك من ارتاب فى الأمر فى البداية. وأنا كنت ـ"، ازداد صوتها عمقًا "كنت أستمتع بالقتل... هذه المرأة البغيضة، ليديا هورتون. كانت تتعالى علىّ. وذات مرة نعتتنى بالمرأة العجوز. كنت سعيدة حينما تشاجر جوردون معها. عصفوران بحجر واحد كما ظننت! كم حظيت

بالمتعة وأنا أجلس إلى جوار فراشها وأدس الزرنيخ فى شايها، وبعد ذلك أخرج وأخبر الممرضة كيف كانت السيدة هورتون تشكو من المذاق اللاذع لعنب اللورد ويتفيلد! والمرأة الغبية لم تردد هذا الكلام بعد ذلك، يا لها من خسارة!

وهناك الآخرون! بمجرد أن أسمع أن جوردون تشاجر مع أحد كنت أرتب بسهولة شديدة لحادث يقع له! وهو كان غبيًا. كان شديد الغباء! فقد جعلته يؤمن بأن الله حباه بصفة خاصة للغاية! وذلك أن أى أحد يقف فى وجهه ينال جزاءه، وقد صدق هذا بسهولة. جوردون المسكين! إنه يصدق أى شىء. يا له من شخص سهل الانخداع!".

تذكرت بريدجيت نفسها وهى تقول للوك فى ازدراء:

"جوردون! إنه يصدق أى شىء!".

"سهل الانخداع! سهل الانخداع للغاية. جوردون المسكين الساذج المغرور".

ولكن عليها معرفة المزيد! سهل؟ كان هذا سهلاً أيضًا! فهى ظلت تفعل هذا كسكرتيرة لسنوات؛ فطالما شجعت مرءوسيها على الحديث عن أنفسهم، وكانت هذه المرأة تتوق إلى أن تتحدث، كى تتباهى بذكائها.

تمتمت بريدجيت:

"ولكن كيف تمكنت من فعل كل هذا؟ لا أعرف كيف فعلت هذا".

"كان ذلك سهلاً للغاية! كل ما كنت بحاجة إليه هو التنظيم! فحينما تم طرد آمى من المانور قمت بتعيينها على

الفور. اعتقدت أن فكرة طلاء القبعات كانت حاذقة للغاية. وكون الباب مغلقًا من الداخل أبعدنى عن كل الشبهات، ولكننى بالطبع كنت دومًا بعيدة عن الشبهات لأنه لم يكن لدى دافع، وأنت لا تستطيعين الاشتباه فى ارتكاب شخص لجريمة قتل إن لم يكن لديه دافع. وكان التخلص من كارتر شديد السهولة كذلك. فكان يترنح فى الضباب وقد ذهبت إليه ودفعته بسرعة؛ فأنا قوية للغاية كما تعلمين".

سكتت وضحكت ضحكتها الصغيرة البغيضة ثانية.

"كان الأمر برمته ممتعًا للغاية! أنا لن أنسى أبدًا وجه تومى حينما دفعته من فوق إطار النافذة فى هذا اليوم. إنه لم يكن يتوقع ذلك أبدًا...".

اتكأت نحو بريدجيت فى ثقة.

"إن الناس أغبياء حقًا. أنا لم أكن أدرك هذه الحقيقة من قبل".

قالت بريدجيت برقة:

"لكنك كنت شديدة الذكاء".

"نعم، نعم، ربما أنت محقة".

قالت بريدجيت:

"دكتور هامبلباى. لابد أنك لاقيت مزيدًا من الصعوبة فى التخلص منه؟".

"نعم، من المذهل حقًا أن هذه الخطة نجحت؛ فربما كانت تبوء بالفشل بالطبع، لكن جوردون كان يحدث الجميع عن زيارته لمؤسسة ويللرمان كروتز، ففكرت أننى ربما أستطيع التخلص

منه بطريقة تجعل الناس يتذكرون هذه الزيارة ويربطون بين الأمرين، وكانت أذن ونكى بو قذرة بالفعل ويخرج منها صديد. وقد نجحت فى غرس طرف مقصى فى يد الطبيب، وبعد ذلك تظاهرت بالانزعاج وصممت على وضع ضمادة على الجرح. وهو لم يكن يعلم أن الضمادة ملوثة بتصريف أذن ونكى بو. بالطبع كان من المحتمل ألا ينجح الأمر. كانت مجرد مقامرة؛ وقد شعرت بسعادة غامرة حينما نجحت. وخاصة لأن ونكى بو كان قط لافينيا".

امتقع وجهها.

"لافينيا بنكرتون! كانت ترتاب بالأمر؛ فهى التى عثرت على تومى فى ذلك اليوم. وبعد ذلك حينما تشاجر جوردون مع دكتور هامبلباى العجوز، ضبطتنى أنظر إلى هامبلباى. لم أكن فى وعيى فى هذه اللحظة؛ فكنت أتساءل عن الطريقة التى يمكننى من خلالها التخلص منه... وقد كشفت أمرى! استدرت لأجدها تراقبنى فأشحت بوجهى بعيدًا؛ فقد أدركت أنها فضحتنى. لم يكن بوسعها إثبات شىء بالطبع. كنت واثقة من هذا، ولكننى على الرغم من ذلك كنت خائفة من أن يصدقها أحد. كنت خائفة عسى أن يصدقوها فى سكوتلاند يارد. كنت واثقة من أنها كانت ذاهبة إلى هناك فى ذلك اليوم. كنت أستقل نفس القطار وتبعتها إلى هناك.

كان الأمر غاية فى السهولة. كانت تعبر شارع وايتهول. كنت خلفها مباشرة، وهى لم ترنى. إنها لم ترنى قط. جاءت سيارة بسرعة فقمت بدفعها بأقصى ما أوتيت من قوة؛ فأنا

قوية للغاية! فما كان منها إلا أن سقطت أمامها مباشرة. فأخبرت السيدة التى كانت تقف إلى جوارى أننى رأيت رقم السيارة وأمليتها رقم سيارة جوردون الرولز، وتمنيت أن تعيده على مسامع الشرطة.

ومن حسن حظى أن السيارة لم تتوقف؛ فكان سائق ما يتنزه بسيارة سيده دون علمه على ما أعتقد. نعم كنت سعيدة الحظ للغاية هناك. أنا دومًا سعيدة الحظ، ثم كان هذا الشجار مع ريفرز، ووجود لوك فيتزوليم كشاهد. كنت مستمتعة للغاية وأنا أقوم بتضليله! يا إلهى، كم كان صعبًا أن أجعله يشك فى جوردون، ولكن بعد موت ريفرز كان ينبغى عليه ذلك!

والآن. حسنًا، هذه الجريمة سوف تنهى الأمر بشكل لطيف".

نهضت وجاءت ناحية بريدجيت. قالت برفق:

"جوردون نبذنى! كان سيتزوج منك. كم عانيت من الإحباط طوال حياتى. لم يتبق لى شىء. لم يتبق لى شىء على الإطلاق...".

"أيتها السيدة العجوز النحيفة التى لا يحبها أحد...".

كانت مائلة فوقها وتبتسم بعينيها البراقتين... بينما تلمع السكين...

وبكل ما أوتيت من قوة اندفعت بريدجيت، وكقط متوحش ألقت نفسها بقوة فوق المرأة الأخرى لتصرعها للخلف وتمسك برسغها الأيمن.

نزلت المفاجأة على وينفليت كالصاعقة؛ فسقطت للخلف بفعل قوة الانقضاض، ولكن بعد لحظة من الجمود بدأت

"ربما يتضح أن الأمر خطير بالفعل يا سيد فيتزوليم؛ فحينما يكون رجل مثل اللورد ويتفيلد متورطًا بالأمر لا نرغب فى ارتكاب أية أخطاء".

"أنا أقدر هذا. هل أنت وحدك؟".

"لا، لا. جاء رقيب محقق معى. وهو بملهى سفن ستارز، ومهمته هى مراقبة اللورد".

"نعم".

سأل باتل:

"ألا يراودك أى شك يا سيد فيتزوليم، هل أنت واثق من أن هذا الرجل هو الفاعل؟".

"بناء على الحقائق لا أجد نظرية أخرى محتملة. هل تريد منى أن أتلو عليك الحقائق؟".

"شكرًا لك، لقد حصلت عليها من السير وليم".

"حسنًا، وماذا تعتقد؟ أفترض أنك تعتقد أنه من غير المحتمل أن يكون رجل فى مكانة اللورد مجرمًا قاتلاً؟".

قال المراقب باتل: "أشياء قليلة للغاية هى التى تبدو لى غير محتملة. لا شىء مستحيل فى عالم الجريمة. هذا هو شعارى الذى أردده دومًا؛ فإن قلت لى إن امرأة عجوزًا أو رجل دين أو فتاة صغيرة فى المدرسة هو مجرم خطير، فلن أجادلك وإنما سأبحث فى الأمر".

قال لوك: "إن كنت قد حصلت على الحقائق الأساسية للقضية من السير وليم، فسوف أروى لك ما حدث هذا الصباح".

سرد باختصار تلك الواقعة التى حدثت فى منزل اللورد ويتفيلد. أنصت المراقب باتل باهتمام بالغ.

قال:

"قلت إنه كان يتلمس سكينًا. هل قال شيئاً معينًا عن هذه السكين يا سيد فيتزوليم؟ هل كان يهدد بفعل شىء به؟".

"ليس صراحة. لقد اختبر النصل بطريقة قذرة. فكان منغمسًا فى شعور بالسعادة لم أكترث له. وقد راود السيدة وينفليت نفس الشعور على ما أعتقد".

"هذه هى السيدة التى أتيت على ذكرها. السيدة التى عرفت اللورد منذ سنوات عديدة وكانت مخطوبة له ذات يوم؟".

"هذا صحيح".

قال المراقب باتل:

"أعتقد أنه من الآن فصاعدًا يمكنك أن تكف عن القلق حيال الشابة يا سيد فيتزوليم؛ فأنا سأكلف شخصًا بمراقبتها جيدًا. وبذلك، بالإضافة إلى تعقب جاكسون للورد، لن يكون هناك احتمال أن يحدث شىء خطير".

قال لوك: "لقد هدأت من روعى كثيرًا حقًا".

أومأ المراقب فى تعاطف.

"إنك فى وضع صعب يا سيد فيتزوليم. كل هذا القلق حيال سلامة الآنسة كونواى. أنا لا أتوقع أن تكون تلك القضية سهلة، فلابد أن اللورد ويتفيلد هذا ذكى للغاية؛ فهو على الأرجح سوف يتحايل على القانون طويلاً. هذا إن لم يصل إلى المرحلة الأخيرة".

"وما هى المرحلة الأخيرة تلك؟".

"نوع من الغرور المتضخم؛ حيث يظن المجرم أنه ما من سبيل للإيقاع به! أنه ذكى للغاية والجميع أغبياء! فى ذلك الحين نوقع به بالطبع!".

أومأ لوك ثم نهض.

قال: "حسنًا، أتمنى لك حظًا سعيدًا. اطلب منى المساعدة متى احتجت إليها".

"بالتأكيد".

"أليس لديك اقتراحات معينة؟".

درس باتل السؤال فى ذهنه.

"لا أعتقد هذا. ليس فى الفترة الحالية. أريد فقط السيطرة على زمام الأمور بشكل عام فى المكان. ربما أحتاج للتحدث إليك مرة أخرى فى المساء؟".

"ربما".

"ففى ذلك الحين سوف أتعرف بصورة أفضل على ماهية الأرض التى نقف فوقها".

ساور لوك شعور غامض بالراحة والطمأنينة، العديدون يساورهم نفس هذا الشعور بعد التحدث إلى المراقب باتل.

نظر إلى ساعته. هل عليه العودة لرؤية بريدجيت قبل الغداء.

ظن أن من الأفضل ألا يفعل؛ فقد تشعر السيدة وينفليت أن عليها دعوته للبقاء لتناول الغداء؛ مما قد يفسد لها ترتيب منزلها، فكان لوك يعرف من خلال خبراته مع عماته أن السيدات متوسطات العمر ينزعجن كثيرًا إن صادفتهن مشاكل

خاصة بترتيب المنزل، وتساءل إن كانت السيدة وينفليت عمة؟ ربما.

خرج من الملهى. توقفت سيدة ترتدى ملابس سوداء كانت تسير مسرعة بالشارع حينما رأته.

"سيد فيتزوليم".

"سيدة هامبلباى".

ذهب إليها وصافحها.

قالت:

"ظننت أنك رحلت؟".

"لا. فقط غيرت مقر إقامتى. أنا أقيم هنا الآن".

"ماذا عن بريدجيت؟ سمعت أنها تركت آش مانور".

"هذا صحيح".

تنهدت السيدة هامبلباى.

"أنا سعيدة للغاية أنها رحلت عن ويتشوود".

"لا، إنها لاتزال هنا. فى الواقع إنها تقيم فى منزل السيدة وينفليت".

عادت السيدة هامبلباى خطوة للوراء، ولاحظ لوك فى دهشة أن وجهها امتلأ رعباً.

"تقيم فى منزل وينفليت؟ لكن لماذا؟".

"كانت السيدة وينفليت كريمة للغاية ودعتها إلى الإقامة فى منزلها لبضعة أيام".

ارتعدت السيدة هامبلباى واقتربت من لوك ووضعت يدها على ذراعه.

"يا سيد فيتزوليم . أعلم أنه ليس من حقى أن أقول شيئاً . أى شىء على الإطلاق. لقد عانيت الكثير من الحزن والأسى مؤخرًا، لذا ربما يكون خيالى هو من اخترع كل هذا! ربما تكون مشاعرى تلك هى مجرد خيالات".

قال لوك برفق:

"أية مشاعر؟".

"هذا الشعور الذى يساورنى بالـ . بالشر!".

نظرت بخوف إلى لوك، وحينما رأت أنه لم يفعل شيئاً سوى أن هز رأسه فى تجهم ولم يشكك فى شعورها واصلت كلامها قائلة:

"الكثير من الشر . هذا هو الشعور الذى يلازمنى دومًا . شر هنا فى ويتشوود، وهذه المرأة هى مصدر كل هذا الشر. أنا واثقة من ذلك!".

بدا لوك مصعوقًا.

"أى امرأة؟".

قالت السيدة هامبلباى:

"السيدة وينفليت، أنا واثقة من هذا، إنها امرأة شريرة للغاية! أرى أنك لا تصدقنى! لم يصدق أحد بنكرتون كذلك، ولكن أنا وهى ساورنا نفس الشعور، وهى كما أعتقد كانت تعرف أكثر مما أعرف أنا... ولا تنس يا سيد فيتزوليم أن المرأة قد تفعل أى شىء إن كانت تعيسة".

قال لوك برقة:

"ربما يكون هذا . صحيحاً".

"أنت لا تصدقنى؟ حسنًا، ولماذا قد تفعل؟ ولكنى لن أنسى قط اليوم الذى عاد فيه جون بجرح فى يده من منزلها، بالرغم من أنه استهان بالأمر وقال إنه مجرد خدش".

استدارت.

"وداعًا. من فضلك انس ما قلته لك لتوى؛ فأنا لست على سجيتى فى هذه الأيام".

راقبها لوك وهى ترحل . تساءل لماذا نعتت السيدة هامبلباى السيدة وينفليت بالمرأة الشريرة. هل كان دكتور هامبلباى والسيدة وينفليت صديقين، وكانت زوجة الطبيب تشعر بالغيرة؟

ما الذى قالته؟ "لم يصدق أحد بنكرتون كذلك". إذن لابد أن بنكرتون كانت قد أفضت بعضًا من شكوكها إلى السيدة هامبلباى.

عاودته ذكريات عربة القطار بسرعة وتذكر الوجه القلق للسيدة العجوز اللطيفة. سمع مجددًا صوتًا جادًا يردد: "النظرة على وجه هذا الشخص، والطريقة التى تغير بها وجهها وكأنها ترى شيئًا بوضوح فى عقلها. ظن للحظة أن وجهها كان مختلفًا. شفتاها عائدتان وراء أسنانها بينما توجد نظرة تحديق غريبة فى عينيها.

قال لنفسه فجأة: "ولكننى رأيت شخصًا ينظر هذه النظرة . نفس هذا التعبير... مؤخرًا . متى؟ هذا الصباح! بالطبع! السيدة وينفليت حينما كانت تنظر إلى بريدجيت فى غرفة الاستقبال فى المانور".

اجتاحته ذكرى أخرى فجأة. ذكرى مضى عليها الكثير من السنوات. عمته ميلدرد وهى تقول: "بدت يا عزيزى كشخص أحمق!" وطوال دقيقة ولد وجهها السوى المريح تعبيرًا أبله عقيمًا.

كانت بنكرتون تتحدث عن النظرة التى رأتها على وجه رجل . لا، على وجه شخص. هل من الممكن أن يكون خيالها الخصب هو الذى. ولو لمجرد لحظة. وَلَّدَ النظرة التى رأتها. نظرة قاتل ينظر إلى ضحيته التالية...

وهو شبه غير مدرك لما يفعله أسرع لوك خطاه تجاه منزل السيدة وينفليت.

كان هناك صوت فى رأسه ظل يردد ويردد:

"ليس رجلاً. إنها لم تقل إنه كان رجلاً. أنت افترضت أنه كان رجلاً لأنك كنت تفكر برجل. ولكنها لم تقل هذا قط. يا إلهى! هل أنا مجنون؟ إن ما أفكر به مستحيل. ليس منطقيًا... ولكن علىّ الذهاب إلى بريدجيت. لابد أن أتأكد أنها بخير. هاتان العينان. هاتان العينان الكهرمانيتان الغريبتان. أنا مجنون! لابد أن أكون مجنونًا! إن ويتفيلد هو المجرم! لابد من هذا. لقد اعترف بهذا تقريبًا!".

ومع ذلك وفى شىء أشبه بالكابوس رأى وجه السيدة وينفليت يعبره تعبير شنيع وليس سويًا بالمرة.

فتحت الخادمة ضئيلة الحجم الباب من أجله. قالت وهى تشعر بالفزع من العنف الذى فاجأها به:

"إن الآنسة خرجت. السيدة وينفليت طلبت منى أن أخبرك بهذا، سوف أرى إن كانت السيدة وينفليت بالداخل".

اندفع داخل المنزل ودلف داخل غرفة الاستقبال. ركضت إميلى صاعدة الدرجات، وهبطت للأسفل منقطعة النفس.

"السيدة خرجت كذلك".

أمسك لوك بها من ذراعها.

"أى طريق سلكت؟ أين ذهبتا؟".

حدقت به وهى فاغرة فمها.

"لابد أنهما خرجتا من الباب الخلفى؛ فكنت سأراهما لو أنهما خرجتا من الباب الأمامى؛ لأن نافذة المطبخ مجاورة للباب الأمامى".

تبعته أثناء ركضه خلال الباب حتى الحديقة الصغيرة ومنها إلى خارج المنزل. كان هناك رجل يجز سياجًا من الشجيرات. ذهب إليه لوك وطرح عليه سؤالاً وهو يصارع للتحدث بصوت طبيعى.

قال الرجل ببطء:

"امرأتان؟ نعم، منذ بعض الوقت. كنت أتناول عشائى أسفل السياج، والغريب أنهما لم يريانى".

"أى طريق سلكتا؟".

ظل يصارع للتحدث بنبرة صوت طبيعية، ومع ذلك فقد فتح الرجل الآخر عينيه أكثر أثناء إجابته ببطء:

"عبر الحقول... من هذا الطريق. لا أعرف إلى ماذا يؤدى هذا الطريق".

شكره لوك. بدأ يركض. ازداد شعوره بأن عليه الإسراع.

لابد أن يلحقهما. لابد من ذلك! ربما يكون مجنونًا تمامًا؛ فعلى الأرجح هما يتمشيان معًا، ولكن شيئًا ما صرخ بداخله مطالبًا إياه بالإسراع. الإسراع أكثرا

عبر حقلين، ووقف مترددًا فى طريق ريفى. أى طريق عليه أن يسلك الآن؟

بعد ذلك سمع الاستغاثة - ضعيفة، بعيدة، ولكن لا مجال للخطأ بشأنها...

"لوك، ساعدنى"، ومرة أخرى "لوك".

على الفور اندفع داخل الغابة وركض فى الاتجاه الذى جاءت منه الصرخة. كانت هناك مزيد من الأصوات الآن - شجار - لهاث - صرخة خفيضة تشبه القرقرة.

وصل عبر الأشجار فى الوقت المناسب لينتزع يدى امرأة مجنونة من فوق حلق ضحيتها؛ ليمسكها وهى تصارع وتسب حتى ارتعدت وتشنجت فى النهاية وتصلبت بين يديه.

الفصل ٢٣

بداية جديدة

قال اللورد ويتفيلد: "لكننى لا أفهم. أنا لا أفهم".

صارع للحفاظ على رباطة جأشه، ولكن أسفل هذا المظهر المتعالى كان جليًا سيطرة شعور بالارتباك المثير للشفقة عليه؛ فهو بصعوبة تمكن من تصديق الأشياء الغريبة التى أخبروه بها.

قال باتل فى صبر: "وهذه هى خلاصة الأمر يا لورد ويتفيلد. وقد اكتشفنا وجود تاريخ مرضى للإصابة بالجنون فى العائلة. اكتشفنا ذلك الآن، وهذا أمر شائع فى مثل هذه العائلات القديمة، لابد أنها كانت لديها استعداد للإصابة بالمرض، ومع ذلك فقد كانت سيدة طموحة أصابها الإحباط، أولًا بسبب مستقبلها المهنى، وثانيًا بسبب خطبتها". سعل المراقب. "وأنا أعرف أنك أنت من قام بنبذها!".

قال اللورد ويتفيلد فى خشونة:

"أنا لا أحب كلمة نبذ".

عدل المراقب باتل عبارته.

"كان أنت من فسخ الخطبة؟".

"حسنًا، نعم".

قالت بريدجيت: "أخبرنا عن السبب يا جوردون".

تورد وجه اللورد ويتفيلد بعض الشيء. قال:

"حسنًا، إن كان يتحتم علىّ ذلك. كان لديها طائر كنارى، كانت مغرمة به للغاية. كان معتادًا على تناول حبات السكر من فوق شفتيها. فى أحد الأيام نقر شفتها بعنف فاجتاحها شعور بالغضب والتقطت الطائر ودكت عنقه! اختلف شعورى نحوها منذ ذلك الحين، وأخبرتها أن كلينا ارتكب خطأ بارتباطه بالآخر".

أومأ باتل قائلاً:

"كانت تلك هى البداية! فكما أخبرت الآنسة كونواى فقد كرست وينفليت كل تفكيرها وقدراتها العقلية لهدف وغرض واحد".

قال اللورد ويتفيلد فى شك:

"أن يعتقد الجميع أننى قاتل؟ لا أستطيع تصديق هذا".

قالت بريدجيت: "هذه هى الحقيقة يا جوردون. أنت نفسك شعرت بالدهشة من الطريقة الغريبة التى يلقى بها حتفه كل من يضايقك أو يزعجك".

"هناك سبب لذلك".

قالت بريدجيت: "وينفليت كانت السبب. حاول دراسة الأمر فى عقلك يا جوردون، لم تكن لعنة خاصة هى التى دفعت

تومى بيرس من النافذة أو التى قتلت باقى الضحايا. وينفليت هى التى قامت بذلك".

هز اللورد ويتفيلد رأسه قائلاً:

"يبدو الأمر غير قابل للتصديق لى!".

قال باتل:

"تقول إنك قد تلقيت رسالة عبر الهاتف هذا الصباح؟".

"نعم - فى حوالى الساعة الثانية عشرة. طلب منى المتصل أن أتوجه إلى شووود على الفور لأنك - يا بريدجيت - كان لديك شىء لتقوليه لى، ويجب علىّ أن أذهب سيرًا على الأقدام دون أن أستقل السيارة".

أومأ باتل.

"تمامًا. كانت تلك ستكون النهاية. كان سيتم العثور على الآنسة كونواى منحورة وإلى جوارها سكينك وعليها بصماتك! وأنت نفسك سيتم رؤيتك فى الجوار فى ذلك الوقت! كانت التهمة ستلتصق بك بدون شك، وأى هيئة محلفين فى العالم كانت لتدينك لا محالة".

قال اللورد ويتفيلد فى فزع: "أنا. من كان ليصدق أننى قد أقوم بشىء مثل هذا؟".

قالت بريدجيت برقة:

"أنا لم أصدق يا جوردون. لم أصدق هذا ولو للحظة واحدة".

نظر إليها اللورد ويتفيلد ببرود ثم قال بخشونة:

"نظرًا لطبيعة شخصيتى ومكانتى فى المقاطعة لا أعتقد أن أى شخص كان ليصدق ولو للحظة واحدة أننى قد أرتكب مثل هذه الجرائم البشعة!".

غادر الغرفة فى عجرفة وأغلق الباب وراءه.

قال لوك:

"إنه لن يصدق أبدًا أنه كان فى خطر حقيقى!".

ثم قال:

"هيا يا بريدجيت، أخبرينا كيف ارتبت فى السيدة وينفليت؟".

شرحت لهما بريدجيت:

"كان ذلك حينما أخبرتنى بأن جوردون هو القاتل. لم يكن فى وسعى تصديق هذا! فكما تعرف، أنا أعرفه جيدًا؛ فأنا ظللت أعمل لديه عامين كسكرتيرته! كنت أعرفه فى الداخل والخارج! كنت أعلم أنه مغرور وأنانى للغاية، ولكننى كنت أعرف كذلك أنه شخص طيب القلب إلى حد سخيف؛ فهو لم يكن يستطيع قتل دبور. وهذه القصة عن قتله طائر السيدة وينفليت الكنارى . كانت خاطئة. لم يكن فى وسعه ببساطة القيام بذلك. وهو كان قد أخبرنى ذات مرة بأنه نبذها، ولكنك أصررت على أن العكس هو ما حدث. حسنًا، ظننت أن هذا ربما يكون صحيحًا! فقد يكون كبرياؤه قد منعه من الاعتراف بأنها هى التى نبذته. ولكننى لم أصدق قط قصة الكنارى! فليس جوردون هو من يفعل شيئًا كهذا! فهو لم يكن يصطاد؛ لأن رؤية الحيوانات الميتة كانت تجعله يشعر بالغثيان.

لذا فقد علمت أن جزءًا من القصة لم يكن صحيحًا. وإن كنت محقة، إذن فالسيدة بنكرتون كانت تكذب. وإن أمعنت التفكير فى الأمر كنت ستجد أنها كذبة غريبة حقًا! ثم تساءلت فجأة إن كانت قد رددت مزيدًا من الأكاذيب. كانت امرأة معتزة بذاتها للغاية، وكان هذا جليًا. لابد أن أمر نبذها قد جرح كرامتها بشدة، ولابد أنه جعلها تحنق على اللورد ويتفيلد وترغب فى الانتقام منه . وخاصة، كما تراءى لى، بعد نجاحه الكبير وتكوينه ثروة ضخمة؛ فقلت لنفسى: "نعم، إنها على الأرجح تتلذذ بالمساعدة فى تدبير مكيدة ضده". بعد ذلك انتابنى شعور غريب جعلنى أفكر بهذه الطريقة . ولكن ماذا لو أن كل شىء قالته كان مجرد كذبة . وفجأة أدركت كم من السهل بالنسبة لامرأة مثلها أن تخدع رجلاً! ثم فكرت: "هذا أمر بعيد الاحتمال، ولكن ماذا لو أن هى من قتلت كل هؤلاء الأشخاص وأقنعت جوردون بأنهم ينالون عقابًا إلهيًا!". من السهل للغاية أن تقنعه بمثل هذه الفكرة. فكما أخبرتك ذات مرة بأن جوردون يصدق أى شىء! وقلت لنفسى: "هل من الممكن أن تكون ارتكبت كل هذه الجرائم؟"، ورأيت أن هذا محتمل! فباستطاعتها دفع الرجل السكير . ودفع طفل خارج النافذة، كما أن آمى جيبس ماتت فى منزلها. والسيدة هورتون كذلك . فقد اعتادت وينفليت الذهاب إليها ومرافقتها أثناء مرضها. ودكتور هامبلباى هو الذى لاقيت صعوبة فى معرفة طريقة قتله. لم أكن أعرف أن ونكى بو لديه فطريات فى أذنه وأنها قد لطخت الضمادة التى وضعتها على يده بهذا

التصريف. ولم أعرف كذلك كيف قتلت السيدة بنكرتون لأننى لم أكن لأتخيل أن السيدة وينفليت بإمكانها التنكر فى ملابس سائق وقيادة سيارة رولز.

وبعد ذلك . فجأة . اكتشفت أن الأمر كان يسيرًا للغاية! دفعتها من الخلف، وهو أمر يمكنها القيام به بسهولة وسط الزحام. والسيارة لم تتوقف؛ لذا فقد رأتها فرصة سانحة وأخبرت امرأة أخرى أنها رأت رقم السيارة وأعطتها رقم سيارة اللورد ويتفيلد الرولز.

بالطبع، خطر لى كل ذلك ولكن بصورة غير واضحة، ولكن إن لم يكن جوردون هو من ارتكب هذه الجرائم. وكنت أعلم أنه لم يرتكبها، إذن فمن فعل هذا؟ وبدت الإجابة واضحة للغاية. "شخص ما يمقت جوردون!"، ومن ذا الذى يمقت جوردون؟ وينفليت بالطبع.

وبعد ذلك تذكرت أن السيدة بنكرتون أكدت أن القاتل هو رجل. وهذا دحض نظريتى الجميلة؛ لأنه فى حالة إذا لم تكن السيدة بنكرتون محقة ما كانت تعرضت للقتل... لذا طلبت منك أن تعيد علىّ كلمات السيدة بنكرتون بدقة، وسرعان ما اكتشفت أنها لم تقل أن القاتل هو "رجل" ولو مرة واحدة. فى ذلك الحين شعرت أننى محقة! لذا قررت قبول دعوة السيدة وينفليت للإقامة فى منزلها، وعقدت العزم على كشف الحقيقة".

قال لوك بغضب: "دون أن تقولى لى كلمة واحدة عن كل هذا؟".

"أنت يا عزيزى كنت واثقًا للغاية، وأنا لم أكون واثقة على الإطلاق! كان الأمر برمته يبدو غامضًا ومثيرًا للشك، ولكننى لم أحلم أننى قد أكون معرضة للخطر. ظننت أنه لازال أمامى متسع من الوقت..".

ارتعدت.

"يا إلهى يا لوك! كان الأمر مرعبًا... عيناها... وتلك الضحكة البشعة غير البشرية...".

قال لوك وهو يرتعد قليلاً:

"أنا لن أنسى أبدًا أننى وصلت إلى هناك فى الوقت المناسب تمامًا".

استدار صوب باتل قائلاً: "كيف حالها الآن؟".

قال باتل: "لقد جن جنونها؛ فهذا طبيعى كما تعلم. فهم لا يستطيعون قبول الصدمة بأنهم لم يكونوا أذكياء كما كانوا يعتقدون".

قال لوك فى حزن:

"حسنًا، أنا لست شرطيًا ماهرًا! أنا لم أشك فى وينفليت ولو مرة واحدة. لقد أبليت بلاء حسنًا حقًا يا باتل".

"ربما يكون هذا صحيحا وربما يكون لا؛ فربما تتذكر أننى قلت لك إنه لا شىء مستحيل فى عالم الجريمة، كما أننى أتيت على ذكر امرأة عجوز حسبما أتذكر".

"أنت ذكرت كذلك رجل الدين وفتاة صغيرة فى المدرسة! هل أفهم من ذلك أنك من الممكن أن ترتاب فى كل هؤلاء الأشخاص بوصفهم مجرمين محتملين؟".

اتسعت ابتسامة باتل.

"من الممكن أن يكون أى أحد مجرمًا يا سيدى، هذا ما قصدته".

قالت بريدجيت: "فيما عدا جوردون. لوك، تعال نذهب للبحث عنه".

وجدا اللورد ويتفيلد فى مكتبه مشغولاً بكتابة الملاحظات.

قالت بريدجيت بصوت خفيض رقيق: "جوردون، بعد أن عرفت الحقيقة الآن، هلا سامحتنا من فضلك؟".

نظر إليها اللورد ويتفيلد بدماثة.

"بالتأكيد يا عزيزتى، بالتأكيد. لقد عرفت الحقيقة، لقد كنت رجلاً مشغولاً للغاية، وبالتالى أهملتك. حقيقة الأمر هى كما صاغها كيبلنج بحكمة "إنه يسافر بأقصى سرعة ذلك الذى يسافر وحده"". هز كتفيه مضيفًا: "أنا أحمل على عاتقى مسئولية كبيرة، ولابد أن أحملها وحدى؛ فمن المستحيل أن أحظى بالرفقة، فلن يخفف أحد الحمل عنى. لابد أن أمضى قدمًا فى الحياة وحدى حتى توافينى المنية فى نهاية الطريق".

قالت بريدجيت:

"عزيزى جوردون! أنت بالفعل لطيف للغاية!".

قطب اللورد ويتفيلد.

"إن الأمر لا علاقة له بكونى لطيفًا. دعينا نبعد عن كل هذا الهراء. أنا فقط رجل مشغول".

"أعلم هذا".

"أنا أرتب لنشر سلسلة من المقالات على الفور. جرائم ارتكبتها امرأة على مدار فترة طويلة".

حدقت إليه بريدجيت بإعجاب.

"جوردون، أعتقد أنها فكرة مدهشة".

نفخ اللورد ويتفيلد صدره.

"من فضلكما اتركانى وحدى. لا أريد أن يزعجنى أحد؛ فأمامى الكثير من العمل للقيام به".

خرج كل من لوك وبريدجيت من الغرفة.

قالت بريدجيت: "ولكنه لطيف حقًا!".

"بريدجيت، أعتقد أنك كنت مغرمة بهذا الرجل للغاية!".

"أتدرى شيئًا يا لوك؟ أعتقد أن هذا صحيح".

نظر لوك خارج النافذة.

"سوف أكون سعيدًا بالرحيل عن ويتشوود. أنا لا أحب هذا المكان. هناك الكثير من الشر هناك كما قالت السيدة هامبلباى، لا أحب الطريقة التى يحتضن بها تل آش ريدج القرية".

"بمناسبة آش ريدج، ماذا عن إيلسورثى؟".

ضحك لوك وهو يشعر ببعض الخزى.

"هذا الدم الذى كان يوجد فوق يديه؟".

"نعم".

"يبدو أنهم قتلوا ديكًا أبيض!".

"يا له من أمر مثير للاشمئزاز!".

"أعتقد أن ثمة شيئًا غير سار سوف يحدث لصديقنا السيد إيلسورثى؛ فباتل يخطط مفاجأة صغيرة له".

قالت بريدجيت:

"والرائد هورتون المسكين لم يحاول قط كذلك قتل زوجته، والسيد آبوت ثار فقط بشأن خطاب تسوية تلقاه من سيدة ما، ودكتور توماس ما هو إلا طبيب شاب لطيف".

"إنه أحمق متغطرس!".

"أنت تقول ذلك لأنك تشعر بالغيرة من زواجه من روز هامبلباى".

"إنها تستحق من هو أفضل منه".

"طالما شعرت أنك معجب بهذه الفتاة أكثر منى!".

"عزيزتى، لا تكونى سخيفة".

"لا، أنا لست سخيفة".

سكتت دقيقة ثم قالت:

"لوك، هل أنت معجب بى الآن؟".

اقترب منها خطوة ولكنها أبعدته.

"قلت معجب بى وليس تحبنى".

"آه نعم... أنا معجب بك يا بريدجيت، كما أننى أحبك".

قالت بريدجيت:

"وأنا معجبة بك يا لوك...".

ابتسما لبعضهما البعض. فى خوف. كطفلين تصادقا فى حفل ما.

قالت بريدجيت:

"إن الإعجاب أهم من الحب؛ فهو يستمر، وأنا أريد أن يستمر ما بيننا يا لوك. لا أريد أن نحب فقط بعضنا البعض ونتزوج ثم نمل من بعضنا".

"أعلم هذا يا حبيبتى. أنت تريدين الواقع، وكذلك أنا. إن ما بيننا سوف يستمر للأبد؛ لأنه قائم على الواقع".

"هل هذا صحيح يا لوك؟".

"هذا صحيح يا عزيزتى. وأظن أن هذا هو السبب الذى جعلنى أخاف من الوقوع فى حبك".

"أنا كنت خائفة من الوقوع فى حبك كذلك".

"هل أنت خائفة الآن؟".

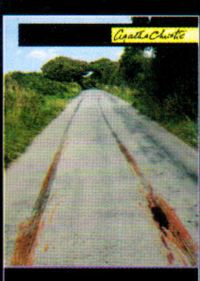
"لا".

قال:

"نحن كنا قريبين من الموت على مدار فترة طويلة، ولكن هذا الأمر انتهى! الآن. سوف نبدأ حياتنا...".

أجاثا كريستى Agatha Christie

القتل السهل



«واحدة من أفضل روايات الألغاز لأجاثا كريستى: حبكة رائعة، وشخصيات حية، وأسلوب كتابة عبقرى» .
نيويورك تايمز

لم يصدق لوك فيتزوليم ادعاء السيدة بنكرتون الجامح بأن قاتلاً ارتكب عدة جرائم قتل ولايزال يواصل ارتكاب جرائمه، وهو طليق فى قرية ويتشوود الإنجليزية الهادئة، وأن طبيباً محلياً هو الضحية التالية.

لكن فى غضون ساعات تلقى السيدة بنكرتون مصرعها بعد أن دهستها سيارة مسرعة. مجرد مصادفة؟ اعتقد لوك هذا - حتى قرأ فى جريدة التايمز نعى دكتور هامبلباى ...

«تشويق، غموض، رومانسية، وجو يغلّفه الرعب والإثارة».

الجارديان




6 281072 060473
282204474